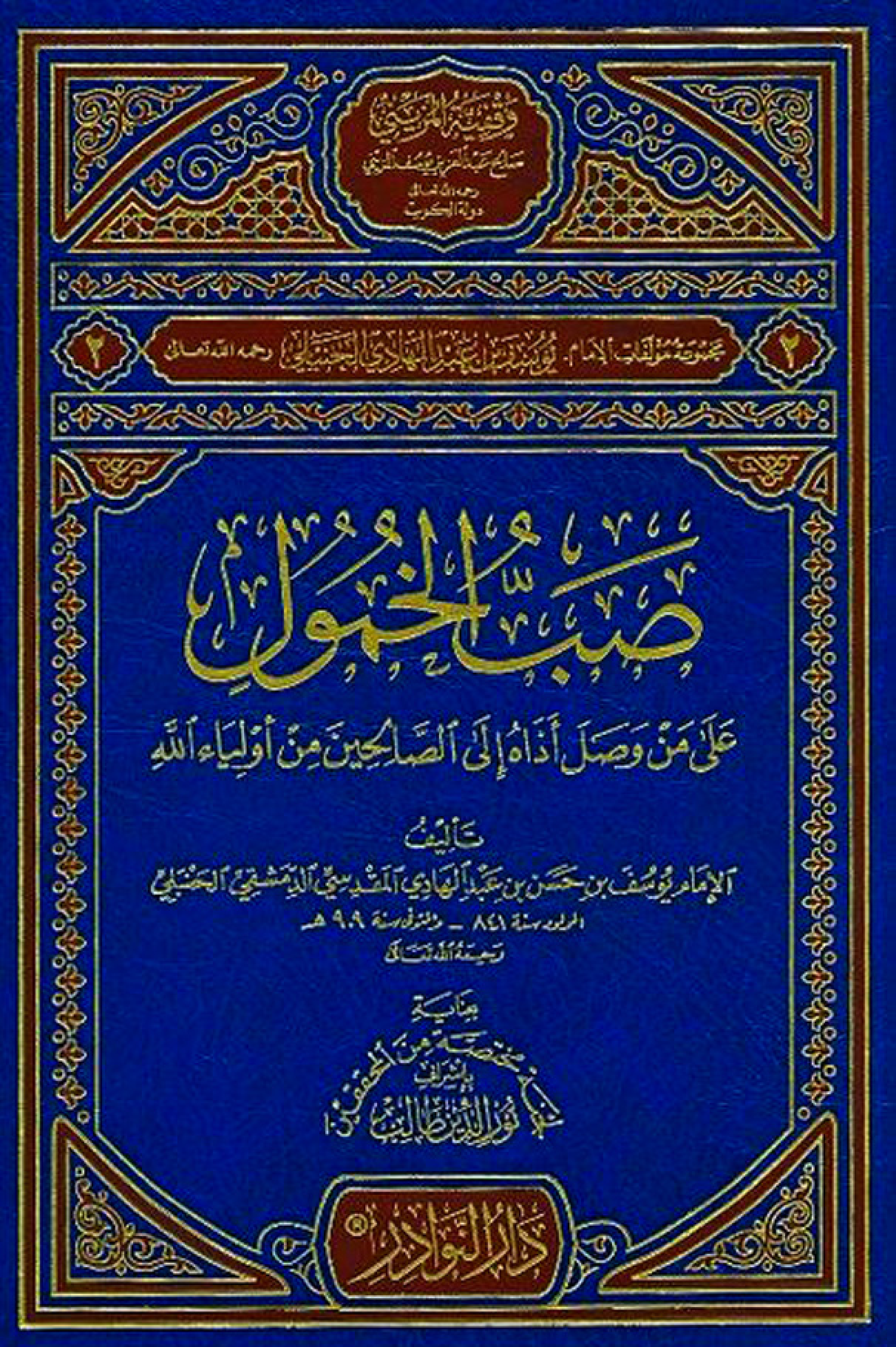


وقفية المزيني
صالح عبدالعزيز يوسف المزيني
رحمه الله تعالى
دولة الكويت
مجموعة مؤلفات الإمام يوسف بن عبد الهادي الحنبلي رحمه الله تعالى
٢
صب الخمول
على من وصل أذاه إلى الصالحين من أولياء الله
تأليف
الإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الدمشقي الحنبلي
المولود سنة ٨٤١ — والمتوفى سنة ٩٠٩ هـ
رحمه الله تعالى
بعناية
لجنة مختصة من المحققين
بإشراف
نور الدين طالب
دار النوادر



صَبُّ الخُمُولِ

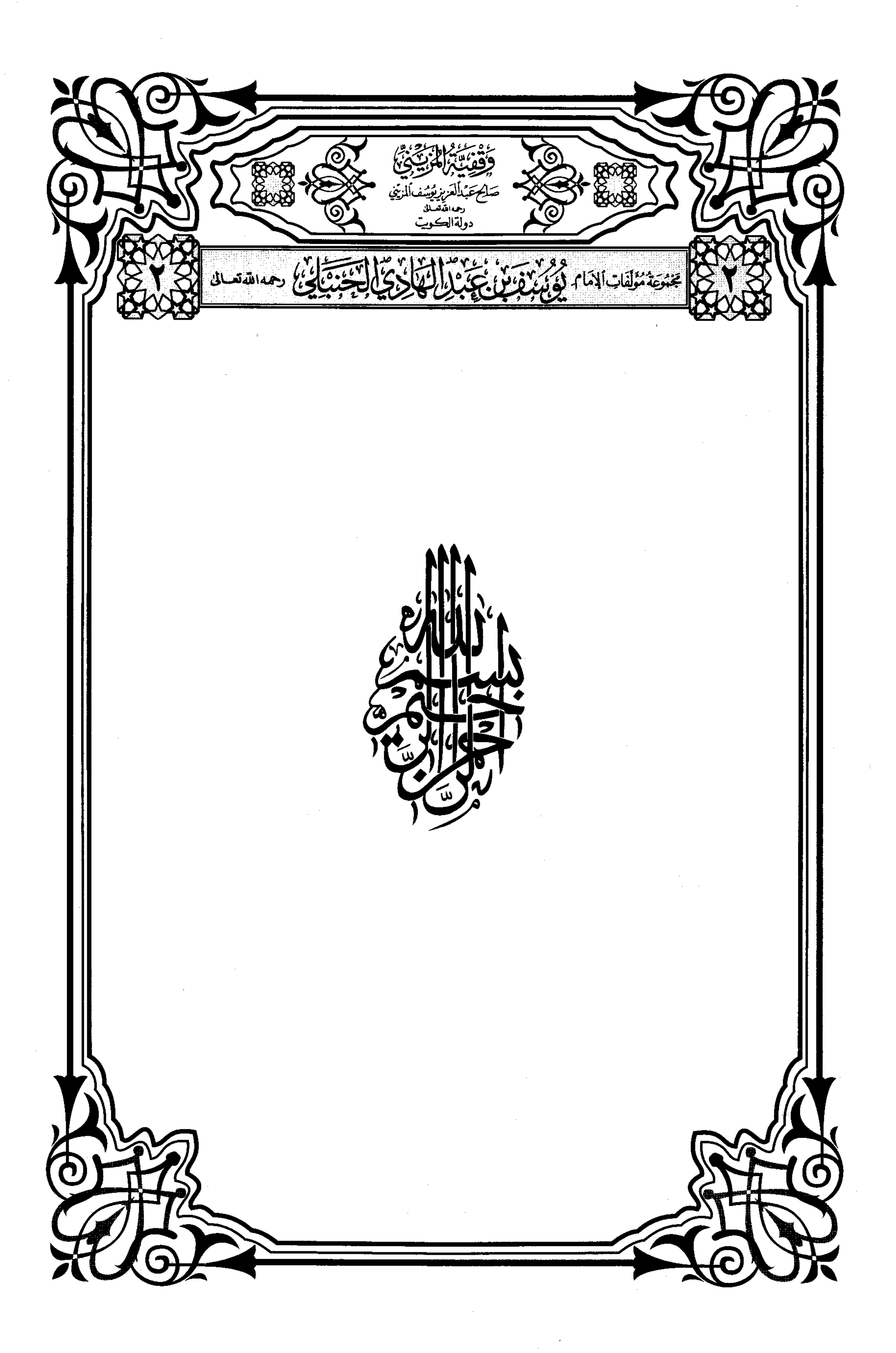
عَلَى مَنْ وَصَلَ أَذَاهُ إِلَى الصَّالِحِينَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ

تأليف

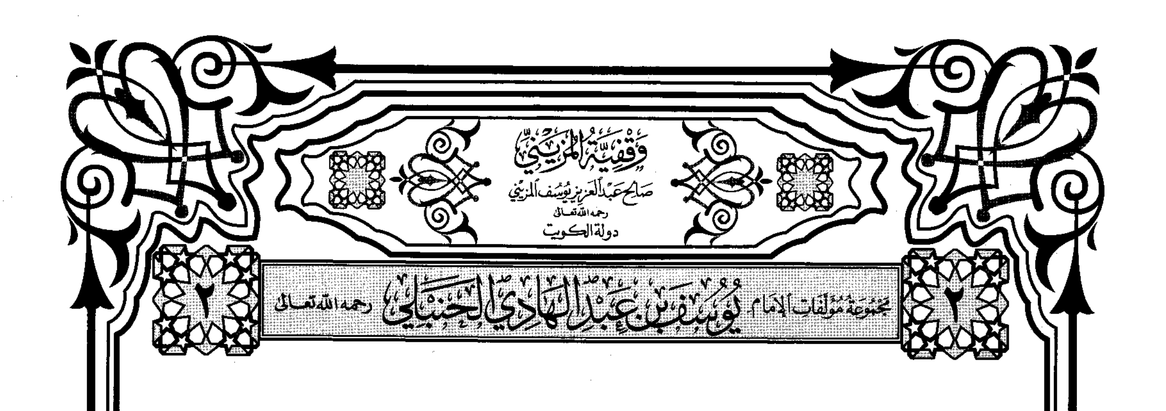
الإِمَامِ يُوسُفَ بنِ حَسَنِ بنِ عَبدِ الهَادِي المَقْدِسِيِّ الدِّمَشْقِيِّ الحَنْبَلِيِّ
المولود سنة ٨٤١ ـ والمتوفى سنة ٩٠٩ هـ
رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى



دار النوادر ®



وقفية المزيني
صالح عبد العزيز يوسف المزيني
رحمه الله تعالى
دولة الكويت
مجموعة مؤلفات الإمام يوسف بن عبد الهادي الحنبلي رحمه الله تعالى
٢
بسم الله الرحمن الرحيم



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٥ - ١٨ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ :ISBN

9789933418185



سورية - لبنان - الكويت

مؤسسة دار النوادر م.ف - سورية * شركة دار النوادر اللبنانية ش.م.م - لبنان * شركة دار النوادر الكويتية ذ.م.م - الكويت

سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

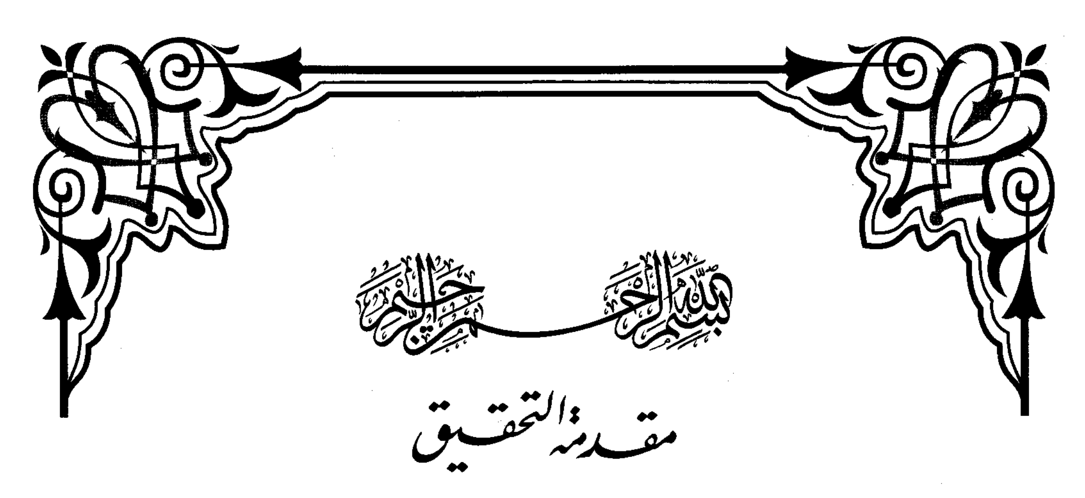
لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - الصالحية - برج السحاب - ص. ب: ٤٣١٦ حولي - الرمز البريدي: ٣٢٠٤٦

هاتف: ٢٢٢٧٣٧٢٥ - فاكس: ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)

www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أسسها سنة: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م نور الدين طالب المدير العام والرئيس التنفيذي



مقدمة التحقيق

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ، ونستعينُه ونستغفره ، ونعوذُ بٱللهِ مِنْ شُرورِ أنفسِنا ، وسيئاتِ أعمالنا ، مَنْ يَهْدِه ٱللهُ فلا مضِلَّ له ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إلـٰه إلا ٱللهُ ، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه .

أمّا بعد :

فقد روىٰ البخاريُّ في « صحيحه » من حديثِ أبي هريرةَ ـ رضي ٱلله عنه ـ قال : قال رسولُ ٱلله ﷺ : « إنَّ ٱلله قالَ : مَنْ عَادىٰ لي ولياً فَقَدْ آذنتُه بالحَرْبِ . . . » الحديث ، وقيل في هـٰذا الحديث : إنَّه أشرفُ حديثٍ في ذِكْرِ الأولياء ، فأولياءُ ٱلله تعالىٰ تجبُ موالاتُهم ، وتَحْرُمُ معاداتُهم ، كما أنَّ أعداءَه تجب معاداتُهم ، وتحرُمُ موالاتُهم ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ ؛ فٱللهُ تعالىٰ يتولَّىٰ نُصْرَةَ أوليائه ، ويحبُّهم ويؤيِّدهم ، فَمَنْ عاداهم فقد عادىٰ ٱللهَ تعالىٰ وحَارَبَه [1] .

---

(١) انظر : « جامع العلوم والحكم » لابن رجب (ص : ٣٦٠) .

وفي هـٰذا أَلَّفَ الإمامُ يوسفُ بنُ عبدِ الهادي كتابَه اللطيف : « صَبُّ الخُمولِ علىٰ مَنْ وصل أذاه إلىٰ الصالحين مِنْ أولياء ٱلله » ، ذاكراً خِصَالهم وصِفَاتِهم ، محذِّراً فيه مِنَ الوقيعة فيهم بقولٍ أو فعل ، وأوردَ فيه من قصصِ الصالحينَ والأولياءِ وحكاياتِهم مما يُسَرِّي عن كثيرٍ من أهل الخير والصلاح ، ومعرِّفاً فيه ما أوجبَ لهم الفَضْلَ والفلاح ، ونَثَرَ فيه حكاياتِ مَنْ تَعَرَّضَ للصالحين بالأذىٰ والظُّلم ، وكيف أخملَ ٱللهُ ذِكْرهُم ، وأمَاتَ صِيْتَهم ، وقَطَع نَسْلَهم .

إذا رأيــــتَ ذَوي بَغْــــي فَقُــــلْ لهـــم
ستنـــدمــونَ وحَـــاذِرْ أَنْ تُســـاكِنَهـــم
فمِثْلُهـــم فـــي الــوَرَىٰ كــانُــوا جَبــابِــرَةً
(فــأصبحــوا لا يُــرىٰ إلا مســاكنهــم)

* * *

هـٰذا وقد تمَّ ـ بفضل ٱلله تعالىٰ ـ الوقوفُ علىٰ النسخةِ الخطية الفريدة لهـٰذا الكتاب ، وهي النسخةُ المحفوظةُ بدار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم (١١٤١) ، وهي بخطِّ المؤلف المعروف بغرابة الشكل ، وصعوبة القراءة ، وقلَّة الإعجام ، وتقع في (٨٣) لوحة .

* * *

*** هـٰذا وقد تمَّ تحقيقُ هـٰذا الكتاب وفق الخطة الآتية :**

١ ـ نسخُ الأصلِ المخطوط اعتماداً علىٰ النسخة الخطية المُشار إليها ، وذٰلك بحسب رسم وقواعد الإملاء الحديثة .

٢ ـ معارضةُ المنسوخِ بالمخطوط ؛ للتأكُّد من صحة النص وسلامته .

٣ ـ عزو الآيات القرآنية بذكر اسمِ السُّورة ورقم الآية ، وجعلها بين معكوفتين في صُلْب النص ، وإدراجها برسم المصحف الشريف .

٤ ـ تخريج الأحاديثِ النبوية الشريفة تخريجاً لائقاً بخدمة النَّصِّ المحقق .

٥ ـ توثيقُ الآثار والحكايات التي نقلها المؤلف رحمه الله في ثنايا الكتاب .

٦ ـ كتابة مقدمةٍ للكتاب مشتملة على ترجمة مختصرة للمؤلف ، وتَقْدمة موجزة عن الكتاب .

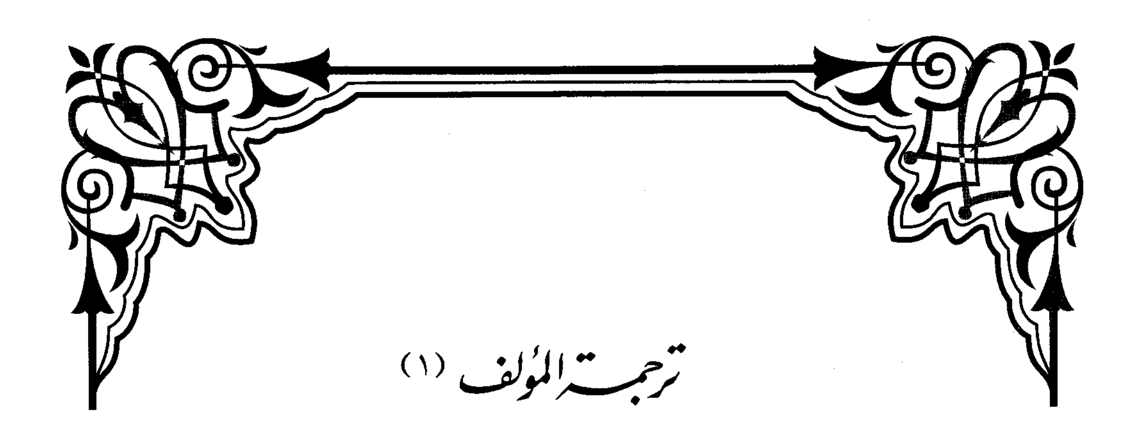
هذا وصلَّى الله على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم .



١٧/صفر/١٤٣٢هـ
٢٠١١/١/٢٢م

❐ ❐ ❐





ترجمة المؤلف (١)

* هو الإمام يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي المقدشي الأصل ، الدمشقي المولد ، الحنبلي المذهب ، المعروف بـ : « ابن عبد الهادي » ، والملقب بـ : « ابن المِبْرَد » .

* ولد سنة (٨٤١ هـ) في أول يوم منها ، وقد نشأ في بيئة علمية معروفة ، فتفقه علىٰ أبيه وجده ، وسمع عليهما الحديث .

وكان ملازماً للعلماء والصالحين ؛ فحفظ « المقنع » لابن قدامة

---

(١) انظر ترجمته في :

* « السحب الوابلة » لابن حميد (٣ / ١١٦٦) .
* « النعت الأكمل » للغزي (ص : ٦٨) .
* « شذرات الذهب » لابن العماد (٨ / ٤٣) .
* « مختصر طبقات الحنابلة » للشطي (ص : ٧٤) .
* « فهرس الفهارس » للكتاني (٢ / ١١٤١) .
* « مقدمة ثمار المقاصد » للدكتور أسعد طلس .
* « الإمام يوسف بن عبد الهادي الحنبلي وأثره في الفقه الإسلامي » للدكتور محمد عثمان شبير .
* « الإمام يوسف بن عبد الهادي وآثاره الفقهية » للدكتور صفوت عبد الهادي .

علىٰ عدد من العلماء ، وقرأ علىٰ مشايخ كثر « صحيح البخاري » ، و« مسند الحميدي » ، و« الدارمي » ، وغيرها .

* **فمن مشايخه الذين قرأ وحفظ عليهم** : الشيخ علاء الدين المرداوي صاحب « الإنصاف » ، وتقي الدين ابن قندس صاحب الحاشية المشهورة علىٰ « الفروع » ، وزين الدين أبو الفرج ابن الحبال ، وغيرهم .

* وقد تخرج علىٰ يديه جماعات من التلامذة ؛ الذي صاروا فيما بعد أعلاماً كباراً ؛ كـ : ابن طولون ، وعبد القادر النعيمي ، وغيرهما .

* أثنىٰ عليه جماعة من أهل العلم ، ووصفوه بالإمامة والحفظ والإتقان :

قال فيه تلميذه ابن طولون : « هو الشيخ الإمام ، علم الأعلام ، المحدث الرحالة ، العلامة الفهامة ، العالم العامل ، المتقن الفاضل » .

وقال فيه ابن العماد : « كان إماماً علامة ، يغلب عليه علم الحديث والفقه ، ويشارك في النحو والتصريف والتفسير ، وله مؤلفات كثيرة » .

وقال الشطي : « أجمعت الأمة علىٰ تقدمه وإمامته ، وأطبقت الأئمة علىٰ فضله وجلالته » .

* ترك الإمام ابن عبد الهادي كتباً كثيرة بلغت أسماؤها مجلداً ، كما قال ابن طولون ، ومن أهم تلك الكتب :

١ ـ « جمع الجوامع في الفقه علىٰ مذهب الإمام أحمد » في ثلاثة وسبعين مجلداً ، غالبه مفقود .

٢ ـ « الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي » .

٣ ـ « مغني ذوي الأفهام » في الفقه .

٤ ـ « هداية الإنسان إلىٰ الاستغناء بالقرآن » .

٥ ـ « إرشاد السالك إلىٰ مناقب مالك » .

٦ ـ « الدر النفيس في أصحاب محمد بن إدريس » .

٧ ـ « محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » .

٨ ـ « زبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم » .

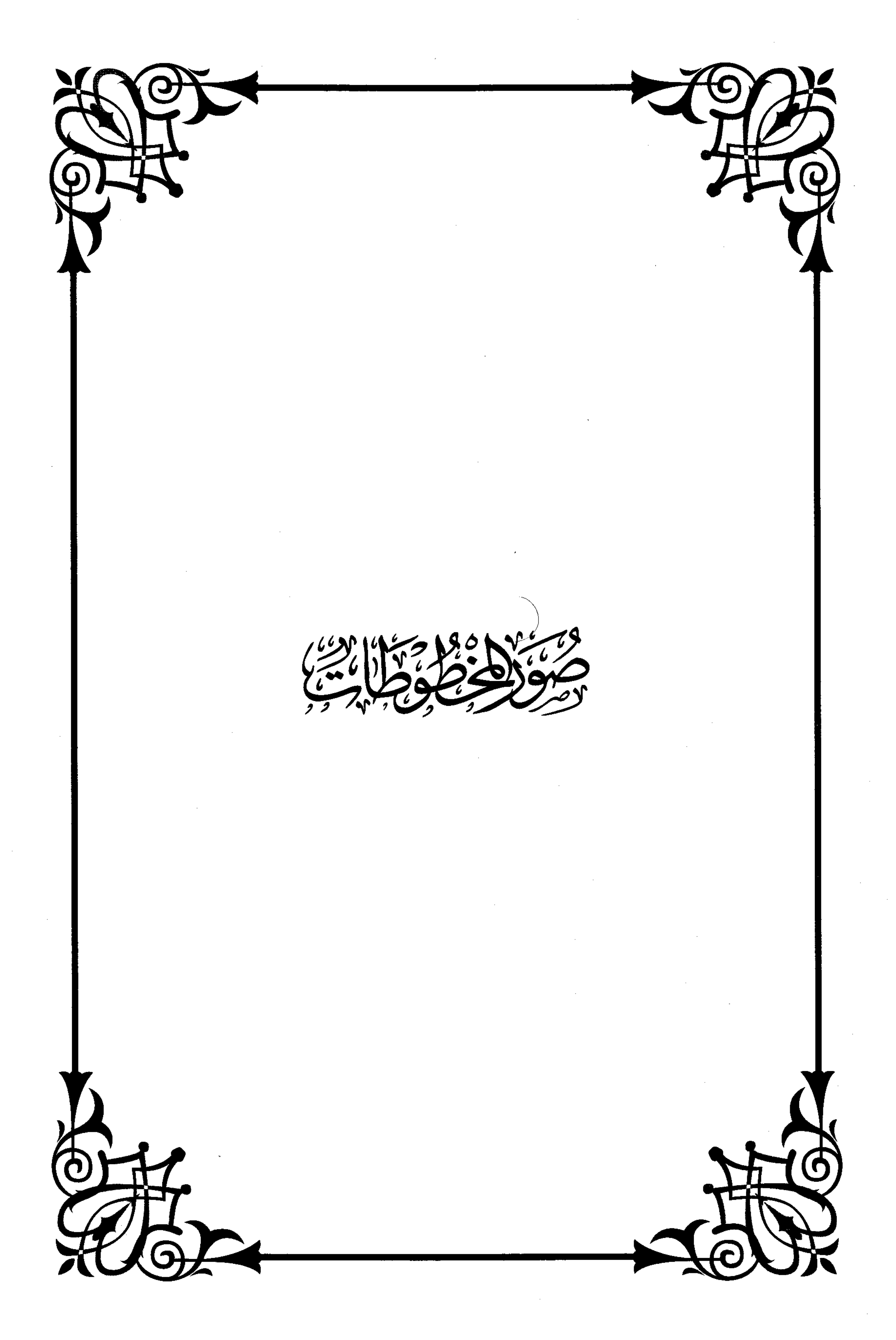
٩ ـ « معارف الإنعام وفضل الشهور والأيام » .

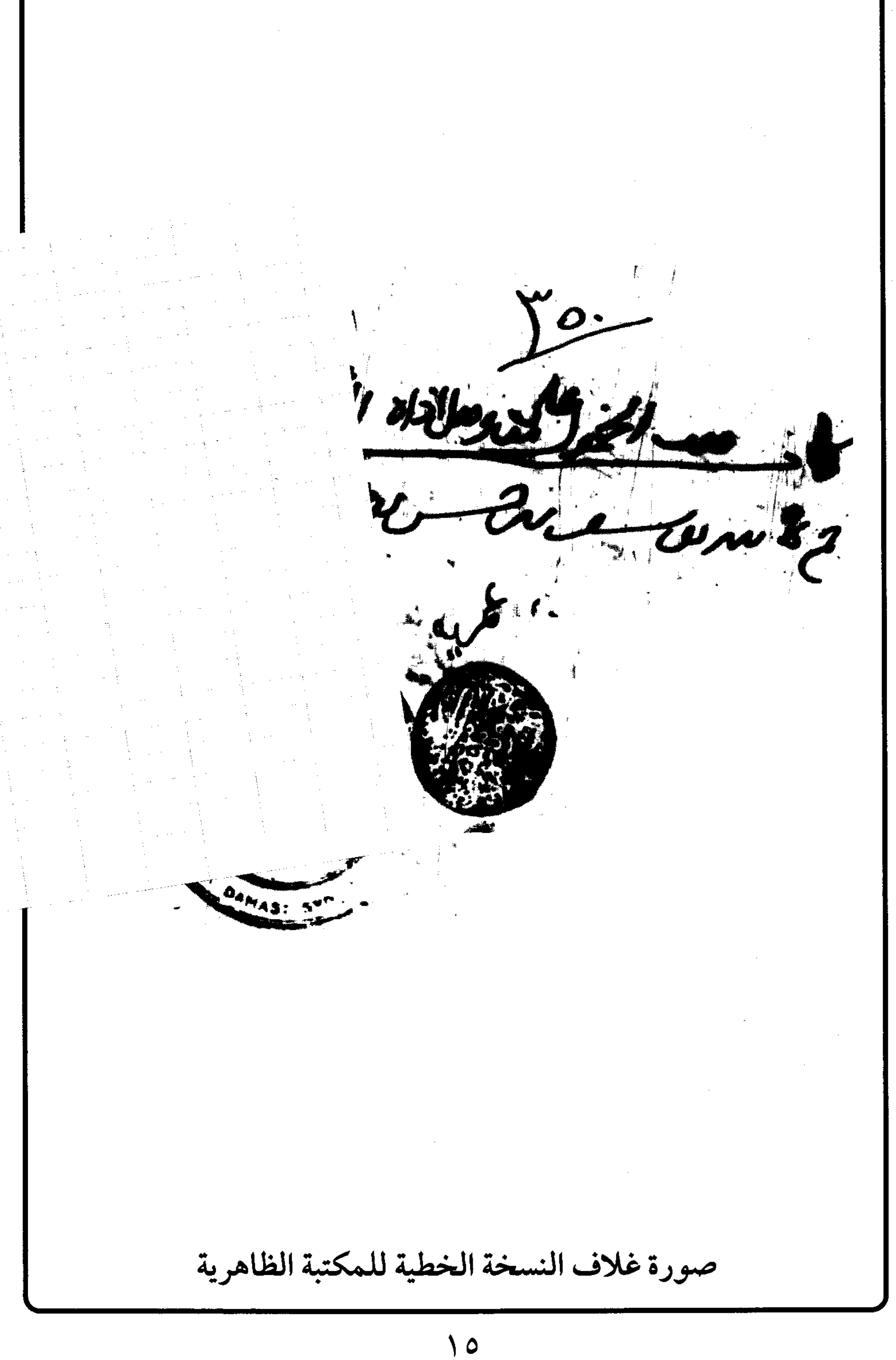
١٠ ـ « زينة العرائس من الطرف والنفائس » .

* توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بصالحية دمشق ، سادس عشر المحرم ، من سنة تسع وتسع مئة ، وصلي عليه بجامع الحنابلة ، ودفن بسفح جبل قاسيون رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، ورضي عنه .






صور المخطوطات

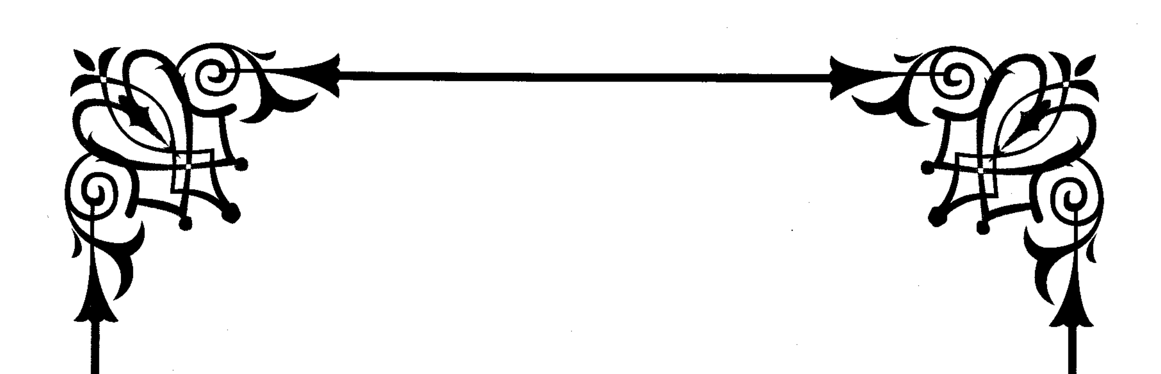


صورة غلاف النسخة الخطية للمكتبة الظاهرية

صورة اللوحة الأولىٰ من النسخة الخطية للمكتبة الظاهرية

صورة اللوحة الأخيرة من النسخة الخطية للمكتبة الظاهرية





صَبُّ الخُمُولِ

عَلَى مَنْ وَصَلَ أَذَاهُ إِلَى الصَّالِحِينَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ

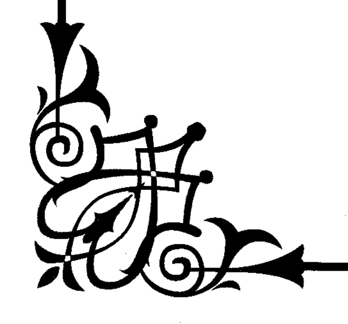
تأليف

الإِمَامِ يُوسُفَ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ الهَادِي المَقْدِسِيِّ الدِّمَشْقِيِّ الحَنْبَلِيِّ

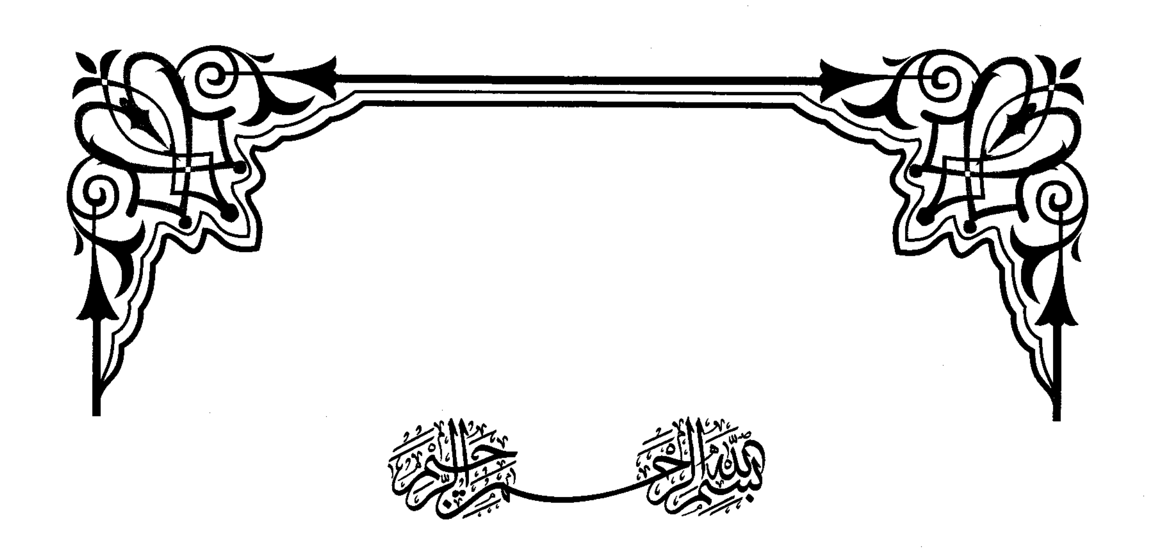
المولود سنة ٨٤١ ـ والمتوفى سنة ٩٠٩ هـ

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى









وَهُوَ حَسْبِي

الحمدُ لله المنتصرِ لأوليائه ، المنتقمِ ممَّنْ عاداهم بأنواعِ بلائهِ .

أحمدُه علىٰ جزيلِ عطائهِ ، وأشكرُه علىٰ كثيرِ نَعْمائِهِ .

وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلَّا ٱللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، شهادةً تجعلُنا من أحبابِهِ وأصفيائِه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، صَلَّىٰ ٱللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحابِه وأزواجِه وأبنائِه ، وسَلَّمَ تسليماً .

أمّا بعـد :

فإنَّ ٱللهَ ـ عز وجل ـ اختار صفوةً من خلقه ، فأحبَّهم وأحبُّوه ، ورضيَهم لنفسه فعبدُوه وأطاعوه ، فإنْ سألوه أعطاهم ، وإن توجَّهوا إليه مَنَّاهم ، وإن أشرفوا علىٰ رياضِ قدسِه حَيَّاهم ، فهم هم ، وليس غيرُهم إياهم .

** ـ مدحَهم في كتابه ، وجعلَهم من خواصِّه وأحبابه ، فإذا تأملْتَ غالبَ القرآن ، وجدْتَه في مدحِهم ووصفِهم ، وذمِّ أعدائِهم وحزبِهم ، فمَنْ والاهم والاه ، ومن عاداهم عاداه ، فإبليسُ حين أبغضهم قلبُهُ ، أقصاه ربُّه ، وذمَّه هو وحزبُهُ .**

فتأمَّلْ إلىٰ الفريقين ، وما ذكره ٱلله فيهما من مدحٍ وذمٍّ ، وموالاةٍ ومعاداةٍ ، قال ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ يذلهم ويهينهم ، ﴿ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ ﴾ وإن كثرت ، ﴿ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم ﴾ وإن قويت ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾ لمَّا أطاعوه واتبعوه ﴿ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ ، فلم يكن لهم في ٱلله نصيب ، ولا له فيهم حبيب ، ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ جعل ٱلله لهم الذلة في الدنيا والآخرة ، ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾ في كتابه قبل خلقه ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ لجميع من عادانا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ ﴾ علىٰ كل أحد من خلقه ﴿ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة : ١٤ ـ ٢١] لا يصل إليه أحد منهم بأذىٰ .

ثم انتقل إلىٰ وصف أوليائه ، فقال : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ ؛ أي : يحبونهم ﴿ وَلَوْ كَانُوٓاْ

﴿ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ ؛ لأن قلوبهم مع ٱلله واقفة ، لا يحبون إلا من أحبَّ ، ويُبغضون من أبغض ، فليست قلوبُهم مع إرادتهم وشهوتهم ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ ، فلا يدخله غيرُ مراد ٱلله ، ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ ، فلم يتمكن منهم عدو ، ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ﴾ في الآخرة ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ في جواره ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ في الدارَيْن ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ فيهما ، فهم مطبوعون علىٰ الرضا بقدر ٱلله ، ليس لهم شهوةٌ غيرُ ما قضىٰ لهم وَقدَّرَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

فدونك الفرقان بين أولياء الرحمـٰن وأولياء الشيطان ؛ فإن هـٰذه الآيات قد احتوت علىٰ الفريقين ، فَزِنْ نفسَك بهـٰذا الميزان ، واعتبرْها بهـٰذا الاعتبار ، فإن رأيتها من حزب ٱلله وأوليائه ، تؤمن بٱلله ورسوله صادقة ، وتقرب مراده علىٰ مرادها ، ولا توادُّ مَنْ حاربه وعصاه ، ولو كان والداً أو ولداً أو أخاً ، ولا تحبُّ إلا لَهُ ، ولا تبغض إلا له ، فأنت من حزبه .

وعلامةُ حبه كثرةُ ذكره .

وإن وجدتها قد نسيت ذكرَ ٱلله وأهملته ، ووالت من لا يحب ٱلله ورسولَه ، وقدمت مالك وولدك وزوجتك وإخوتك وعشيرتك ، ومرضاتهم علىٰ مرضاة ربك ، فإياك إياك .

وقال ـ عز وجل ـ : ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات : ١٧١ ـ ١٧٣] .

* **فتأمل القرآنَ جميعَه ، تجدْ فيه الفرقَ بين حزبِ ٱلله ، وحزب الشيطان ، وتجدِ العاقبةَ لحزب ٱلله .**

تأمل حالَ نوحٍ وقومِه ، وحالَ إبراهيمَ وضعفِه ، والنمرودِ وقوتِه ، وكانت العاقبةُ له ، وكيف ترك أباه وقومَه لرضا ٱلله ، حتىٰ إنه عزم علىٰ ذبح ولده لله ، وإنما ابتلاه ٱلله بذٰلك حين سكن قلبُه لأدنىٰ شيء من محبته ، فأراد ٱلله أن يخرج محبته من قلبه .

وانظر إلىٰ موسىٰ وفرعونَ ، وانظر حال محمد ﷺ ، وكيف أخرجه وحده ، وكان [لو أراد] قهر به جميع ملوك الدنيا .

قال ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس : ٦٢] .

* **فليس عليهم خوفٌ ، لا في الدنيا ؛ لأن ٱلله معهم ، وناصرُهم ، ولا هم يحزنون ، لا في الدنيا علىٰ ما فاتهم ، ولا في الآخرة ؛ لأنه ليس ثَمَّ فيها حزنٌ .**

أخبرنا الجماعة ، وأنا ابن الزَّعْبوبِ : أنا الحَجَّارُ : أنا ابن الزَّبيديِّ : أنا السِّجْزِيُّ : أنا الداوديُّ : أنا السَّرَخْسِيُّ ، أنا الفِرَبْرِيُّ : أنا البخاريُّ : ثنا خالدُ بن مخلدٍ : ثنا سليمانُ بن بلالٍ : حدثني شريكُ بن عبد ٱلله بن أبي نمرٍ ، عن عطاءِ بن يسارٍ ، عن أبي هريرةَ ، قالَ : قالَ رسول ٱلله ﷺ : « إِنَّ ٱللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قالَ : مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِياً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ ، كُنْتُ

سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، فَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » [1] .

ومن هـٰذه الحيثية ـ حيثُ دخلَ من القوة الربانية الناشئة عن ٱلله عز وجل ، المستمدة عظمة قدرة ٱلله ـ قَدَّمَ سلطانُ أولياءِ ٱلله أكثرَ من غيره ؛ بكونه صار الرأسَ للكثير ، وتحقَّقَ ذٰلك ، قال ـ تعظيماً للسر الإلـٰهي ـ : قَدَمي هـٰذه علىٰ رقبة كلِّ وَلِيٍّ لله [2] .

ولما أُلقي إبراهيمُ في النار ، طفأها نورُ الإيمان ، وما سكن جسدُه منه ، ولهـٰذا وردَ في بعض الآثار : أن النارَ قالت : يا ربِّ ! لو عصيتكم ، بم كنت تعذبني ؟

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٧) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في « الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع » (ص : ٩٩) في قول الإمام عبد القادر الجيلاني المنقول عنه ما معناه : « منزلة الشيخ ـ تغمده ٱلله تعالىٰ برحمته ـ في العلم والعمل والمعرفة في أعلىٰ الدرجات ، وأما المقالة التي نقلت عنه ، فإن ثبت أنه قالها فليست علىٰ إطلاقها ، بل هي مقيدة بأهل عصره ، والمراد بالقدم : الطريقة ، ولا شك أن طريقته بالنسبة لمن كان في عصره أمثل الطرق ، ولأنه كان متحققاً بالعلم والعمل ، متصفاً باتباع طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين في الاعتقاد ، ومن نقل عنه خلاف ذٰلك لم يقبل منه .

ونقل ابن العماد في « شذرات الذهب » (٤ / ٢٠٠) عن الحافظ ابن رجب أنه قال : أحسن ما قيل في هـٰذا الكلام ما ذكره السُّهْرَوردي في « عوارفه » : أنه من شطحات الشيوخ التي لا يقتدىٰ بهم فيها ، ولا تقدح في مقاماتهم ، ومنازلهم ، فكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم .

قال : بناري الكبرىٰ .

قالت : يا رب ! ولك نارٌ أكبر مني ؟

قال : نعم ، نار محبتي ، أُسْكِنُها قلوبَ عبادي المؤمنين .

ولهٰذا ورد : أن النار تقول للمؤمنين يوم القيامة : يا مؤمن ! جُزْ ، فقد أطفأ نورُكَ لَهبي [1] .

فنورُ الإيمان يطفئُ نارَ الشياطين ، قال ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ٩٩ ـ ١٠٠] .

وقال ـ عز وجل ـ عنه : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [صٓ : ٨٢] .

ولما أُلقي إبراهيمُ في النار ، قال : حَسْبِيَ ٱلله ونِعْمَ الوكيلُ ، فطفئت ؛ لأنها خلق ٱلله ، لا تفعل شيئاً إلا بأمره .

قال ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩ ـ ٧٠] .

وهٰذه الكلمةُ قالها النبيُّ ﷺ لما خُوِّف بالناس ؛ كما قال ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ـ ١٧٤] .

ولما ضرب موسىٰ البحر بالعصا ، وكان بها السرُّ الإلٰهي ، انفرق

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٢ / ٢٥٨) عن يعلىٰ بن منية رضي ٱلله عنه .

البحرُ له ، ولم يلتئمْ بعضُه علىٰ بعض ، فلما دخلَه فرعونُ بالقوة الشيطانية ، لم يمسكه ، فالتأم عليه ، فقتله .

تجبَّرَ النمرودُ ، وتكبر علىٰ إبراهيم ، وأراد قتلَه بكبير قدرته الضعيفة ، فعجز ، وقتله ٱلله بأصغر مخلوقاته وأضعفِها .

وفرعونُ افتخر بنهر ما أجراه ، مما أجراه ، فقتله ٱلله به .

خالدُ بن سنان بالقوةِ الإلـٰهية جعل يضرب النارَ الشيطانيةَ بيده ، ويقول : يداً يداً كل حق لله مُؤَدّىٰ ، أنا عند ٱلله الأعلىٰ .

فطفت يدُ الإيمان ونورُه نارَ الشيطان .

العلاءُ بن الحضرميِّ ، وسعدُ بن أبي وَقَّاصٍ حين مَشَيا بالجيوش والعساكر علىٰ البحر بالقوة الإيمانية ، لم يغرق [. . .] .

كسرىٰ تكبر بعساكره ، وتجبر ومَزَّق كتابَ النبِّي ﷺ ، فمزقه ٱلله كُلَّ مُمَزَّق ، حتىٰ آخرَ الأمر طلبَ المصالحةَ علىٰ أن تؤخذ غالبُ بلاده .

و [. . . .] عنه حتىٰ قال : أما شبعتم لا أشبع ٱلله بطونكم ؟ ! فأجابه : [. . . .] الإيمان ، بلغة الأعاجم ، [. . .] لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتىٰ نأكل أترج وكوثىٰ بعسل وفريذين .

فقال : واويلاه ! إن الملائكة لتتكلم علىٰ ألسنتهم ، ثم لم يزل يهرب إلىٰ أن اختفىٰ قعر أرض ، فقتل هنالك .

خالدُ بن الوليدِ حين أصاب سيفَه طرفٌ من الأنوار الإلـٰهية ، قيل له : سيفُ ٱلله ، فما سلَّه علىٰ أحد إلا عليه نور الإيمان .

عمرُ كان الشيطانُ يهربُ منه [1] ، ويَفْرَق منه ، فما لقيَه في طريق ، إلا وسلك غيرَهُ .

لمَّا ضرب الزبيرُ بن العوامِ شجاعاً فارساً ، تلبس اللبوسَ المنيعةَ والحديد ، وعيره [. . .] بلبسه ، ثم بفرس ولبسه ، ثم خدت الأرض ، فقيل له : ما أحدَّ سيفَكَ ! فغضبَ ، يشير : إن العمل ليده لا لسيفه ، فكان ذٰلك بقوة الإيمان .

افتخر بعضُ ملوك الروم بعِلْجٍ عنده ما ضرب شيئاً بيده إلا وقتلَه ، فبرز له بعضُ غلمانِ المسلمين ، فثبت له ، فضربه ، فلم يقتله ، ثم ضربه المسلمُ بيده الصغيرة الحقيرة ، فقتله .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أنا الصيدلانيُّ : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا أبو نعيمٍ : ثنا أبو إسحاقَ بن إبراهيم بن محمدِ بن حمزةَ : ثنا أبو عبيدةَ محمدُ بن أحمدَ بن المؤمِّل ، قال أبو نعيمٍ : وثنا إبراهيمُ بن عبد ٱلله بن إسحاقَ : ثنا محمدُ بن إسحاقَ السراجُ ، قالا : ثنا محمدُ بن عثمانَ بن كرامةَ : ثنا خالدُ بن مخلدٍ ، عن سليمانَ بن بلالٍ ، عن شريكِ بن عبد ٱلله بن أبي نمرٍ ، عن عطاءٍ ، عن أبي هريرةَ ، قالَ : قالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « إِنَّ ٱللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ : مَنْ آذَىٰ لِي وَلِيّاً ، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَاءِ ما افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ، فَكُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ

---

(١) في الأصل : « منها » .

بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، فَلَئِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي ، أَعْطَيْتُهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي ، أَعَذْتُهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَكْرَهُ أَنَا إِسَاءَتَهُ ، أَوْ مَسَاءَتَهُ » (١) .

وهٰكذا رأيتُه في « صحيح البخاري » في نسخة مغربية قديمة ، وليس فيها : « فإذا أَحببتُه » (٢) .

*** فإياكَ إياكَ أن تنالَ أحداً من أولياء ٱلله بسوء ، فيعاديَك ، فَيُؤْذِنَكَ بالمحاربة ، فتقعَ معه فيما لا قدرةَ لك علىٰ دفعه عن نفسك بالجنود .**

الحذارَ الحذارَ ، التوقِّي التوقِّي ، لا تهلكْ نفسَك ، لا يغرَّكَ الشيطانُ بالقوة الشيطانية ، ولا تغترَّ بجنودِك وأعوانِك ، وعساكرِك وإخوانِك .

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

كَمْ من جَبَّارٍ تجبر ، فبنىٰ الحصونَ والدساكر ، وجمعَ الجنودَ والعساكر ، فما دفعت عنه الحصونُ التي بنىٰ ، وجف بها أنهاره والعساكر .

يا مجنون ! أفق لنفسك ، واعرف من أنت .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٤) .

(٢) رواه البخاري (٦١٣٧) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه ، وفيه : « فإذا أحببته » .

أخبرنا القاضي أبو حفص : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدين : أنا أبو جعفرٍ : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا القاضي أبو أحمدَ محمدُ بن أحمدَ : ثنا الحسنُ بن عليٍّ : قرئَ علىٰ أبي موسىٰ محمدِ بن المثنىٰ ، قال : وثنا محمدُ بن الحسينِ بن سلمةَ بن أبي كبشةَ : أن أبا عامرٍ العقديَّ حدثهما : ثنا عبد الواحدِ بن ميمونٍ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، قالت : قالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ يروي عن ربِّه ـ عز وجل ـ ، قال : « مَنْ آذَىٰ لِي وَلِيّاً ، فَقَدِ اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِي »[1] .

فيا من استحلَّ محاربةَ ربِّه وخالقِه ، ومن يقدرُ علىٰ هلاكه بقوله : مُتْ ، فيموت ، وذُبْ ، فيذوب ، وليسَ يقدرُ هو معه علىٰ شيء بالكلية !

ما أقلَّ عقلَكَ ، وما أتعسَكَ ! تأمَّلْ حالك ، فإنه كيف أرادَ أحالَكَ ، ولا تُدخل نفسَك في محاربةِ ربِّك بأن تضرَّ أحداً من أوليائه ، أو تعادِيَه ، أو تقعَ فيه في وجه من وجوه الأذىٰ ، حتىٰ ولا بكلمة ، فيكونَ ذٰلك سببَ هلاكِك وتعسِك في الدنيا والآخرة ، فكمْ من واحدٍ أخمل نفسه بمثل ذٰلك !

أخبرنا جدِّي وغيرُه : أنا الصلاحُ بن أبي عمرَ : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا أبو جعفرٍ ، أنا أبو أبو عليّ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا سليمانُ بن أحمدَ : ثنا يحيىٰ بن أيوبَ : ثنا سعيدُ بن أبي مريمَ : ثنا

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٥) .

نافعُ بن يزيدَ : حدثني عياشُ بن عياشٍ ، عن عيسىٰ بن عبد الرحمـٰن ، عن زيدِ بن أسلمَ ، عن أبيه ، قال : وجد عمرُ بن الخطابِ معاذَ بن جبلٍ قاعداً عندَ القبرِ يبكي ، فقال له عمرُ : ما يبكيك ؟ قال : يبكيني شيء سمعتُه من رسولِ ٱلله ﷺ ، سمعت رسولَ ٱلله ﷺ يقول : « إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ ، وَإِنَّ مَنْ عَادَىٰ أَوْلِيَاءِ ٱللهِ ، فَقَدْ بَارَزَ ٱللهَ بِالْمُحَارَبَةِ » (١) .

فإياكَ أن تبارزَه بالمحاربة ، فتقعَ فيما لا قدرَة لك ولا لأحدٍ علىٰ دفعه ، ولهـٰذا قال الحافظُ أبو نعيم : كيف تستجيزُ نقيصةَ أولياءِ ٱلله ، ومؤذيهم يُؤْذِنُ بمحاربةِ ٱلله ؟ ! (٢) .

فهـٰذا المقام صانَ هـٰذا الحافظَ من الخمولِ دَهْرَهُ ، وأَعلىٰ في الدارين قَدْرَهُ ، ونشر في الخلق ذِكْرَهُ .

ووقوعُ الخطيبِ في كثيرٍ من الأخيارِ والفحول أوجبَ له الخمول ، نعوذ بٱلله من ذٰلك (٣) .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٥) .

(٢) انظر : « حلية الأولياء » لأبي نعيم (١ / ٤) .

(٣) بل الخطيب البغدادي رحمه الله قد طار ذكره في الآفاق ، ولا شبهة عند كل لبيب أن المتأخرين من أصحاب الحديث عيال علىٰ أبي بكر الخطيب ـ كما قال ابن نقطة ـ .
وقد أثنىٰ عليه جمع غفير من كبار العلماء ؛ كالسمعاني ، وابن ماكولا ، وابن خلكان ، وابن الأثير ، والذهبي ، وغيرهم . وما أحلىٰ قول السبكي فيه كما في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » ـ : « فما طاف سورُها ـ **يعني بغداد** ـ علىٰ نظيره ، يروي عن أفصح من نطق بالضاد ، ولا أحاطت جوانبها بمثله ، وإن طفح ماء دجلتها وروّىٰ كل صاد » .

أما ما انتقده عليه بعض العلماء من الوقوع في بعض الأئمة ، فقد ذكر الخطيب=

فكُفَّ يَدك ولسانك وقلبك وجميعَ جوارحك عن أولياء ٱلله ، وإياكَ أن تُهلك نفسك في الدارين ، وتُحْرقها بالنارين ، فتوجبَ لها العارَيْن ، فليس بعد ذٰلك [. . .] وليس معه قرةُ عين ، هـٰذا لعمرُكَ الصَّغارُ بعينِه .

فمَنْ عاداهم هَلَكَ ، وانعطِفْ حيثما سلك ، ولو جلسَ في قُبَّةِ الفلك .

ومَنْ والاهم سَلِم ، ومن قَرُبَ منهم علم ، و[من] جالَسَهم غَنِم .

*** فيا سعادةَ مَنْ خدمَهم ، ومن جالسهم لأنهم القومُ لا يشقىٰ بهم جليسُهم .**

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : ثنا عائشةُ بنتُ عبد الهادي : أنا الحَجَّارُ : أنا ابن الزَّبيديِّ ، أنا السِّجْزِيُّ : أنا الداوديُّ : أنا السَّرَخْسِيُّ : أنا الفِرَبْرِيُّ : أنا البخاريُّ : ثنا قتيبةُ بن سعيدٍ : ثنا جريرٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرةَ ، قال : قالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « إِنَّ لله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ ٱلله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ تَنادَوْا : هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ ، قَالَ : فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمْ

= نفسه في « موضح أوهام الجمع والتفريق » (١ / ١٢) تعليل ذٰلك ، فقال : ولعل بعض من ينظر فيما سطرناه ويقف علىٰ ما لكتابنا هـٰذا ضمَّناه ، يلحق سيء الظن بنا ، ويرىٰ أنا عمدنا للطعن علىٰ من تقدمنا ، وإظهار العيب لكبراء شيوخنا ، وعلماء سلفنا ، وأنىٰ يكون ذٰلك ، وبهم ذكرنا ، وبشعاع ضيائهم تبصَّرنا ، وباقتفائنا واضح رسومهم تميَّزنا ، وبسلوك سبيلهم عن الهَمَج تحيَّزنا ، وما مثلهم ومثلنا إلا كما ذكر أبو عمرو بن العلاء : ما نحن فيمن مضىٰ إلا كَبقل في أصول نخل طوال .

ربُّهُمْ ـ عزَّ وَجَلَّ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ : ما يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالُوا : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ ، وَيُمَجِّدُونَكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لا وَٱللهِ ما رَأَوْكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ ! قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ ، كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَحْمِيداً ، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَمَا يَسْأَلُونَ ؟ قَالَ : يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ ، قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لا وَٱللهِ يا رَبِّ ما رَأَوْهَا ، قَالَ : فَيَقُولُ : كَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟ ! قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ، كَانُوا عَلَيْهَا أَشَدَّ حِرْصاً ، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَباً ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً ، قَالَ : فَمِمَّ يَتعَوَّذونَ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ ، قَالَ : فَيَقُولُ ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لا وَٱللهِ يا رَبِّ ما رَأَوْهَا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ ! قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَاراً ، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً ، قَالَ : فَيَقُولُ : اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، قَالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ : فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ ، قَالَ : هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ » [١] .

أخبرنا أبو حفص المقرئُ : أنا الإمامُ أبو الحسنِ : أنا المحبوبي : ثنا ابنةُ علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي : أنا اليوسفيُّ : أنا ابن المُذْهِبِ : أنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : أنا عبد ٱللهِ بن أحمدَ : حدثني أبي : ثنا أسودُ بن عامر : ثنا جريرٌ ، عن الحسنِ ، عن رسولِ ٱللهِ ﷺ ، قالَ : « إِذَا جَلَسَ القَوْمُ يَذْكُرُونَ ٱللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ،

---

(١) رواه البخاري (٦٠٤٥) .

قَالَ ٱللهُ لِمَلائِكَتِهِ : إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، فَجَلِّلُوهُمْ بِالرَّحْمَةِ ، قَالَتِ المَلائِكَةُ : يا رَبَّنَا ! إِنَّ فِيهِمْ فُلاناً ، قَالَ : هُمُ القَوْمُ لا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ »[1] .

فَيَا مَنْ حَصَلَتْ لَهُ السَّعَادَةُ بِمُجَالَسَتِهِمْ ! إِيَّاكَ أَنْ تَضُرَّ نَفْسَكَ بِعَدَاوَتِهِمْ وَبُغْضِهِمْ ، فَاغْتَنِمْ أَنْفَاسَهُمْ وَنُفُوسَهُمْ ، فَهُمُ القَوْمُ لا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ، طُرُقُهُمْ مُسْتَقِيمَةٌ ، وَمُصَاحَبَتُهُمْ سليمةٌ ، ونفوسُهم رحيمةٌ ، فالربحُ لمن خدمَهَم ، ومَنْ ليسَ منهم ، فهم القومُ لا يشقَىٰ بهم جليسُهم ، لهم أحوالٌ ظاهرة ، ونفوسٌ طاهرة ، وقلوبٌ عامرة ، وليس لهم رغبةٌ في الدنيا ، وإنما رغبتُهم في الآخرة ، فهم مغبطون في الدارين ، بمنازلهم الظاهرة .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : ثنا الحافظُ ضياءُ الدين : أنا أبو جعفرٍ : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا محمدُ بن جعفرٍ : ثنا جعفرُ بن محمدٍ : ثنا مالكُ بن إسماعيلَ ، وعاصمُ بن عليٍّ ، قالا : ثنا قيسُ بن الربيع : ثنا عمارةُ بن القعقاع ، عن أبي زُرعةَ ، عن عمرِو بن جريرٍ ، عن عمرَ بن الخطابِ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، قال : قالَ رسول ٱلله ﷺ : « إِنَّ مِنْ عِبَادِ ٱللهِ نَاساً ما هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ مِنَ ٱللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ » . فقال رجل : مَنْ هم ، وما أعمالُهم ؛ لعلَّنا نحبُّهم ؟ قال : « قَوْمٌ يَتَحَابونَ بِروحِ ٱللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ ، وَلا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا بَيْنَهُمْ ، وَٱللهِ ! إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وإِنَّهُمْ

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٢ / ٣٥٨) .

لَعَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ » . ثم قرأ : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] [(١)] .

فلا يخافون في الدنيا مع إيمانهم أن ٱلله معهم ، كما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبي بكر وهما في الغار : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

وليس عليهم خوف في البرزخ مع إيمانهم ؛ فإنَّ أنعمَ الناس أجساداً قومٌ سكنوا التراب ، وأَمِنوا من العذاب .

وليس عليهم خوفٌ يوم القيامة ، بل هم في المنازل الثلاثة آمنون .

وليس عليهم حزنٌ في الأحوال الثلاثة ؛ لا في الدنيا ، فإنهم قد رضوا بما قدَّر ٱلله لهم ، ولا في البرزخ ، ولا في الآخرة .

* **من سعادتهم علىٰ مولاهم** : أن جعل مَنْ أحبَّهم منهم ، كما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ لمن سأله عن الرجل يحبُّ القومَ ولمْ يلحقْ بهم ؛ يعني : في العمل ، قال : « هُوَ مِنْهُمْ » ، وفي رواية : « هُوَ مَعَهُمْ » [(٢)] .

* **ومن سعادتهم وكرامتهم علىٰ مولاهم** : أنهم يُذْكَرون بذكره ، ويُذْكَر بذكرهم ، كما أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أخبرتنا زينبُ بنتُ الكمال : أنا محمدُ بن أبي زيدٍ : أنا محمودٌ الصيرفيُّ : أنا ابن فاذشاه : أنا سليمانُ بن أحمدَ : ثنا أحمدُ بن عليٍّ الأبارُ : ثنا الهيثمُ بن خارجةَ : ثنا رشدينُ بن سعدٍ ، عن عبد ٱلله بن

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٥) .

(٢) رواه البخاري (٥٨١٧) عن ابن مسعود رضي ٱلله عنه .

الوليدِ ، عن أبي منصورٍ مولىٰ الأنصار : أنه سمَع عَمْرَو بن الجَموحِ يقول : إنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول : « قَالَ ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : إِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي ، وَأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي الَّذِين يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي ، وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ »[1] .

وأخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أنا أبو جعفرٍ : أنا أبو عليٍّ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا أحمدُ بن يعقوبَ : ثنا الحسنُ بن علويه : ثنا إسماعيلُ بن عيسىٰ : ثنا الهياجُ بن بسطام ، عن مسعرِ بن كدامٍ ، عن بُكيرِ بن الأخنسِ ، عن سعدٍ ، قال : سُئل رسولُ ٱللهِ ﷺ : مَنْ أولياءُ ٱللهِ ؟ قال : « الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا[2] ذُكِرَ ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ »[3] .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا جعفرُ بن محمدِ بن عمرَ : ثنا أبو حصينٍ القاضي : ثنا يحيىٰ بن عبد الحميدِ : ثنا داودُ العطارُ ، عن عبد ٱللهِ بن عثمانَ بن خُثَيْمٍ ، عن شَهْرِ بن حَوْشَبٍ ، عن أسماءَ بنتِ يزيدَ ، قالتْ : قالَ رسولُ ﷺ : « أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ ؟ » ، قالوا : بلىٰ . قَالَ : « الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ »[4] .

*** فإن جلسوا بمكان ، وذَكروا ٱلله ، ذَكر معهم كلُّ شيء ، وافتخرتِ الأرضُ والجبالُ والبقاعُ بذكرهم ، وإن صَلَّوا ، صَلَّىٰ مَنْ لم يكن يصلِّي بصلاتهم .**

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٢ / ٤١) .

(٢) في « حلية الأولياء » : « رؤوا » .

(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٦) .

(٤) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٦) .

فهم بركةٌ كيفما كانوا ، وقد ذُكر عن شيخِ الإسلامِ أبي الفَرَجِ الشيرازيِّ : أنه لما قدم دمشقَ ، استأجر بستاناً ، وكان ذٰلكَ البستانُ له وقتٌ يتنزه فيه الفَسَقَةُ ، فلما جاء وقته هو فيه ، وإذا خلائقُ قد أَتوه بالخمور والنساء وغير ذٰلك علىٰ عادتهم ، فعِيلَ صبرُه من ذٰلك ، ففي اليوم الثاني كَثُروا ، فلما كانَ في اليوم الثالث ، وحضروا ، قام وقال : أيها الناس ! إنا استأجرنا هـٰذا البستان ، ومن أراد أن يدخله ، ونُحالِلُه ، فليتوضأ معنا ، حتىٰ نصلِّي الظهر ، فقام كلُّ أحدٍ منهم ، وتوضأ ، ثم صلىٰ بهم الظهرَ ، فاطال فيها ، وجلس يذكرُ إلىٰ العصر ، ثم أقامَ وصلَّىٰ بهم العصرَ ، وجلس في الذكر إلىٰ المغرب ، فامتنع كثيرٌ منهم بذٰلك من السُّكر وغيره ، ولم يتمكن أحدٌ من ذٰلك ، ثم كانت هـٰذه عادتهم معهم ، فلم يحضره بعدَ ذٰلك أحدٌ من الفَسَقة ، وتابَ خلائقُ منهم ، قال : وصار لي في شهر أكثرُ من ألف صاحب .

فانظر كيف أزالَ المَنَاكر بهـٰذه الخبرية اللطيفة ، وأحبَّه الخلقُ ، فهـٰكذا يكون الصبرُ في [الآمر] بالمعروف ، والناهي عن المنكر .

فنظرُ أهلِ الخير يزيل المنكرَ ، وعبادتُهم تزيل المنكر ، ومباشرةُ أيديهم تزيل المنكر ، كما روي عن الشيخِ عبد ٱلله اليونينيِّ : أن حَمَّاراً وقع حملُه ، فساعدَه في تحميله ، فلما أوصله إلىٰ بيت الأمير الذي هو له ، إذا به من أحسن الأكل ، فغضب عليه ، فقال : وٱلله ! بيدي وضعته ، ولـٰكن أَعلم من أين أُتيت ، ثم جاء إلىٰ الشيخ ، فأسلمَ علىٰ يديه ، فلما علم الأميرُ ، تاب عن شرب الخمر ، فكان ذٰلك كلُّه من بركة الشيخ .

وقد حُكي عن الشيخ أبي عمرَ نحوُ ذٰلك أيضاً .

وقد ذُكر عن بعض المشايخ : أنه أرسلَ إلىٰ بعض البغايا : نجيءُ الليلةَ عندَك ، فتزينت ، وتطيبت ، وجلست ، وإذا بالشيخ قد جاء ، وكان ثَمَّ أميرٌ يكره الشيخ ، فلما سمع بذٰلك ، قال : وخمرُ الشيخِ علينا ، فأرسل إليه بوعاء فيه خمر ، فلما دخل الشيخُ المكانَ ، توضأ ، وقام يصلي ، فدخل قلبَها خوفُ ٱلله ، فتوضأت ، وقامت تصلِّي خلفه ، فلما أصبحتْ ، رمت ما كانت فيه ، ولبستْ ثياب العبادة ، وتابت ، فجاء الأميرُ ليرىٰ ما صنع الشيخ ، ويوبِّخُه بالمعصية ، فوجدَها قد تابت ، وأخبرتْه بما كان من الشيخ ، وقصدَ الوعاءَ الذي أرسلَ فيه الخمرَ ، وإذا به من أحسن السكر ، فتابَ عن بغض المشايخ ، وحصلت التوبةُ للكل ببركته .

* **فهم محفوظون بحفظ ٱلله ، وكَلاءته ، لا تضرهم فتنةٌ ، ولا تنالهم بليةٌ ، سالمون من المحن ، مُوَقَّوْن من الفتن .**

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا المِزِّيُّ وغيرُه : أنا ابن أبي عمرَ : أنا أبو جعفرٍ : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا أبو نعيمٍ ، ثنا القاضي أبو أحمدَ محمدُ بن أحمدَ : ثنا محمدُ بن القاسمِ بن الحجاجِ : ثنا الحكمُ بن موسىٰ : ثنا إسماعيلُ بن عياشٍ : حدثني مسلمُ بن عبيدِ ٱلله ، عن نافعٍ ، عن ابن عمرَ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « إِنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ ضَنَائِنَ مِنْ عِبَادِهِ ، يُغَذِّيهِمْ في رَحْمَتِهِ ، وَيُحْيِيهِمْ في عَافِيَتِهِ ، إِذَا تَوَفَّاهُمْ ، تَوَفَّاهُمْ إِلَىٰ جَنَّتِهِ ، أولـٰئك الَّذين تَمُرُّ عَلَيْهِمُ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ

المُظْلِمِ وَهُمْ مِنْهَا في عَافِيَةٍ » [1] .

*** فمَنْ صاحَبَهم ، سَلِم معهم ، ومَنْ عاداهم وقاطَعَهم ، وقعَ في المعامعِ والبلايا العِظام ، أفرغ ٱللهُ عليهمُ الصبرَ ، وحماهم من الدنيا ، وضَيَّقَ عليهم المعيشةَ ، وهم قابِضُون علىٰ دينهم ، كالقابضِ علىٰ الجمرِ ، فالدنيا سِجْنُهم ، ومحلُّ الشدائدِ عليهم .**

واكتسابهم الأجرَ ، إن أصابَتْهم المصائبُ ، فَرَّجوها بالذكر ، وإن تنفَّس لهم الدهرُ ، وغمرتهم النعم ، قابلوها بالحمد والشكر .

حظُّهم من الدنيا ناقص ، ومن الآخرة خالص ، يتلَذَّذون بالطاعة ، ويَغْتَمُّون من البطالة والإضاعة ، لا يَعْبَأُ الناسُ بهم ذَرَّة ، ولو أقسمَ أحدُهم علىٰ ٱلله لأبَرَّه .

وقد روينا في « الصحيح » : « إِنَّ مِنْ عِبَادِ ٱللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ ٱللهِ لأَبَرَّهُ » [2] .

أخبرنا أبو حفصٍ المقرئُ : أنا أنا الإمامُ أبو الحسنِ : أنا المحبوبيُّ : أنا ستُّ الأهلِ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المُهْتدي : أنا أبو طالبٍ اليوسفيُّ : أنا ابن المُذْهِب : أنا أبو بكرٍ القَطيعيُّ : أنا عبد ٱلله بن أحمدَ : ثنا أبي : ثنا هيثمُ بن خارجةَ : ثنا إسماعيلُ بن عياشٍ ، عن نعيمِ بن أبي [. . .] ، عن شريحِ بن عبيدٍ ، عن عتبةَ

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٦) .

(٢) رواه البخاري (٢٥٥٦) ، ومسلم (١٦٧٥) ، عن أنس رضي ٱلله عنه .

ابن عبد السلامِ ، صاحبِ رسولِ ٱلله ﷺ ، قال : « إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ ٱلله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لأَبَرَّهُ » .

وأخبرنا جدِّي وغيرُه : أنا الصلاحُ بنُ أبي عمرَ : أنا الفخرُ بنُ البخاريِّ : أنا أبو جعفرٍ : أنا أبو عليٍّ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا محمدُ بن أحمدَ بن الحسنِ : ثنا محمدُ بن نصرٍ الصائغُ : ثنا إبراهيمُ ابن حمزةَ : ثنا ابن أبي حازمٍ ، عن كثيرِ بن زيدٍ ، عن الوليدِ بن رباحٍ ، عن أبي هريرةَ ، قال : قالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « رُبَّ أَشْعَثَ ذِي طِمْرَيْنِ تَنْبُو عَنْهُ أَعْيُنُ النَّاسِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ ٱلله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لأَبَرَّهُ » (١) .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : أنا أبو إسحاقَ بن حمزةَ : ثنا أحمدُ بن شعيبِ بن يزيدَ ح .

قال : وثنا إسحاقُ بن أحمدَ : أنا إبراهيمُ بن يوسفَ : ثنا محمدُ بن عزيزٍ : ثنا سلامةُ بن روحٍ : ثنا عقيلُ ، عن ابن شهابٍ ، عن أنسِ بن مالكٍ ، قال : قالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « كَمْ مِنْ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ذِي طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ ٱلله لأَبَرَّهُ ، مِنْهُمُ البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ » .

ثم إن البراءَ لقي زحفاً من المشركين ، وقد أوجع المشركون في المسلمين ، فقالوا له : يا براء ! إن رسولَ ٱلله ﷺ قال : لو أقسمتَ علىٰ ربِّكَ ، لأبرك ، فأَقْسِمْ علىٰ ربك . فقال : أقسمتُ عليكَ يا ربِّ لما منحْتَنا أكتافَهم ، فمُنحوا أكتافَهم . ثم التقوا علىٰ قنطرةِ السوس ، فأوجعوا في المسلمين ، فقالوا : أقسمْ يا براءُ علىٰ ربك ـ عز وجل ـ ،

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٧) .

قال : أُقسم عليكَ ياربِّ لما منحْتَنا أكتافهم ، وألحقتني بنبيك ﷺ ، فمنحوا أكتافهم ، وقُتل البراءُ بن مالكٍ شهيداً [1] .

* **فدعاؤهم السهمُ المصيبُ .**

فالحذرَ الحذرَ من الأسباب التي توجب الدعاءَ منهم ؛ فقد قال قائلٌ عن سعدِ بن أبي وقاصٍ قولَ كذبٍ ، فقال : اللهمَّ إن كان عبدُك كاذباً ، قام رياء وسمعة ، فاقطعْ لسانه .

فما استتمَّ دعوته حتىٰ أتاه سهمٌ فقطع لسانه [2] .

ودعاء يعصمهم من الحريق في النار ؛ كما روينا عن أبي الدرداء : أنه قيل له : احترقَ بيتك .

فقال : لم يحترق .

ثم أُتي فقيل : احترق بيتُك ، فقال : لم يحترق .

ثم أُتي فقيل له : احترق بيتُك ، فقال : لم يحترق ، لم يكنِ ٱللهُ ليفعلَ .

فجاء رجلٌ فقال : انتهتِ النارُ إلىٰ بيتك ، فلما وصلت إليه ، طفئت .

فقال : علمتُ أن ٱلله لم يكن ليفعلَ .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٧) .
(٢) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠ / ٣٤٥) .

فقيل له : ما ندري أيُّ كلامك أعجبُ ، قولُك : لم يحترق ، أو قولُك : لم يكن ٱلله ليفعلَ .

فقال : ذٰلك بكلماتٍ سمعتُهن من رسول ﷺ ، من قالهن حين يصبح ، لم يُصبه سوءٌ حتىٰ يُمسي ، ومن قالهن حين يُمسي ، لم يصبه سوء حتىٰ يُصبح .

*** وقد تحصَّنَ كثيرٌ منهم بآيات من القرآن من اللصوص والأعداء والسباع ، وكل ذٰلك شرطُه الإيمان الصادق ، ومن ليس من أهله لا ينفعُه ذٰلك .**

ونعلُ أحمدَ بن حنبلٍ أذهبتِ الجنَّ ؛ فإنه ورد أن جاريةً للخليفة كانت تُصْرَع ، فدُعي لها أحمدُ ، فضربها بنعله ، فذهب عنها ، ولم يعد ، فلما مات أحمدُ ، عاد ، فدعا لها صاحبُه أبو بكرٍ المروذيُّ ، فقال له الجني : حتىٰ تكون أحمدَ بن حنبلٍ .

وكذٰلك ذهبَ كثير منهم بقراءة شيء .

فيحكىٰ عن ابن تيمية : أنه كان يقول في أُذنه : ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس : ٥٩] ، فيزول عنه .

وأخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن البالِسيِّ : أنا المِزِّيُّ : أنا ابن أبي عمرَ : ثنا أبو جعفرٍ : أنا أبو عليٍّ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا سهلُ بن عبد ٱلله : ثنا الحسينُ بن إسحاقَ : ثنا داودُ بن رشيدٍ : ثنا الوليدُ بن مسلمٍ : ثنا ابن لهيعةَ ، عن عبد ٱلله بن هبيرةَ ، عن حَنَشٍ الصنعانيِّ ، عن عبد ٱلله بن مسعودٍ : أنه قرأ في أُذن مبتلًىٰ ، فأفاقَ ، فقال

له رسولُ ٱللهِ ﷺ : « مَا قَرَأْتَ فِي أُذُنِهِ ؟ » ، قال : قرأت : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون : ١١٥] . حتىٰ ختم السورة ، فقال له رسول ٱلله ﷺ : « لَوْ أَنَّ رَجُلاً مُوقِناً قَرَأَهَا عَلَىٰ جَبَلٍ ، لَزَالَ » (١) .

*** وقد خاف منهم ومن دعائهم الكفرةُ مع كفرهم ، لَمَّا شاهدوا الباهر من أمرهم .**

أخبرنا جدي : أنا الصلاحُ بنُ أبي عمَر : أنا الفخرُ بنُ البخاريِّ : أنا حنبلٌ : أنا ابن الحُصَينِ : أنا ابن المُذْهِبِ : أنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : ثنا عبد ٱلله بن أحمدَ بن حنبلٍ : ثنا محمودُ بن يزيدَ الكوفيُّ : ثنا محمدُ بن فضيلٍ : ثنا الصلتُ بن مطرٍ ، عن قدامةَ بن حماطة ابن أختِ سهمِ بن منجابٍ : سمعتُ سهمَ بن منجابٍ قال : غزونا مع العلاءِ بن الحضرميِّ ، فسرنا حتىٰ أتينا دارين ، والبحر بيننا وبينهم ، فقال : يا عليمُ ، يا حكيمُ ، يا عليُّ ، يا عظيمُ ! إنا عبيدُك وفي سبيلك نقاتل عدوَّك ، اللهمَّ فاجعلْ لنا إليهم سبيلاً ، فتقحَّمَ بنا البحرَ ، فخُضْنا ما يبلغُ لبودَنا ، فخرجْنا إليهم (٢) .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أنا جماعةٌ من شيوخِنا : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا أبو حامدٍ أحمدُ بن محمدٍ : ثنا محمدُ بن إسحاقَ الثقفيُّ : ثنا يعقوبُ بن إبراهيمَ ، والوليدُ بن شجاعٍ ، قالا : ثنا

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٧) .

(٢) رواه عبد ٱلله ابن الإمام أحمد في « زوائد الزهد » (ص : ١٦٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٧) .

عبد ٱلله بن بكرٍ ، عن حاتمِ بن أبي صفرةَ ، عن سماكِ بن حربٍ ، عن أبي هريرةَ ، قَال : لقد رأيتُ للعلاءِ بن الحضرميِّ ثلاثَ خصالٍ ما منهنَّ خصلةٌ إلا وهي أعجبُ من صاحبتها : انطلقْنا نسير حتىٰ قدمْنا البحرين ، وأَقبلنا نسيرُ حتىٰ كنا علىٰ شطِّ البحر ، فقال العلاءُ : سيروا ، فأتىٰ البحرَ ، فضرب دابتَه ، فسارَ وسرْنا معه ما يجاوزُ ركَب دوابنا ، فلما رآنا ابن مكعبرٍ ، عاملُ كسرىٰ ، قال : لا ، وٱلله ! لا نقابلُ هـٰؤلاءِ ، ثم قعدَ في سفينة ، فلحقَ بفارس (١) .

*** فانظرْ بعينِ بصيرتِك إلىٰ هـٰذا الكافر ، كيف فَرَّ عن ملاقاتهم ، وهربَ عن معاداتهم ، وليس هـٰذا الأمرُ بمخصوص بالصحابة والتابعين ، بل هو في كل عصر إلىٰ يوم الدين .**

أخبرنا جماعةٌ من شيوخِنا : أنا ابن البالسيِّ : أنا المِزِّيُّ : أنا شيخُ الإسلامِ ابن أبي عمَر : أنا أبو جعفرٍ : أنا أبو عليٍّ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا عبد ٱلله بن جعفرٍ : ثنا إسماعيلُ بن عبد ٱلله : ثنا سعيدُ ابن أبي مريمَ : ثنا يحيىٰ بن أيوبَ ، عن ابن عِجلانَ ، عن عياضِ بن عبد ٱلله ، عن عبد ٱلله بن عمرٍو ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « لِكُلِّ قَرْنٍ مِنْ أُمَّتِي سَابِقُونَ » (٢) .

وأخبرنا جماعةٌ من شيوخِنا : أنا ابن المحبِّ : أخبرتنا زينبُ بنتُ الكمالِ : أنا يوسفُ بن خليلٍ : أنا محمدُ بن أبي زيدٍ : أنا محمودٌ

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٨) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٨) .

الصيرفيُّ : أنا أبو الحسينِ بن فاذشاه : أنا سليمانُ بن أحمدَ : ثنا محمدٌ : ثنا إسماعيلُ بن أبي زيدون : ثنا عبد ٱلله بن هارونَ : ثنا الأوزاعيُّ ، عن الزهريِّ ، عن نافعٍ ، عن ابن عمرَ ، قال : قالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « خِيَارُ أُمَّتِي فِي كُلِّ قَرْنٍ خَمْسُ مِئَةٍ ، وَالأَبْدَالُ أَرْبَعُونَ ، فَلا الخَمْسُ مِئة يَنْقُصُونَ ، وَلا الأَرْبَعُونَ ، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ مِنَ الخَمْسِ مِئَةٍ أَبْدَ[لَ] ٱلله مَكَانَهُ ، وَأَدْخَلَ مِنَ الأَرْبَعِينَ مَكَانَهُمْ » ، قالوا : يا رسولَ ٱلله ! دُلَّنا على أعمالهم . قال : « يَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ ، وَيُحْسِنُونَ إِلَىٰ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ ، وَيَتَوَاسَوْنَ فِيمَا آتَاهُمُ ٱلله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ » [1] .

وبهِ إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا محمدُ بن أحمدَ : ثنا محمدُ بن السَّرِيِّ : ثنا قيسُ بن إبراهيمَ : ثنا عبد الرحمـٰن الأرمنيُّ : ثنا عثمانُ بن عمارةَ : ثنا المعافىٰ بن عمرانَ ، عن سفيانَ الثوريِّ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ ، عن الأسودِ ، عن عبد ٱلله ، قال : قالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « إِنَّ لله فِي الخَلْقِ ثَلَاثَ مِئَةٍ قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبِ آدَمَ ، وَلله تَعَالَىٰ فِي الخَلْقِ أَرْبَعُونَ قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبِ مُوسَىٰ ، وَلله فِي الخَلْقِ سَبْعَةٌ قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ ، وَلله فِي الخَلْقِ خَمْسَةٌ قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبِ جِبْرِيلَ ، وَللهِ فِي الخَلْقِ ثَلاثَةٌ قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبِ مِيكَائِيلَ ، وَلله فِي الخَلْقِ وَاحِدٌ قَلْبُهُ عَلَىٰ قَلْبِ إِسْرَافِيلَ ، فَإِذَا مَاتَ الوَاحِدُ ، أَبْدَلَ ٱلله مَكَانَهُ مِنَ الثَّلَاثَةِ ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ الثَّلَاثَةِ ، أَبْدَلَ ٱلله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مَكَانَهُ مِنَ الخَمْسَةِ ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ الخَمْسَةِ ، أَبْدَلَ ٱلله مَكَانَهُ مِنَ السَّبْعَةِ ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ السَّبْعَةِ ، أَبْدَلَ ٱلله مَكَانَهُ مِنَ الأَرْبَعِينَ ، وَإِذَا مَاتَ

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٨) .

مِنَ الأَرْبَعِينَ ، أَبْدَلَ ٱللهُ مَكَانَهُ مِنَ الثَّلَاثِ مِئَةٍ ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ الثَّلَاثِ مِئَةٍ ، أَبْدَلَ ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مَكَانَهُ مِنَ العَامَّةِ ، فَبِهِمْ يُحْيِي وَيُمِيت ، وَيُمْطِرُ وَيُنْبِتُ وَيَدْفَع البَلَاءَ » .

قيل لعبدِ ٱللهِ بن مسعودٍ : كيفَ بهم يحيي ويميت ؟ قال : لأنهم يسألون ٱللهَ ـ عز وجل ـ إكثارَ الأمم ، فيكثرون ، ويدعون علىٰ الجبابرة فيقصمون ، ويستسقون فيسقون ، ويسألون فتنبت لهم الأرض ، ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء [1] .

أخبرنا جدِّي وغيرُه : أنا الصلاحُ بن أبي عمرَ : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا الإمامُ أبو الفَرَجِ : أنا حمدُ بن أحمدَ : أنا أحمدُ بن عبد ٱللهِ : ثنا أبو عمرِو بنُ حمدانَ : ثنا الحسنُ بن سفيانَ : ثنا عبد الوهابِ بن الضحاكِ : ثنا ابن عياشٍ : ثنا صفوانُ بن عمرٍو ، عن خالدِ بن معدانَ ، عن حذيفةَ بن اليمانِ ، قال : قالَ رسولُ ﷺ : « يَا حُذَيْفَةُ ! إِنَّ في كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ أُمَّتِي قَوْماً شُعْثاً غُبْراً ، إِيَّايَ يُرِيدُونَ ، وَإِيَّايَ يَتَّبِعُونَ ، وَكِتَابَ ٱللهِ يُقِيمُونَ ، [أولـٰئك مِنِّي ، وَ] أَنَا مِنْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَرَوْنِي » [2] .

*** فمنحهم له ، واتباعهم له ، شبه نفسه بهم .**

كما أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أخبرتنا فاطمةُ بنتُ سعدِ الخيرِ :

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٩) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٩) .

أخبرتنا فاطمةُ بنتُ عبد ٱلله : أنا ابن ربذةَ : ثنا الطبرانيُّ : ثنا أبو بكرِ ابن سهلٍ : ثنا عمرُو بن هاشمٍ : ثنا سليمانُ بن أبي كريمةَ ، عن هشامِ بن عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالت : قالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « مَنْ سَأَلَ عَنِّي ، أَوْسَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ أَشْعَثَ شَاحِبٍ مُشَمِّرٍ ، لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَىٰ لَبِنَةٍ ، وَلا قَصَبَةً عَلَىٰ قَصَبَةٍ ، رُفِعَ لَهُ عَلَمٌ ، فَشَمَّرَ إِلَيْهِ ، الْيَوْمَ المِضْمَارُ ، وَغَداً السِّبَاقُ ، وَالغَايَةُ الجَنَّةُ أَوِ النَّارُ »[1] .

فإن النبيَّ ﷺ كان علىٰ هـٰذا الوصف ، فمن كان بهـٰذا الوصف ، فهو شبيهُ النبي ﷺ .

*** نظروا إلىٰ باطنِ العاجلةِ وفسادِها ، فرفضوها ، وإلىٰ الظاهرِ من الدنيا وزينتها ، فتحققوا أنه خيال ووبال ، فوضعوها .**

أخبرنا أبو حفصٍ المقرئُ : أنا الإمامُ أبو الحسنِ : أنا المحبوبيُّ : أنا ابنةُ علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي : أنا اليوسفيُّ : أنا ابن المذهبِ : أنا أبو بكرِ بن حمدانَ : أنا عبد ٱلله بن أحمدَ : حدثني أبي : ثنا غوثُ بن جابرٍ ، قال : سمعتُ محمدَ بن داودَ يحدِّث عن أبيه ، عن وهبِ بن منبهٍ ، قال : قالَ الحواريون : يا عيسىٰ ! مَنْ أولياءُ ٱلله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ؟ قال عيسىٰ بنُ مريمَ : الذين نظروا إلىٰ باطن الدنيا حين نظر الناس إلىٰ ظاهرها ، والذين نظروا إلىٰ آجِلِ الدنيا حين نظر الناس إلىٰ عاجِلها ، فأماتوا منها ما يخشون أن يَثْنيهم ، وتركوا ما علموا أن سيتركُهم ؛ فصار استكثارهُم منها استقلالاً ، وذكرُهم إياها فواتاً ، وفرحُهم بما أصابوا منها حزناً ؛ فما

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٢٤١) .

عارضَهم من نائلها رفضوه ، وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه ، وخَلَقَتْ الدنيا عندَهم ، فليسوا يجدِّدونها ، وخربَتْ بيوتهم ، فليسوا يُعَمِّرونها ، وماتت في صدورهم ، فليسوا يُحيونها ، يُهدمونها ، فيبنون بها آخرتهم ، ويُبيعونها ، فيشترون بها ما تبقَّىٰ لهم ، ورفضوها ، فكانوا فيها هم الفرحين ، ونظروا إلىٰ أهلها صرعىٰ قد خلت بهم المَثُلات ، وأحيوا ذكرَ الموت ، وأماتوا ذكرَ الحياة ، يُحبون ٱلله ، ويحبون ذكرَه ، ويستضيئون بنوره ، ويضيئون به ، لهم خبرٌ عجيب ، وعندهم الخبرُ العجيب ، بهم قام الكتاب ، وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا ، وبهم عُلم الكتاب ، وبه علموا ، وليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا ، ولا أماناً دون ما يرجون ، ولا خوفاً دون ما يحذرون (١) .

ولهـٰذا روينا عن محمدِ بن واسعٍ : أنه كان له بيتٌ ورثه من والديه ، فكان كلما انهدم منه شيء ، انتقل إلىٰ غيره ، حتىٰ انتهىٰ به الأمرُ إلىٰ أنه لم يبقَ منهم غيرُ الدهليز ، فانتقل إليه ، فجعل كلما انكسرت منه خشبةٌ ، انتقل إلىٰ تحت الأخرىٰ ، حتىٰ لم يبق منه غير خشبة أو خشبتين ، فانتقل إلىٰ تحتها ، فمات تحتها ، فسقطت .

وكان الحسن يقول : لو فارق ذكرُ الموت قلبي ، لفسدَ .

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَا لِي ولِلدُّنْيَا ؟ ! إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا ، كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ في ظِلِّ شَجَرَةٍ في يَوْمٍ صَائِفٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » (٢) .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ١٠) .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرك » (٧٨٥٩) عن عبد ٱلله بن مسعود رضي ٱلله عنه .

وقال : « مَثَلُ ابن آدَمَ وَالدُّنْيَا كَمَثَلِ رَجُلٍ أَدْخَلَ أُصْبَعَهُ في اليَمِّ ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ »[1] .

وقال لابن عمرَ : « كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابرُ سَبِيلٍ » .

وكانَ ابن عمَر [يقولُ] : إذا أصبحتَ ، فلا تنتظرِ المساءَ ، وإذا أمسيتَ ، فلا تنتظرِ الصباحَ ، وخُذْ من صِحَّتِكَ لمرضِك ، ومن حياتِك لموتِك[2] .

وقد ذكرتُ هـٰذا الحديثَ مرةً عندَ بعضِ الأمراءِ ، فقال : أنا وٱلله كذٰلك ، أُصبح أقولُ : ما أُمسي ، وأُمسي أقول : ما تصبح .

فقلت له : كذبتَ وٱلله .

فغضب ، وقال : هـٰكذا يا سيدي !

قلت : نعم ، فإني أنا أظن أني أزهدُ منك .

قال : بكثير .

فقلت : مع هـٰذا نفسي تحدثني أني أعيش خمسةَ آلافِ سنةٍ .

قال : خمسةَ آلافِ سنة ؟ !

قلتُ : نعم ، وأكثر .

فقال : وهل عاش أحدٌ ذٰلك ؟

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٣) ، وابن ماجه (٤١٠٨) عن المستورد رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٣) .

فقلت : ولو لم يعشْه ، نفسي تؤمِّلُ أكثرَ من ذٰلك ، وأنا أُثبتُ لك كذبَ ما تقولُ نفسُك .

وكان يُعَمِّر في عمارة عظيمة ، وهو مجتهدٌ فيها .

فقلت : لو أمسككَ السلطانُ ، وقال لك : عشيةً أقتلُك ، أو في غدٍ هنالك أكلٌ أوشربٌ أو جماعُ زوجةٍ ، أَوَ كنتَ تجتهدُ في تمام هٰذه العمارة ، أو تضحك ؟ !

فقال : لا .

فقلت : هٰذا يبين لك كذبَ هٰذا الأمر الذي تقوله بلسانك .

فالذي قلبُه مصدقٌ بهٰذا ، ونفسُه مثلُ محمدِ بن واسع ، ومثلُ ابن عمر ، الذي لم يضع لَبِنةً علىٰ لَبِنةٍ .

وأما نحن ، فكلُّ ما نحن فيه أقوالٌ باللسان ، وليس ثَمَّ من الإيمان بشيء من ذٰلك ، ولو كان إيمانٌ ، صدقَ القولَ العملُ .

وقلت مرة لبعض قُضاتنا : كلُّنا بقينا تيامنة .

قال : نعوذ بٱلله من الشيطان ، لا وٱلله ! إنما نحن علىٰ حقيقة الإيمان .

فقلت : لا وٱلله ! إنما هو قول باللسان ، ولو كان له حقيقةٌ ، صدق القول العمل .

فإن التيامنة لا تؤمن بثواب ولا عقاب ؛ فإن من آمن بالثواب والعقاب ، خاف ورجا ، ومن خاف ورجا ، ارتكبَ واجتنَب ، فارتكبَ

المأمورَ به رجاءَ الثواب ، واجتنَب المنهيَّ عنه خوفَ العقاب .

وغالبُ الناس في زماننا ليس من هٰذه المثابة في شيء ، لا عليه لا من واجب ، ولا من محرم ، وهٰذا شأنُ من لا يؤمن بثواب ولا عقاب ، وإن قال بلسانه : أؤمن بذٰلك ؛ فإن القول باللسان ليس هو المقصود ، إنما المقصود العملُ بالنفس ، كما قال النبيُّ ﷺ : « وَالنَّفْسُ تَمَنَّىٰ وَتَشْتَهِي ، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذٰلك أَوْ يُكَذِّبُهُ » (١) .

وهٰذا شأنُ المنافق ، القول باللسان في صورة الظاهر ، وليس ثَمَّ في صورة الباطن شيء ، فالمنافقُ ليس له غيرُ صورة القولِ باللسان ، والمؤمنُ علىٰ الحقيقة ، إنما له حقيقةُ صورةِ العمل .

*** فأولياءُ ٱلله صانوا أنفسَهم النفيسةَ ، عن حقارة الدنيا الدنية ، ولاحت لهم الآخرةُ بزينتها العلية ، فباعوا الدنيَّ الخسيس ، بالغالي النفيس ، وصانهم مولاهم عن القاذورات ، وجَنَّبهم ما يدنِّسهم ، وحماهم من كل شيء [فيه] أذاهم .**

فمَنْ أخافَهم ، فقد عرض نفسَه للمخاوف ، ومن آذاهم ، فقد أوقَع نفسَه في أسباب المتالف .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا الإمامُ أبو الحسنِ : أنا المحبوبيُّ : أخبرتنا ابنة علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي : أنا اليوسفيُّ : أنا ابن المُذْهبِ : أنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : أنا عبد ٱلله ابن الإمامِ أحمدَ : حدثني أبي : ثنا سفيانُ بن وكيعٍ : ثنا إبراهيمُ بن عُيينةَ ، عن

---

(١) رواه البخاري (٥٨٨٩) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

ورقاءَ ، عن سعيدِ بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ ، قال : لما بعثَ ٱللهُ ـ عز وجل ـ موسىٰ وهارون إلىٰ فرعون ، قال : لا يغرنكما لباسُه الذي ألبستُه ؛ فإن ناصيتهُ بيدي ، فلا ينطقُ ولا ينظرُ ولا يطرِفُ إلا بإذني ، ولا يغرنكما ما مُتِّع به من زهرة الدنيا وزينة المترفين ، فلو شئتُ أن أزينكما من زينة الدنيا بشيء يعرف فرعون أن قدرتَه تعجِزُ عن ذٰلك ، لفعلتُ ، وليس ذٰلك لهوانكما عليَّ ، ولٰكني ألبستُكما نصيبكما من الكرامة ؛ علىٰ أن لا ينقصكما شيئاً ، وإني لأذودُ أوليائي عن الدنيا كما يذودُ الراعي إبلَه عن مَبَارِكِ الغرة ، وإني لأُجنبهم زينةَ الدنيا ؛ كما يُجنبُ الراعي إبلَه عن مراتع الهَلَكَة ؛ أريدُ أن أنور بذٰلك مراتبهم ، وأُطَهر بذٰلك قلوبَهم ، في سيماهم الذي يعرفون به ، وأَمْرِهم الذي يفتخرون به ، واعلمْ أنه من أخاف لي ولياً ، فقد بارزني بالعداوة ، وأنا الثائر لأوليائي يوم القيامة [1] .

*** فمن بارزهم بالعداوة ، فقد بارز ٱلله ، ولن يعجزه ، وٱلله هو وليُّهم ومولاهم في الدنيا والآخرة ، وهو الآخذُ بثأرهم في الدنيا والآخرة .**

فيا مَنْ نصبَ نفسَه لمعاداة الخالق ، وجعلَه خصمَه وعدوَّه ، والثائرَ عليه !

أين تهرب ؟ وبأيِّ حصنٍ تتحصَّن ؟ وبأيِّ أعوانٍ وعددٍ تتقوَّىٰ ؟

فإذا لقيتَ من اتصف بأدنىٰ صفاتهم ، فأذلَّ لهم نفسَك ، واخفضْ

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (ص : ٦١) .

لهم جناحَك ، واحرصْ علىٰ خدمتهم ومرافقتهم ، تنلِ [١] السعادةَ في الدارين .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أنا جماعةٌ من شيوخِنا : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا أحمدُ بن السنديِّ : ثنا الحسنُ بن علويه القطانُ : ثنا إسماعيلُ بن عيسىٰ : ثنا إسحاقُ بن بشرٍ ، عن جويبرٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابن عباسٍ ح .

قال أبو نعيمٍ : وثنا أبي : ثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ : ثنا محمدُ بن سهلٍ : ثنا إسماعيلُ بن عبد الكريمِ : حدثني عبد الصمدِ بن معقلٍ ، سمعتُ وهبَ بن منبهٍ يقولُ : لما بعثَ ٱلله ـ عز وجل ـ موسىٰ وأخاه هارون إلىٰ فرعون ، قال : لا يعجبنكما زينتُه ، ولا ما مُتِّع به ، ولا تَمُدَّا إلىٰ ذٰلك أعينَكما ؛ فإنها زهرةُ الحياة الدنيا ، وزينة المترفين ، وإني لو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة يعلمُ فرعونُ حين ينظر إليها أن مقدرته تعجزُ عن مثل ما أُوتيتما ، فعلتُ ، ولٰكني أرغبُ بكما عن ذٰلك ، وأزوِّيه عنكما ، وكذٰلك أفعلُ بأوليائي ، وقديماً ما خرتُ لهم في ذٰلك ، فإني لأذودُهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيقُ غنمَه عن مراتع الهلكة ، وإني لأُجَنبهم شهوتَها وعيشتَها كما يجنبُ الراعي الشفيقُ إبلَه عن مبارِكِ الغرة ، وما ذٰلك لهوانهم عليَّ ، ولٰكن ليستكملوا نصيبَهم من كرامتي سالماً موفراً ، لم تكلِمْه الدنيا ، ولم يُطْغِه الهوىٰ ، واعلم أنه لم

---

(١) في الأصل : « تنال » .

يتزين العبادُ بزينةٍ أبلغَ فيما عندي من الزهد في الدنيا ؛ فإنها زينةُ المتقين ، عليهم منها لباسٌ يعرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، أولـٰئك هم أوليائي حقاً حقاً ، فإذا لقيتَهم ، فاخفضْ لهم جناحَك ، وذلل لهم قلبك ولسانك ، واعلم أنه من أهان لي ولياً ، أو أخافه ، فقد بارزني بالمحاربة ، وباراني ، وعرض لي نفسه ، ودعاني إليها ، وأنا أسرع شيء إلىٰ نصرة أوليائي ، أَفيظنُّ الذي يحاربني أن يقوم لي ، أو يظن الذي يعاديني أن يعجزني ، أو يظن الذي يبارزني أن يسبقني ، أو يفوتني ؟ ! وكيف وأنا الثائرُ لهم في الدنيا والآخرة ، لا أَكِلُ نُصرتهم إلىٰ غيري ؟

زاد إسماعيلُ بن عيسىٰ في حديثه : فاعلمْ يا موسىٰ : أن أوليائي الذين أَشعروا قلوبَهم خوفي ، فتظهر علىٰ أجسادهم في لباسهم وجهدهم الذي يفوزون به يوم القيامة ، وأملهم الذي به يذكرون ، وسيماهم الذي به يعرفون ، فإذا لقيتَهم ، فذلِّلْ لهم نفسَك [1] .

*** فهـٰؤلاء القومُ عليهم زينةُ الأولياء ، وحِلْيَةُ المتقين ، أعظمُ بهجةً وزينةً من زينة الدنيا** ، أنوارُهم ظاهرة ، وقلوبُهم طاهرة ، وأرواحُهم روحانية ، ونفوسُهم عُلوية ، فلا يعرفُهم إلا عبادُ الرحمـٰن ، ولا تظهر سيماهم إلا لأهل الإيمان .

وأما عبادُ الشيطان وحزبُه ، فإن الشيطان قد عاداهم ، وهرب منهم ، فلا يشتهي رؤياهم ، وأوحىٰ إلىٰ حزبه من الجن والإنس أذاهم .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ١١ ـ ١٢) .

فإن قام أحدهم يصلي أو يتصدق ، قالوا : مُراءٍ ، وإن تكلم بالحق ، بُغض ومُقت .

وإن خفيت هـٰذه الزينةُ الربانيةُ عن حزب الشيطان ، فهم أطباءُ الخلق علىٰ الحقيقة ، وحكماءُ الناس علىٰ الطريقة .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن البالسيِّ : أنا المِزِّيُّ : أنا ابن أبي عمرَ ، وابن البخاريِّ : أنا الإمامُ أبو الفَرَجِ : أنا حمدُ بن أحمدَ : أنا أحمدُ بن عبد ٱلله : ثنا أبو الحسنِ أحمدُ بن محمدٍ : ثنا العباسُ ابن يوسفَ : حدثني محمدُ بن عبد الملكِ ، قال : قال عبد الباري : قلتُ لذي النونِ : صفْ لي الأبدالَ ، فقال : إنكَ لتسألُني عن دياجي الظُّلَم لأكشفَها لك ، عبد الباري ! هم قوم ذكروا ٱلله بقلوبهم تعظيماً لربهم لمعرفتهم بجلاله ، فهم حُجج ٱلله علىٰ خلقه ، ألبسهم النورَ الساطعَ من محبته ، ورفعَ لهم أعلامَ الهداية إلىٰ مواصلته ، وأقامهم مقامَ الأبطال لإرادته ، وأفرغَ عليهمُ الصبرَ عن مخالفته ، وطهَّر أبدانَهم بمراقبته ، وَطَيَّبَهم بطيب أهل معاملتِه ، وكساهم حُللاً من نسج مودَّته ، ووضعَ علىٰ رؤوسهم تيجانَ مسرَّته ، ثم أودعَ القلوبَ من ذخائرِ الغيوبِ ، فهي معلَّقة بمواصلته ، فهمومُهم إليه ثائرة ، وأعينُهم إليه بالغيب ناظرة . قد أقامَهم علىٰ باب النظر من قربه ، وأجَلسَهم علىٰ كراسي أطباءِ أهلِ معرفته . ثم قال لهم : إن أتاكم عليلٌ من فقدي ، [فـ]آووه ، أو مريضٌ من شوقي ، فعالجوه ، أو خائف مني ، فأَمِّنوه ، أو آمنٌ من بَطْشي ، فَحَذِّروه ، أو راغبٌ في مواصلتي ، فَمَنُّوه ، أو راحلٌ نحوي ، فزوِّدوه ، أو جبانٌ عن متاجري ، فشجِّعوه ، أو آيسٌ من

فضلي ، فغذوه ، أو راجٍ لإحساني ، فبشِّروه ، أو حسنُ الظن بي ، فباسطوه ، أو محبٌّ لي ، فواظبوه ، أو معظِّمٌ لقدري ، فعظِّموه ، أو سائرٌ نحوي عني ، فأرشدوه ، أو مسيءٌ بعد إحسان ، فعاتبوه ، ومَنْ واصلَكُم ، فواصلوه ، ومن غابَ عنكم ، فافتقدُوه ، ومن حَمَّلَكم جنايةً ، فاحتملوه ، ومن قَصَّر في واجبِ حقي ، فاتركوه ، ومن أخطأ خطيئة ، فناصِحوه ، ومن مرضَ من أوليائي ، فعودُوه ، ومن حزنَ ، فبشِّروه ، وإن استجارَ بكم ملهوفٌ ، فأجيروه .

يا أوليائي ! لكم عاتبتُ ، وفي آثاركم رغبتُ ، ومنكم الوفاء طلبتُ ، ولكم اصطفيتُ وانتخبتُ ، ولكم استخدمتُ واختصصتُ ، إني لا أحبُّ استخدامَ الجبارين ، ولا مواصلةَ المتكبرين ، ولا مصافاةَ المخلِّطين ، ولا مجاورةَ المخادعين ، ولا قربَ المعجَبين ، ولا مجالسة البطَّالين ، ولا موالاةَ الشَّرِهين .

يا أوليائي ! جزائي لكم أفضلُ الجزاء ، وعطائي لكم أجزلُ العطاء ، وبذلي لكم أفضلُ البذل ، وفضلي عليكم أكثرُ الفضل ، ومعاملتي لكم أوفىٰ المعاملة ، ومطالبتي لكم أشدُّ المطالبة ، أنا محيي القلوب ، وأنا علامُ الغيوب ، أنا مراقبُ الحركات ، أنا ملاحظُ اللحظات ، أنا المشرفُ علىٰ الخواطر ، أنا العالمُ بمجالِّ الفِكر ، فكونوا دعاةً إليَّ ، لا يفزعْكم دوني سلطانٌ سواي ، فمن عاداكم ، عاديتهُ ، ومن والاكُم ، واليتهُ ، ومن آذاكم ، أهلكتهُ ، ومن أحسنَ إليكم ، جازيتهُ ، ومن هجركم ، قَلَيْتُه [١] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ١٢ ـ ١٣) .

فإن كنتَ من أهل المعرفة والذَّكاء ، بانَ لك الحكماءُ والأطباء ، وعرفتَ المقربين والأحباء ، وإن كنت من أهل الذَّوْق ، عرفتَ الخلخالَ من الطَّوق ، وإن كنت من [أهل] العشق والمحبة ، فَرَّقت بين العجوز والشبَّة ، وإن كنتَ من أهل التورع ، عرفتَ الأصلَ من الفرع ، وإن كنتَ من جنس الثور والحمار ، لم تعرفِ النافع من الضار ، والماء [الحارَّ] من البارد ، والبارد من الحار ، والمطعم من الجزار .

* **فأهلُ ٱلله به كَلِفُون ، يُسرعون إلىٰ محبته وطاعته ، ويَكْلَفون بعبادته ومحبته ، يَغضبون لغضب ٱلله ، ويرضَوْن لرضاه .**

قد تركوا هواهم لمولاهم ، فوالاهم وأدناهم ، وناداهم وحياهم ، فليس الناس إلا هم .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا الحافظُ أبو بكرِ بن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أنا فاطمةُ بنتُ سعدِ الخيرِ : أخبرتنا فاطمةُ بنتُ محمدٍ : أنا ابن ربذةَ : أنا سليمانُ بن أحمدَ : ثنا أحمدُ بن منصورٍ : ثنا محمدُ بن إسحاقَ : ثنا عبد ٱلله بن محمدِ بن يحيىٰ بن عروةَ ، عن هشامِ بن عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، عن النبيِّ ﷺ : « أَنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : يا ربِّ ! أخبرني بأكرمِ خلقِك عليكَ ، قال : الذي يُسرع إلىٰ هوايَ إسراعَ النَّسرِ إلىٰ هواه ، والذي يَكْلَفُ بعبادي الصالحينَ كما يَكْلَفُ الصَّبيُّ بالناس ، والذي يغضَبُ إذا انْتُهِكَتْ محارمي غضبَ النَّمِرِ لنفسِه ؛ فَإِنَّ النَّمِرَ إِذَا غَضِبَ ، لَمْ يُبَالِ أَقَلَّ النَّاسُ أَمْ كَثُرُوا » [1] .

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٨٣٩) .

وأخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا المِزِّيُّ : أنا ابن أبي عمرَ ، وابن البخاريِّ : أنا الإمامُ أبو الفَرَج : أنا حمدُ بن أحمَد : أنا أحمدُ بن عبد ٱلله : ثنا أبي : ثنا أحمدُ بن محمدٍ : ثنا أبو عثمانَ سعيدُ بن عثمانَ : ثنا أبو الفيضِ ذو النونِ المصريُّ ، قال : إن لله لصفوةً من خلقه ، وإن لله ـ عز وجل ـ لخيرةً [من خلقه] ، فقيل له : يا أبا الفيض ! فما علامتُهم ؟ قال : إذا خلع العبدُ الراحةَ ، وأعطىٰ المجهودَ في الطاعة ، وأحبَّ سقوطَ المنزلة .

فقال له بعضُ مَنْ كان في المجلس حاضراً : يا أبا الفيض ! من هٰؤلاء القوم رحمك ٱلله ؟ فقال : ويحك ! هٰؤلاء قومٌ جعلوا الركبَ لجباههم وساداً ، والترابَ لجنوبهم مِهاداً ، هٰؤلاء خالطَ القرآنُ لحومَهم ودماءهم ، فعزلهم عن الأزواج ، وحَرَّكهم بالإدلاج ، فوضعوه علىٰ أفئدتهم فانفرجت ، وضموه إلىٰ صدورهم فانشرحت ، وتصدعت هممُهم به فكدحت ، فجعلوه لظلمتهم سِراجاً ، ولنومهم مهاداً ، ولسبيلهم مِنهاجاً ، ولحجتهم إفلاجاً ، يفرح الناسُ ويحزنون ، وينام الناسُ ويسهرون ، ويُفطر الناسُ ويصومون ، ويأمن الناسُ ويخافون . فهم خائفون حَذِرون ، وَجِلون مُشْفِقون مشمِّرون ، مبادِرُون من الفوت ، ويستعدُّون للموت ، يتصغر جسيمُ ذٰلك عندهم لعظم ما يخافون من العذاب ، وخطرِ ما يوعدون من الثواب ، درجوا علىٰ شرائع القرآن ، وتخلصوا بخالص القربان ، واستناروا بنور الرحمٰن ، فما لبثوا أن أنجز لهم القرآنُ موعودَه ، وأوفىٰ لهم عهودَه ، وأحلَّهم سُعودَه ، وأجارهم وعيدَه ، فنالوا به الرغائب ، وعانقوا به الكواعب ، وأمنوا به العواطب ،

وحذروا به العواقب ؛ لأنهم فارقوا الدنيا بعين قالية ، ونظروا إلىٰ ثواب الآخرة بعين راضية ، واشتروا الباقية بالفانية ، فِنعْمَ ما اتَّجروا وربحوا الدارين ، وجمعوا الخيرين ، واستكملوا الفضلين ، بلغوا أفضل المنازل ، بصبرِ أيامٍ قلائل ، قطعوا الأيامَ باليسير ، حذارَ يومٍ قمطرير ، وسارعوا في المهلة ، وبادروا خوفَ حوادث الساعات ، ولم يركبوا أيامهم باللَّهو واللذات ، بل خاضوا الغمرات للباقيات الصالحات ، أوهن وٱلله قُوَّتهم التعب ، وَغيَّرَ لونَهم النَّصَب ، وذكروا ناراً ذاتَ لهب ، يتسارعون إلىٰ الخيرات ، منقطعين عن اللذات ، بريئون من الريب والخنا ، فهم خُرْسٌ فصحاء ، عُمْيٌ بصراء ، فعنهم تقصر الصفات ، وبهم تدفع النقمات ، وعليهم تتنزل البركات ، فهم أحلىٰ الناس منطقاً ومذاقاً ، وأوفىٰ الناس عهداً وميثاقاً ، سراجُ العباد ، ومنارُ البلاد ، ومصابيحُ الدجىٰ ، ومعادنُ الرحمة ، ومنابع الحكمة ، وقوامُ الأمة ، تَجَافىٰ جنوبُهم عن المضاجع ، فهم أقبلُ الناس للمعذرة ، وأصفحُهم بالمغفرة ، وأسمحُهم بالعطيَّة ، نظروا إلىٰ ثواب ٱلله بأنفُسٍ تائقة ، وعيونٍ وامقة ، وأعمالٍ موافقة ، فحلُّوا عن الدنيا مطيَّ رحالهم ، وقطعوا منها حبالَ آمالهم ، لم يدعْ لهم خوفُ ربهم من أموالهم تليداً ولا عتيداً ، فتراهم لم يشتهوا من الأموال كنوزَها ، ولا من الأوبار خُزوزَها ، ولا من المطايا عزيزَها ، ولا من القصور مَشيدَها .

بلىٰ ! ولٰكنهم نظروا بتوفيق ٱلله ـ عز وجل ـ وإلهامِهِ لهم ، فحركهم ما عرفوا بصبر أيام قلائل ، فصمُّوا عن المحارم ، وكفوا أيديهم عن ألوان المطاعم ، وهربوا بأنفسهم عن المآثم ، فسلكوا من السبيل رشاده ،

ومَهَّدُوا للرشاد مِهادَه ، وشاركوا أهلَ الدنيا في آخرتهم ، عزوا عن الرزايا ، وغُصصِ المنايا ، هابوا الموتَ وسكراتِهِ ، وكُرُباتِهِ وفَجَعاته ، ومن القبرِ وضِيقه ، ومنكرٍ ونكيرٍ ومن ابتدارهما ، وانتهارِهما وسؤالهما ، ومن المقامِ بين يدي ٱلله ـ عز وجل ـ ، وأمنهم مولاهم من تلك المخاوف .

قال الحافظُ أبو نعيمٍ : وهم مصابيحُ الدجىٰ ، وينابيعُ الرشدِ والحِجَىٰ ، خُصُّوا بخفيِّ الاختصاص ، واتقوا من التصنيع بالإخلاص [1] .

* **إن حضروا ، لم يعرفهم من الناس غيرُ الخواص ، وإن غابوا ، لم يفقدهم غيرُ شذوذٍ من ذوي الإخلاص .**

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدين : أنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا عبد ٱلله بن محمدٍ ، ومحمدُ بن أحمدَ ، وجماعةٌ ، قالوا : ثنا الفضلُ بن الحبابِ : ثنا شاذ بن فياضٍ : ثنا أبو قحذمٍ ، عن أبي قِلابةَ ، عن عبد ٱلله بن عمرَ بن الخطابِ ، قال : مرَّ عمرُ بن الخطاب بمعاذِ بن جبلٍ وهو يبكي ، فقال : ما يبكيكَ يا معاذُ ؟ فقال : سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقول : « أَحَبُّ العِبَادِ إِلَىٰ ٱلله تَعَالَىٰ الأَتْقِيَاءُ الأَخْفِيَاءُ ، الَّذِينَ إِذَا غَابوا ، لَمْ يُفْقَدُوا ، وَإِذَا شَهِدُوا ، لَمْ يُعْرَفُوا ، أولـٰئك أَئِمَّةُ الهُدَىٰ ، وَمَصَابِيحُ العِلْمِ » [2] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ١٤ ـ ١٥) .
(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ١٥) .

أَخْلصوا في العلم ، وقَصَّروا الأَمَل ، تمرُّ الفتنُ ، فتنجلي عنهم من غير ضرر ، وتصقل قلوبهم ، جلَي السيفِ من الران .

كما أخبرنا جدِّي وغيرُه : أنا الصلاحُ بن أبي عمرَ : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا الإمامُ أبو الفَرَج : أنا حمدُ بن أحمدَ : أنا أحمدُ بن عبد ٱلله : ثنا أبو عمرِو بن حمدانَ : ثنا الحسنُ بن سفيانَ : ثنا أبو موسىٰ إسحاقُ بن إبراهيمَ بن الهرويُّ : ثنا أبو معاويةَ عمرُو بن عبد الجبارِ السنجاريُّ : ثنا عبيدةُ بن حسانَ ، عن عبد الحميدِ بن ثابتِ بن ثوبانَ مولىٰ رسولِ ٱلله ﷺ : حدثني أبي ، عن جدي ، عن رسولِ ٱلله ﷺ : شهدتُ من رسولِ ٱلله ﷺ مجلساً ، فقال : « طُوبَىٰ لِلْمُخْلِصِينَ ، أولـٰئك مَصَابيحُ الهُدَىٰ تَنْجَلِي عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ »[1] .

*** إن قيل لهم الحقُّ ، قبلوه ، وإن سئلوا ما عندهم ، بذلوه ، [ولو أنَّ] الحق كان لهم أو عليهم .**

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا محمدُ بن أحمدَ : ثنا بشرُ بن موسىٰ : ثنا يحيىٰ بن إسحاقَ ح .

وأخبرنا جدِّي : أنا الصلاحُ بن أبي عَمر : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا حنبلٌ : أنا ابن الحُصَينِ : أنا ابن المُذْهِبِ : أنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : أنا عبد ٱلله بنُ الإمامِ أحمدَ : ثنا أبي ، عن يحيىٰ بن إسحاقَ : ثنا

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ١٦) .

ابن لهيعةَ ، عن خالدِ بن أبي عمرانَ ، عن القاسمِ بن محمدٍ ، عن عائشةَ ، قالت : قالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « أَتَدْرُونَ مَنِ السَّابِقُونَ إِلَىٰ ظِلِّ ٱللهِ ؟ » ، قالوا : ٱللهُ ورسوله أعلمُ . قال : « الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا الحَقَّ قَبِلُوهُ ، وَإِذَا سُئِلُوهُ بَذَلُوهُ ، وَحَكَمُوا لِلنَّاسِ كَحُكْمِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ »[1] .

* **استوىٰ عندَهم الذهبُ والحجر ، والصفوُ والكدر ، والمادحُ والذامُّ ، وجميعُ أنواع الطعام** ، ولهٰذا كان أحمدُ يقول : طعامٌ دونَ طعام ، وشرابٌ دونَ شراب ، وأيامٌ قلائلُ .

وكان يقول : ما بينك وبين لذته ، حتىٰ ينزل من بلعومك .

وقال ولدُه : ما رأيتُ أبي أكلَ البطيخَ علىٰ سبيل التفكُّه ، إلا أن يكون علىٰ سبيل الغذاء .

* **قلوبُهم بالعرش مُعَلَّقَة ، وبما جاء ٱللهُ مصدِّقة ، ينبسطون جَهْراً ، وينقبِضُون سراً ، يبسطهم الارتياحُ والاشتياق ، ويُقلقهم خوفُ القطيعة والفراق ، مؤونَتُهم خفيفة ، وأرواحُهم لطيفة ، ومعاشرتُهم ظريفة .**

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا أبو عليٍّ الحداد : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا عبد ٱللهِ بن محمدِ بن جعفرٍ : ثنا عبد ٱللهِ بن محمدِ بن زكريا : ثنا سَلَمَةُ بنُ شَبيبٍ : ثنا الوليدُ بن إسماعيلَ : ثنا شيبانُ بن مهرانَ ، عن خالدِ بن المغيرةِ ، عن مكحولٍ ، عن عياضِ بن

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٦ / ٦٧) .

غنمٍ : أنه سمعَ رسولَ ٱللهِ ﷺ يقول : « إِنَّ مِنْ خِيَارِ أُمَّتِي ـ فِيمَا نَبَّأَنِي المَلأُ الأَعْلَىٰ ، في الدَّرَجَاتِ العُلا ـ قَوْماً يَضْحَكُونَ جَهْراً مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ رَبِّهِمْ ، وَيَبْكُونَ سِرّاً مِنْ خَوْفِ شِدَّةِ عَذَابِ رَبِّهِمْ ، يَذْكُرُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ في بُيُوتِهِ الطَّيِّبَة ، وَيَدْعُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ رَغَباً وَرَهَباً ، وَيَسْأَلُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ خَفْضاً وَرَفْعاً ، ويشتاقون إليه بقلوبهم عَوْداً وبَدْءاً ، مَؤُونَتُهُم علىٰ الناس خفيفة ، وعلىٰ أنفسِهم ثقيلة ، يَدِبُّون في الأرض حفاةً علىٰ أقدامهم دبيبَ النملِ بغيرِ مَرَحٍ ولا بَذْخٍ ولا مُثْلَةٍ ، يمشون بالسكينة ، ويتقربون بالوسيلة ، يلْبَسون الخُلْقان ، ويَتْبعون البرهان ، ويتلون الفرقان ، ويقربون القربان ، عليهم من ٱللهِ شهودٌ حاضرة ، وأعينٌ حافظة ، ونعمٌ ظاهرة ، يتوسمون العباد ، ويتفكرون في البلاد ، أجسادُهم في الأرض ، وأعينُهم في السماء ، أقدامُهم في الأرض ، وقلوبهم في السماء ، أنفسُهم في الأرض ، وأفئدتهم عند العرش ، أرواحُهم في الدنيا ، وعقولُهم في الآخرة ، ليس لهم هَمّ إلا ما أمامهم ، فنورُهم ومقامهم عند ربهم ، ثم تلا هـٰذه الآية : ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم : ١٤] .

*** يبادرون إلىٰ حقِّ ٱللهِ من غير تسويفٍ ، ويوفون الطاعةَ من غير تطفيف [١] .**

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أخبرتنا فاطمةُ بنتُ سعدِ الخيرِ : أخبرتنا فاطمةُ

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ١٦ ـ ١٧) .

الجوردانيةُ : أنا ابن ربذةَ : أنا سليمانُ بن أحمدَ : ثنا محمدُ بن موسىٰ : ثنا عمرُ بن يحيىٰ : ثنا حكيمُ بن حزامٍ ، عن أبي جنابٍ ، عن أبي الزبيرِ ، عن جابرٍ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ ٱللهِ ثَلاثاً : إِذَا رَأَىٰ حَقّاً مِنْ حُقُوقِ ٱللهِ ، لَمْ يُؤَخِّرْهُ إِلَىٰ أَيَّامٍ لا يُدْرِكُهَا ، وَأَنْ يَعْمَلَ العَمَلَ الصَّالِحَ العَلانِيَةَ عَلَىٰ قَوَامٍ مِنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِيرَةِ ، وَهُوَ يَجْمَعُ مَعَ ما يَعْمَلُ صَلاحَ ما يُؤَمِّلُ » .

قالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « فَهَٰكذا وَلِيُّ ٱللهِ » ، وعقدَ بيدِه ثلاثاً ، أو قالَ : ثلاثين [1] .

*** وهم أتمُّ الناسِ عقلاً ، وأحسنُهم قولاً وفعلاً ، زهدوا في الدنيا ، وسارعوا إلىٰ رضا ٱللهِ في سائر الأشياء .**

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن البالسيِّ : أنا المِزِّيُّ : أنا ابن أبي عمرَ ، وابن البخاريِّ : أنا الإمامُ أبو الفَرَجِ : أنا حمدُ بن أحمدَ : أنا أحمدُ بن عبد ٱللهِ : ثنا أبو بكرِ بن خلادٍ : ثنا الحارثُ بن أبي أسامةَ : ثنا داودُ بن المحبرِ : ثنا ميسرةُ بن عبدويهِ ، عن حنظلةَ بن وداعةَ ، عن أبيه ، عن البراءِ بن عازبٍ : أن النبيَّ ﷺ قال : « إِنَّ للهِ خَوَاصَّ يُسْكِنُهُمُ الرَّفِيعَ مِنَ الجِنَانِ ، كَانُوا أَعْقَلَ النَّاسِ » ، قلنا : يا رسولَ ٱللهِ ! ﷺ وكيف كانوا أعقلَ الناس ؟ قال : « كَانَتْ هِمَّتُهُمُ المُسَابَقَةَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَالمُسَارَعَةَ إِلَىٰ ما يُرْضِيهِ ، وَزَهِدُوا فِي فُضُولِ الدُّنْيَا وَرِيَاشِهَا وَنَعِيمِهَا ، وَهَانَتْ عَلَيْهِمْ فَصَبَرُوا قَلِيلاً ، وَاسْتَرَاحُوا طَوِيلاً » [2] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ١٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ١٧) .

وهـٰذه قاعدةٌ معروفة من الناس : من تعبَ قليلاً ، استراح طويلاً ، ومن خافَ ، أَدْلَجَ ، ومن أدلجَ ، بلغَ المنزلَ ، ومن اجتهدَ ، نالَ .

* **وقد ذكر ٱلله ـ عز وجل ـ كثيراً من صفاتهم في كتابه ؛ كقوله :** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات : ١٦ ـ ١٩] .

وقوله : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح : ٢٩] .

أخبرنا أبو حفص المقرئُ : أنا أبو الحسن الموصليُّ : أنا المحبوبيُّ : أنبأ ابنةُ علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي : أنا أبو طالبٍ اليوسفيُّ : أنا ابن المُذْهبِ : أنا أبو بكرِ بن حمدانَ : أنا أبو عبد الرحمـٰن عبد ٱلله بن أحمدَ : ثنا شيبانُ : ثنا أبو هلالٍ : ثنا بكرُ بن عبد ٱلله المزنيُّ ، قال : لما أُلقي إبراهيمُ عليه السلام في النار ، جأرت عامةُ الخليقةِ إلىٰ ربها ، فقالوا : يا ربِّ ! خليلُك يُلقىٰ في النار ، فائذَنْ لنا أن نُطفئَ عنه ، قال : هو خليلي ، ليس لي في الأرض خليلٌ غيرُه ، وأنا ربُّه ، ليس له ربٌّ غيري ، فإن استغاثكُم ، فأَغيثوه ، وإلا ، فدعوه . قال : فجاء مَلَكَ القَطْر فقالَ : يا ربِّ ! خليلُك يُلقىٰ في النار ، فائذنْ لي أن أُطفئ عنه بالقَطْر ، قال : هو خليلي ، ليس لي في الأرض خليلٌ غيرُه ، وأنا ربُّه ، ليس له ربٌّ غيري ، فإن استغاثك ، فأَغِثْه ، وإلا ، فدعْه ، فلما أُلقي في النار ، دعا ربَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ ، فقال ٱلله :

﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيـمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] ، قال : فبردت يومئذ علىٰ أهل المشرق والمغرب ، فلم ينضَجْ بها كُراعٌ (١) .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا المِزِّيُّ : أنا ابن أبي عمرَ ، والفخرُ بن البخاري : أنا الإمامُ أبو الفَرَجِ : أنا حمدُ بن أحمدَ : أنا أحمدُ بن عبد ٱلله : أنا أحمدُ بن السنديِّ : ثنا الحسنُ بن علويه : ثنا إسماعيلُ : ثنا إسحاقُ بن بشرٍ ، قال : قال مقاتلٌ وسعيدٌ : لما جيء بإبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فخلعوا ثيابه ، وشدوا قماطه ، ووُضع في المنجنيق ، بكت السماءُ والأرض ، والجبال والشمس والقمر ، والعرش والكرسي والسحاب ، والريح والملائكة ، كلٌّ يقول : يا ربِّ ! إبراهيمُ عبدُك بالنار يُحرق ، فائذنْ لنا في نصرته ، فقالت النار وبكت : يا ربِّ سَخَّرتني لبني آدم ، وعبدُك يحرَق بي ، فأوحىٰ ٱلله إليهم : إن عبدي إيايَ عبدَ ، وفي جنبي أوذي ، إن دعاني ، أجبته ، وإن استنصركم ، فانصروه . فلما رُمي استقبله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بين المنجنيق والنار ، فقال : السلامُ عليك يا إبراهيمُ ، أنا جبريل ، ألك حاجةٌ ؟ قال : أما إليك ، فلا ، حاجتي إلىٰ ٱلله ربي ، فلما قُذف في النار ، سبقه إسرافيلُ ، فسلط النار علىٰ قِماطه فأكلته ، وقال ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيـمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] ، فلو لم يخلط بالسلام ، لمات فيها برداً (٢) .

فهـٰذه النارُ التي هي أضرُّ شيء لبني آدم ، أرادَ عدوُّ ٱلله إحراقَ

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ١٩ ـ ٢٠) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٠) .

نبيِّ ٱللهِ وخليلهِ بها ، فجعلَها ٱللهُ عليه برداً وسلاماً ، حتىٰ كانت عليه ألذَّ من جميع لذات الدنيا .

أخبرنا جماعة من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا الحسينُ بن محمدٍ : ثنا يحيىٰ بن محمدٍ : ثنا يوسفُ القطانُ : ثنا مهرانُ بن أبي عمرَ : ثنا إسماعيلُ بن أبي خالدٍ ، عن المنهالِ بن عمرٍو ، قال : أُخبرت أنَّ إبراهيمَ عليه السلام لما أُلقي في النار ، كان فيها ما أدري إما خمسين ، وإما أربعين يوماً ، قال : ما كنت أياماً وليالِيَ قَطُّ أطيبَ عيشاً مني إذْ كنتُ فيها ، ووَدِدْتُ أنَّ عيشي وحياتي كلَّها مثل عيشي إذ كنت فيها [1] .

فانظر إلىٰ أضر شيء ، بقدرة القادر صيره علىٰ حبيبه ألذَّ شيء ، وكيف لا يكون كذٰلك ، والعذابُ والنعيم ، والضرُّ والنفع ، الكل بيده ، فهو القادرُ أن يجعل العذابَ نعيماً ، والنعيمَ عذاباً ، والضرَّ نفعاً ، والنفعَ ضراً ، والكلُّ بيده ، إذا أراد شيئاً ، فإنما يقول له : كن فيكون .

* **وكذٰلك جعل ٱللهُ ـ عز وجل ـ الضيقَ وقلَّةَ الدنيا لأوليائه لذةً ، وجعل الاتساعَ من الدنيا وما فيها عذاباً لأهلها** ؛ فإن كثيرها هموم وغموم ، وهي تدنس المتقين ، كما قيل لأبي بكر ـ رضي ٱلله عنه ـ : ألا تستعمل أهلَ بدرٍ ؟ قال : إني أرىٰ مكانَهم ، ولـٰكني أكره أن أُدَنِّسهم بالدنيا [2] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٠) .

(٢) انظر : « حلية الأولياء » لأبي نعيم (١ / ٣٧) .

أخبرنا أبو حفص المقرئُ : أنا الإمامُ أبو الحسنِ : أنا المحبوبيُّ : أنبأ ابنةُ علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي : أنا أبو طالبٍ اليوسفيُّ : أنا ابن المُذْهبِ ، أنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : ثنا عبد ٱلله بن أحمدَ : حدثني أبي : ثنا يزيدُ : ثنا المسعوديُّ ، عن عونِ بن عبد ٱلله ، قال : قالَ عبد ٱلله : لا يبلغُ عبدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتىٰ يحلَّ بذروتِهِ ، ولا يحلُّ بذروته حتىٰ يكونَ الفقرُ أحبَّ إليه من الغنىٰ ، والتواضعُ أحبَّ إليه من الشرف ، وحتىٰ يكونَ حامدُه وذامُّه عندَه سواءً (١) .

قال : ففسرها أصحابُ عبد ٱلله ؛ قالوا : حتىٰ يكون الفقرُ في الحلال أحبَّ إليه من الغنىٰ في الحرام ، والتواضعُ في طاعة ٱلله أحبَّ إليه من الشرفِ في معصية ٱلله ، وحتىٰ يكون حامدُه وذامُّه عندَه في الحقِّ سواءً .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدين : أنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا الحافظ أبو نعيمٍ : ثنا أبو محمدِ بن حيانَ : ثنا أحمدُ بن عليٍّ بن الجارودِ : ثنا عبد ٱلله بن سعيدٍ الكنديُّ : ثنا حفصُ بن غياثٍ ، وأبو يحيىٰ التيميُّ ، قالا : عن ليثٍ ، عن عثمانَ ، عن زاذانَ ، عن سلمانَ ، قال : إن ٱلله تعالىٰ إذا أراد بعبدٍ شراً ، أوَ هَلَكَةً ، نزعَ منه الحياءَ ، فلم تلقَه إلا مَقيتاً مُمَقَّتاً ، فإذا كانَ مَقيتاً ممقَّتاً ، نُزعت منه الرحمةُ ، فلم تلقَهُ إلا فَظّاً غليظاً ، فإذا كان كذٰلك ، نُزعت معه الأمانةُ ،

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ١٣٢) .

فلم تلقه إلا خائناً مخوَّناً ، فإذا كان كذٰلك ، نزعتْ رِبْقَةُ الإسلام من عُنقه ، فكان لعيناً ملعَّناً [1] .

وفي رواية : فلا يبالي ٱلله في أيِّ وادٍ هلك [2] .

وقال بعضهم : إذا كان كذٰلك ، أهلكه ٱلله بما شاء من غضبه .

أخبرنا أبو حفص المقرئُ : أنا الإمامُ أبو الحسنِ : أنا المحبوبيُّ : أخبرتنا ابنةُ علوانَ : أنا ابن المهتدي : أنا أبو طالبٍ اليوسفيُّ : أنا ابن المذهبِ : أنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : أنا عبد ٱلله بن الإمامِ أحمدَ : حدثني أبي : ثنا أبو المغيرةِ : ثنا جريرٌ : ثنا حبيبُ بن عبيدٍ : أن رجلاً أتىٰ أبا الدرداء ، وهو يريد الغزو ، فقال : يا أبا الدرداء ! أوصني ، فقال : اذكرِ ٱلله في السراء ، يذكرك في الضراء ، وإذا أشرفت علىٰ شيء من الدنيا ، فانظر إلىٰ ما يصير [3] .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدين : أنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا محمدُ بن أحمدَ : ثنا بشرُ ابن موسىٰ : ثنا أبو عبد الرحمـٰن المقرئُ : ثنا سعيدُ بن أبي أيوبَ ، عن عبد ٱلله بن الوليدِ ، عن عباسِ بن خليدٍ ، عن أبي الدرداءِ : أنه قال : لولا ثلاثُ خلالٍ ، لأحببتُ أن لا أبقىٰ في الدنيا ، قلت : وما هن ؟ فقال :

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٠٤) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨ / ١٤٧) .

(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٠٩) .

لولا وضوعُ وجهي للسجود لخالقي في اختلاف الليل والنهار يكون تقدمة لحياتي ، وظمأ الهواجر ، ومقاعدةُ أقوامٍ ينتقون الكلام كما تنتقىٰ الفاكهة ، وتمامُ التقوىٰ أن يتقي ٱللهَ العبدُ حتىٰ يتقيه في مثل مثقال ذرة ، حتىٰ يترك بعضَ ما يرىٰ أنه حلال خشيةَ أن يكون حراماً ، يكون حاجزاً بينه وبين الحرام ، إن ٱلله تعالىٰ قد بين لعباده الذي هو مصيرهم إليه ، قال ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة : ٧ ـ ٨] .

*** فلا تحقرنَّ شيئاً من الشر أن تتقيه ، ولا شيئاً من الخير أن تفعله** [١] .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدين : أنا أبو جعفرٍ : أنا أبو عليٍّ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا سليمانُ بن أحمدَ : ثنا المقدامُ بن داودَ : ثنا عليُّ بن معبدٍ : ثنا موهبُ بن راشدٍ : ثنا مالكُ بن دينارٍ ، عن جلاسِ بن عمرٍو ، عن أبي الدرداءِ ، قال : قالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « إِنَّ ٱللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يقولُ : أَنَا ٱللهُ لا إِلَـٰهَ إلا أَنَا مَالِكُ المُلْكِ ، وَمَلِكُ المُلُوكِ ، قُلُوبُ المُلُوكِ في يَدِي ، وَإِنَّ العِبَادَ إِذَا أَطَاعُونِي ، حَوَّلْتُ قُلُوبَ مُلُوكِهِمْ عَلَيْهِمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَإِنَّ العِبَادِ إِذَا عَصَوْنِي ، حَوَّلْتُ قُلُوبَ مُلُوكِهِمْ عَلَيْهِمْ بِالسَّخَطِ وَالنَّقْمَةِ ، فَسَامُوهُمْ سُوءَ العَذَابِ ، فَلا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بالدُّعَاءِ عَلَىٰ المُلُوكِ ، وَلَـٰكن اشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالذِّكْرِ والتَّضَرُّعِ إِلَيَّ أَكْفِكُمْ مُلُوكَكُمْ »[٢] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢١٢) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢ / ٣٨٨) .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا أبي : ثنا عبد ٱلله بن محمدٍ : ثنا الحسينُ بن الحسنِ : أنا الهيثمُ بن جميلٍ : ثنا عبد الغفورِ ، عن همامٍ ، عن كعبٍ ، قال : إنا نجدُ أن ٱلله تعالىٰ يقول : إني أنا ٱلله لا إلـٰه إلا أناْ خالقُ الخلق ، أنا الملكُ العظيمُ ، دَيَّانُ يوم الدين ، وملكُ الملوك ، قلوبُهم بيدي ، فلا تَشَاغَلُوا بذكرهم عن ذكري ودعائي والتوبةِ إليَّ حتىٰ أُعَطِّفهم عليكم بالرحمة ، فأجعلَهم رحمةً ، وإلا جعلتهم نقمةً [1] .

وبه إلىٰ أبي نعيم : ثنا أبي : ثنا أبو الحسنِ بن أبانَ : ثنا عبد ٱلله بن محمدِ بن سفيانَ : حدثني إسماعيلُ بن إبراهيمَ : حدثني صالحٌ ، عن مالكِ بن دينارٍ ، قال : قرأتُ في الحكمة : أن ٱلله ـ عز وجل ـ يقول : أنا ملكُ الملوك ، قلوبُ الملوك بيدي ، فمن أطاعني ، جعلتُهم عليه رحمةً ، ومن عصاني ، جعلتهم عليه نقمةً ، فلا تشغلوا أنفسَكُم بسبِّ الملوك ، ولـٰكن توبوا إليَّ أُعَطِّفْهم عليكم [2] .

وبه إلىٰ أبي نعيم : ثنا سليمانُ : ثنا إسحاقُ بن عبد الرزاقِ : ثنا عمرُو بن حمدانَ : ثنا الحسنُ بن سفيانَ : ثنا بشرُ بن الحكم : ثنا عبد الرزاق : ثنا معمرٌ ، عن صاحبٍ له : أن أبا الدرداء كتب إلىٰ سلمان : يا أخي ! اغتنم صحتك وفراغك قبل أن ينزل بك من البلاء مالا يستطيع العباد ردَّه ، واغتنمْ دعوةَ المبتلىٰ [3] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦ / ٢٠) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦ / ١٧٢) .

(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢١٤) .

أخبرنا أبو حفصٍ المقرئُ : أنا الإمامُ أبو الحسنِ : أنا المحبوبيُّ : أنا ابنةُ علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي : أنا أبو طالبٍ اليوسفيُّ : أنا ابن المذهبِ : أنا أحمدُ بن جعفرٍ : ثنا عبد ٱلله ابن أحمد : ثنا أبي : ثنا الوليدُ بن مسلمٍ : ثنا صفوانُ بن عمرٍو : حدثني عبد الرحمـٰن بن جُبيرِ بن نُفيرٍ ، عن أبيه ، قال الوليد : وثنا ثورٌ ، عن خالدِ بن معدانَ ، عن جُبيرِ بن نُفيرٍ ، قال : لما فُتحت قبرسُ ، فُرِّقَ بينَ أهلِها ، فبكىٰ بعضُهم إلىٰ بعض ، ورأيتُ أبا الدرداء جالساً وحَده يبكي ، فقلت : يا أبا الدرداء ! ما يُبكيك في يومٍ أعزَّ ٱلله فيه الإسلامَ وأهلهَ ؟ قال : ويحكَ يا جبير ! ، ما أهونَ الخلقَ علىٰ ٱلله إذا هم تركوا أمره ! بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك ، تركوا أمر ٱلله ، فصاروا إلىٰ ما ترىٰ [1] .

وبه إلىٰ الإمام أحمدَ : ثنا معمرُ بن سليمانَ : ثنا قرابُ بن سليمانَ : أن أبا الدرداء كان يقول : ويلٌ لكلِّ جَمَّاعٍ فاغرٍ فاه كأنه مجنون ، يرىٰ ما عند الناس ، ولا يرىٰ ما عنده ، لو يستطيع ، لوصلَ الليلَ بالنهار ، ويلَه من حساب غليظ ، وعذاب شديد [2] .

وبه إلىٰ الحافظِ أبي نعيمٍ : ثنا أبي : ثنا أحمدُ بن محمدٍ : ثنا الربيعُ بن تغلبَ : ثنا فرجُ بن فضالةَ ، عن لقمانَ بن عامرٍ ، عن أبي الدرداءِ ، قال : إياكم ودعوةَ المظلومِ ، ودعوةَ اليتيم ؛ فإنهما تسريانِ بالليلِ والناسُ نيامٌ [3] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢١٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢١٧) .

(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٢١) .

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن أبي وائلٍ ، قال : قالَ أبو الدرداءِ : مِنْ أبغضِ الناسِ إليَّ أن أَظلمَه مَنْ لا يستعينُ عليَّ إلا بٱلله ـ عز وجل ـ [1] .

وبه إلىٰ الحافظِ أبي نعيمٍ : ثنا أحمدُ بن إسحاقَ : ثنا عبد ٱلله بن سليمانَ : ثنا عليُّ بن خشرمٍ : ثنا عيسىٰ بن يونسَ ، عن الأوزاعيِّ ، عن حسانَ بن عطيةَ : أن أبا الدرداءِ كان يقول : اللهمَّ إني أعوذُ بكَ أن تلعنني قلوبُ العلماء ، قيل : وكيف تلعنُك قلوبُهم ؟ قا[ل] : تكرهني فتلعنني [2] .

وبه إلىٰ عبد ٱلله بن الإمامِ أحمدَ : حدثني عبد ٱلله بن صندلٍ : ثنا فضيلُ بن عياضٍ ، عن سليمانَ بن مهرانَ ، عن عمرِو بن مرةَ ، عن عبد ٱلله بن سلمةَ ، قال : قال رجلٌ لمعاذِ بن جبلٍ : علمني ، قال : وهل أنت مُطيعي ؟ قال : إني علىٰ طاعتك لحريصٌ ، قال : صُمْ وأَفطِرْ ، وصَلِّ ونَمْ ، واكتسبْ ولا تأثمْ ، ولا تموتَنَّ إلا وأنت مسلمٌ ، وإياكَ ودعوةَ المظلوم [3] .

وبه إلىٰ أبي نعيم : ثنا أبو محمد بنُ حيانَ : ثنا عبد الرحمـٰن بن محمدٍ : ثنا هَنَّادُ بن السَّرِيِّ : ثنا وكيعٌ ، عن يزيدَ بن إبراهيمَ ، عن أبي هارونَ الغنويِّ ، عن مسلمِ بن شدَّادٍ ، عن عُبيدِ بن عُميرٍ ، عن

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٢١) .
(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٢٣) ، وليس فيه : « فتلعنني » .
(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٣٣) .

أبي بن كعبٍ ، قال : ما مِنْ عبد ترك شيئاً لله ، إلا أبدَلَه ٱلله به ما هو خيرٌ منه من حيثُ لا يحتسب ، وما تهاون به أحدٌ ، فأخذه من حيث لا يصلح ، إلا آتاه ٱلله ـ عز وجل ـ ما هو أشدُّ عليه منه من حيث لا يحتسب (١) .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا أحمدُ بن جعفرٍ : ثنا أبو بكرِ بن النعمانِ : ثنا محمدُ بن سعيدٍ : ثنا أبو جعفرٍ الرازيُّ ، عن الربيعِ بن أنسٍ ، عن أبي العاليةِ ، عن أبي بن كعبٍ ، قال : المؤمنُ بينَ أربعٍ : إن ابتُلي صبر ، وإن أُعطي شكر ، وإن قال صدق ، وإن حكم عدل ، فهو يتقلَّب في خمسة من النور ، وهو الذي يقول ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ [النور : ٣٥] ، فكلامُه نور ، وعملُه نور ، ومدخلُه في نور ، ومخرجُه نورٌ ، ومصيرهُ إلىٰ النور يومَ القيامة ، فكيفما تقلب ، فهو في النور . والفاجرُ يتقلَّب في خمسة من الظُّلَم ، فكلامُه ظُلمة ، وعملُه ظلمة ، ومدخلُه ظلمة ، ومخرجُه في ظُلمة ، ومصيرُه إلىٰ الظلمةِ يومَ القيامة (٢) .

ولهٰذا قال النبيُّ ﷺ : « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ » (٣) .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا أبو أحمدَ محمدُ بن أحمدَ : ثنا عبد ٱلله بن محمدٍ : ثنا إسحاقُ بن راهويه : ثنا الفضلُ بن موسىٰ ، عن الوليدِ بن جُميع ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفةَ ، قال : ثلاثُ فتنٍ : والرابعةُ

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٥٣) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٥٥) .

(٣) رواه البخاري (٢٣١٥) ، ومسلم (٢٥٧٩) ، عن ابن عمر رضي ٱلله عنهما .

تسوقُهم إلىٰ الدجال : التي ترمي بالرضف ، والتي ترمي بالنشف ، والسوداءُ المظلمةُ التي تموج كموجِ البحر ، والرابعة التي تسوقهم إلىٰ الدجال (١) .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا زينبُ بنتُ الكمالِ : أنا يوسفُ بن خليلٍ : أنا محمدُ بن أبي زيدٍ : أنا الصيرفيُّ : أنا ابن فاذشاه : أنا الطبرانيُّ : ثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ : ثنا عبد الرزاقِ : ثنا معمرٌ ، عن أبي إسحاقَ ، عن عمارةَ بن عبدٍ ، عن حذيفةَ ، قال : إياكُمْ والفتنَ لا يشخصُ إليها أحدٌ ، فو ٱلله ! ما شَخَصَ إليها أحدٌ إلا نسفَتْه كما ينسفُ السيل الدِّمَنَ ، إنها مشبهة مقبلة ، حتىٰ يقولَ الجاهلُ : هٰذه تشبهُ ، وتبين مدبرة ، فإذا رأيتموها ، فاجتمعوا في بيوتكم ، وكَسِّروا سيوفَكم ، وقَطِّعوا أوتارَكُم (٢) .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا أبو عبد ٱلله الحسينُ بن حمويه : ثنا محمدُ بن عبد ٱلله الحضرميُّ : ثنا مصرفُ بن عمرٍو : ثنا عبد الرحمٰن بن محمدِ بن طلحةَ ، عن أبيه ، عن الأعمشِ ، عن أبي وائلٍ ، وزيدِ بن وهبٍ عن حذيفةَ ، قال : إن للفتنة وَقَفاتٍ وبغتاتٍ ، فمن استطاعَ أن يموتَ في وقفاتها ، فليفعلْ ، يعني بالوقفات : غمدَ السيف (٣) .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن حمزةَ : ثنا الحسنُ بن

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٧٣) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٧٣) ، ورواه الحاكم في « المستدرك » (٨٣٨٥) .

(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٧٤) .

إبراهيمَ بن بشارٍ : ثنا عبد ٱلله بن عمرانَ : ثنا جريرٌ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن همامٍ ، عن حذيفةَ ، قالَ : ليأتينَّ علىٰ الناس زمانٌ لا ينجو فيه إلا مَنْ دعا بدعاءٍ كدعاءِ الغريق [1] .

وبه إلىٰ الحضرميِّ : ثنا محمدُ بن عبد ٱلله بن نميرٍ : ثنا محمدُ بن بلالٍ ، عن عمرانَ القطان ، عن الأعمشِ ، عن أبي وائلٍ ، عن حذيفةَ ، قال : ما الخمرُ صِرْفاً بأذهبَ بعقولِ الرجالِ من الفتنة [2] .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا أبو حامدِ بن جبلةَ : ثنا محمدُ بن إسحاقَ : ثنا عمرُ بن محمدٍ الأسديُّ : حدثني أبي : ثنا سلامُ بن مسكينٍ ، قال : سمعتُ الحسنَ يقولُ : لما كانَ من أمر الناس ما كان من أمر الفتنة ، أتوا عبد ٱلله بن عمرَ ، فقالوا : أنتَ سيدُ الناسِ ، وابن سيدِهم ، والناسُ بكَ راضون ، اخرجْ نُبايِعْك .

فقال : لا وٱلله ! لا يُهَراق فيَّ محجمةٌ من دم ، ولا في سببي ما كان فيَّ الروح .

قال : ثم أُتي ، فَخُوِّف ، فقيل له : لتخرجَنَّ ، أو لتُقتلنَّ علىٰ فراشك .

فقالَ مثلَ قوله الأول .

قال الحسن : فو ٱلله ! ما استقلوا منه سناً حتىٰ لحق بٱلله ـ عز وجل ـ [3] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٧٤) .
(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٧٤) .
(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٣) .

وقد روينا في « الصحيح » : أن معاوية لما حجَّ ، خطبَ فقالَ : من كان يزعُم أنه أحقُّ منا بهـٰذا الأمر ، فليخرجْ ، وفي رواية : فليبرزْ لنا قَرْنه ، فنحنُ أحقُّ به منه ومن أبيه .

قال عبد ٱلله بن عمرَ : فأردتُ أن أقول : أحقُّ منك بهـٰذا الأمر مَنْ قاتَلَكَ وأباكَ علىٰ الإسلام ، فذكرتُ ما أعدَّ ٱلله في الجِنان للمتقين ، وخِفْت أن يُنقل عني غيرُ ذٰلك ، فحلَلْتُ حَبْوتي ، وسَكَتُّ ، فقيل له : حُفظت ، وعُصمت [1] .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا أبو حامدِ بن جبلةَ : ثنا محمدُ بن إسحاقَ : ثنا محمدُ بن الصباحِ : ثنا الوليدُ بن مسلمٍ : ثنا ابن جابرٍ ، عن القاسمِ بن عبد الرحمـٰن : أنهم قالوا لابن عمرَ في الفتنة الأولىٰ : ألا تخرجُ فتقاتل ؟

قال : قد قاتلتُ والأنصابُ بينَ الركنِ والباب ، حتىٰ نفاها ٱلله ـ عز وجل ـ من أرض العرب ، فأنا أكره أن أقاتل من يقول : لا إلـٰه إلا ٱلله .

قالوا : وٱلله ! ما رأيك ذٰلك ، ولـٰكنك أردت أن يُفني أصحابُ رسول ٱلله ﷺ بعضُهم بعضاً ، حتىٰ إذا لم يبق غيرُك ، قيل : بايعوا لعبد ٱلله بن عمر بإمارة المؤمنين .

قال : وٱلله ! ما ذٰلك بي ، ولـٰكن إذا قلتم : حيَّ علىٰ الصلاة ، أجبتُكم [وإذا قلتم :] حيَّ علىٰ الفلاح ، أجبتكم ، فإذا افترقتم ، لم

---

(1) رواه البخاري (٣٨٨٢) .

أجامعكم ، وإذا اجتمعتم ، لم أفارقكم [1] .

ولما أُصيب عمرُ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، آيسه منها ، فقال لأصحاب الشورىٰ : يشهدُكم عبد ٱلله ، وليس له من الأمر شيء ؛ كهيئة التعزيةِ له ، فلم يلتفتْ إليها بعدَ ذٰلك ، ولم يُرِدْها ، ولم يقاتلْ عليها حين قاتل الناسُ عليها ، وكان المرجعُ إليه ، والاقتداءُ في الدنيا من الخلفاء وغيرهم ، حتىٰ إن الخليفةَ عبد الملك بن مروان بعثَ إلىٰ نائبه الحجاجَ أن يقتديَ به في أمر الحجِّ ، وأن يجعلهَ قدوةَ جميعِ الناس فيه ، وأن يكونَ له تبعاً في ذٰلك .

حتىٰ إن الحجاجَ ركبَ ، وجاء إلىٰ خدمته لأجل الاقتداء به ، ومشىٰ في خدمته ، حتىٰ إنه لمَّا أصيب في قدمه ، قال له الحجاج : لو نعلمُ من أصابك ؟ قال : أنت أصبتني ، قال : وكيف أصبتك ؟ قال : حملتَ السلاحَ في يوم لم يكن يُحمل فيه ، وأدخلتَ السلاحَ الحرمَ ، ولم يكن السلاحُ يدخل الحرم [2] .

*** فهـٰذا المقام الذي كان فيه ، وصار إليه ، أعظمُ وأكبرُ وأجلُّ وٱلله من مقام الخلافة ؛ فإن قدوتهم كانت به ، فهم محتاجون إليه ، وليس به حاجة إليهم ، فهو كان في مقام الاقتداء لهم ولغيرهم ، وهـٰذا مقام السلطنة الكبرىٰ .**

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا إبراهيمُ بن عبد ٱلله : ثنا محمدُ بن إسحاقَ :

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٤) .

(٢) رواه البخاري (٩٢٣) عن سعيد بن جبير .

ثنا قتيبةُ بن سعيدٍ : ثنا محمدُ بنُ يزيدَ : ثنا عبد العزيزِ بن أبي روادٍ : ثنا نافعٌ ، قال : دخل ابن عمرَ رضي ٱلله عنه الكعبةَ ، فسمعتُه وهو ساجد يقول : قد تعلمُ ما يمنعني من مزاحمة قريشٍ علىٰ هٰذه الدنيا إلا خوفُك [1] .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا القاضي عبد ٱلله بن محمدِ بن عمرَ : ثنا عليُّ بن سعيدٍ : ثنا عبادُ بن الوليدِ : ثنا قرةُ بن حبيبٍ : ثنا عبد ٱلله بن بكرٍ ، عن عبيدِ ٱلله [2] بن عمرَ ، عن نافعٍ ، عن ابن عمرَ : أنه أتاه رجلٌ ، فقال : يا أبا عبد الرحمٰن ! أنت ابن عمرَ ، وصاحبُ رسولِ ٱلله ﷺ ـ وذكر من مناقبه ـ ، فما يمنعك من هٰذا الأمر ؟

قال : يمنعني أن ٱلله تعالىٰ حَرَّم عليَّ دم المسلم .

قال فإن ٱلله ـ عز وجل ـ يقول : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ ﴾ [البقرة : ١٩٣] .

قال : قد فعلْنا ، قاتلناهم حتىٰ كان الدينُ لله ، فأنتم تريدون أن تقاتلوا حتىٰ تكونَ فتنةٌ ، ويكونَ الدينُ لغير ٱلله ـ عز وجل ـ [3] .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا زينبُ بنتُ الكمالِ : أنا يوسفُ بن خليلٍ : أنا ابن أبي زيدٍ : أنا الصيرفيُّ : أنا ابن فاذشاه : أنا الطبرانيُّ : ثنا عبد ٱلله بن أحمدَ بن حنبلٍ : ثنا الحكمُ بن

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٢) .
(٢) في الأصل : « عبد ٱلله » بدل « عبيد ٱلله » .
(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٢ ـ ٢٩٣) .

موسىٰ : ثنا إسماعيلُ بن عياش : حدثني المطعمُ بن المقدامِ الصنعانيُّ ، قال : كتبَ الحجاجُ بن يوسفَ إلىٰ عبد ٱلله بن عمرَ : بلغني أنك طلبتَ الخلافةَ ، وإن الخلافةَ لا تصلُح لِعَيِيٍّ ، ولا بخيلٍ ، ولا غيورٍ .

فكتب إليه ابن عمرَ : أما ما ذكرتَ من الخلافة أني طلبتُها ، فما طلبتُها ، وما هي من بالي ، وأما ما ذكرتَ من العيِّ والبخلِ والغيرة ، فإنَّ من جمعَ كتابَ ٱلله ، فليسَ بعييٍّ ، ومن أَدَّىٰ زكاةَ ماله ، فليس ببخيل ، وأما ما ذكرتَ من الغيرة ، فإن أحقَّ ما غِرْتُ فيه ولدي أن يشرَكني فيه غيري [1] .

أخبرنا أبو حفص المقرئُ : أنا الإمامُ أبو الحسن الموصليُّ : أنا المحبوبيُّ : أخبرتنا ستُّ الأهلِ ابنةُ علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي : أنا أبو طالبٍ اليوسفيُّ : أنا ابن المذهبِ : أنا أبو بكر أحمدُ بن حمدانَ القطيعيُّ : أنا الإمامُ أبو عبد الرحمـٰن عبد ٱلله بنُ الإمامِ أحمدَ : حدثني أبي : ثنا ابن ادريسَ : ثنا حصينٌ ، عن سالمِ بن أبي الجعد ، عن جابرٍ ، قال : ما رأيتُ ، أو ما أدركتُ أحداً إلا قد مالَتْ به الدنيا ، أو مال بها ، إلا عبد ٱلله بن عمرَ [2] .

فأما قولُ هـٰذا المُبيرِ : إنه لا يصلُح للخلافة ، وإنه أرادها ، فهـٰذا كذبٌ وافتراء .

وأما قوله : إنها لا تصلُح لعيي ولا بخيل ولا غيور .

يتهمه بالعِيِّ ، فإن هـٰذا عينُ الكذبِ والافتراء ، فقد كانَ من أشجع

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٣٠٤٨) .

(٢) ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٤) .

الصحابة ، ومن أكرم الصحابة ، ووٱلله ! ما بينه وبين أستاذِ الحجاجِ عبد الملكِ بن مروانَ مسافةٌ في الكرم ؛ فإن عبد الملك مشهورٌ بالبخل ، وقد ذكره غيرُ واحد من العلماء من البخلاء ، وعدُّوا ابن عمرَ من الأجواد .

كما أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدين : أنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : ثنا إبراهيمُ بن عبد ٱلله : ثنا محمدُ بن إسحاقَ : ثنا قتيبةُ بن سعيدٍ : ثنا محمدُ بن يزيدَ : ثنا عبد العزيزِ بن أبي روادٍ ، عن نافعٍ ، قال : كان ابن عمرَ إذا اشتدَّ عُجْبُه بشيء من ماله ، قَرَّبه لربه ـ عز وجل ـ .

قال نافع : وكان رقيقهُ قد عرفوا ذٰلك منه ، فربما شَمَّرَ أحدُهم ، فيلزم المسجدَ ، فاذا رآه ابن عمرَ ـ رضي ٱلله تعالىٰ عنه ـ علىٰ تلك الحالة الحسنة ، أعتقه .

فيقول له أصحابه : يا أبا عبد الرحمـٰن ! وٱلله ! ما بهم إلا أن يخدعوك .

فيقول : من خَدَعَنا بٱلله ـ عز وجل ـ ، انخدَعْنا له .

قال نافع : فلقد رأيتنا ذاتَ عشية ، وراح ابن عمرَ علىٰ نجيبٍ له قد أخذه بمال ، فلما أعجبه سيرُه ، أناخَهُ مكانه ، ثم نزلَ عنه ، فقال : يا نافع ! انزعوا زمامَه ورحلَه وجَلِّلوه وأَشْعِروه وأَدخلوه في البُدْن [1] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٤ ـ ٢٩٥) .

فكان لا يعجبه شيء من ماله إلا قَدَّمه لله ـ عز وجل ـ .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا أبو حامدِ بن جبلةَ : ثنا أبو العباسِ الثقفيُّ : ثنا محمدُ بن الصباحِ : ثنا سفيانُ ، عن عبيدِ ٱلله ، عن نافعٍ ، قال : بينا ابن عمرَ يسير علىٰ ناقة ، إذ أعجبتْهُ ، فقال : إخ إخ ، فأناخها ، ثم قال : يا نافعّ ! حُطَّ عنها الرحلَ ، فكنتُ أرىٰ أنه لشيء يريده ، أو لشيء رابَهُ منها ، فحططتُ الرحلَ .

فقال لي : انظرْ هل ترىٰ عليها مثلَ رأسها .

فقلت : أنشدك إنك إن شئت بعتها ، واشتريت بثمنها .

قال فجللها ، وقلَّدها ، وجعلَها في بُدْنِه ، وما أعجبَه من ماله شيء قَطُّ إلا قَدَّمه (١) .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا أحمدُ بن محمدِ بن سنانَ : ثنا محمدُ بن إسحاقَ : ثنا عمرُو بن زُرارةَ : ثنا أبو عبيدةَ الحدادُ ، عن عبد ٱلله بن أبي عثمانَ ، قال : كان عبد ٱلله بن عمرَ أعتقَ جاريتَه التي يقال لها : رُمَيثة ، فقال : إني سمعتُ ٱلله ـ عز وجل ـ قال في كتابه : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، وإني وٱلله ! إن كنتُ لأحبُّك في الدنيا ، اذهبي فأنت [حرة] لوجه ٱلله ـ عز وجل ـ (٢) .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا القاضي أبو أحمدَ : ثنا جعفرُ بن محمدٍ : ثنا محمدُ بن سعيدٍ : ثنا أبو عاصمٍ ، عن مالكِ بن مِغْوَلٍ ، عن إبراهيمَ بن

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٥) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٥) .

مهاجرٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابن عمرَ ، قال : لما نزلت : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، دعا ابن عمرَ جاريةً له ، فأعتقها [١] .

أخبرنا أبو حفصٍ المقرئُ : أنا الإمامُ أبو الحسنِ : أنا المحبوبيُّ : أخبرتنا ابنةُ علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي : أنا أبو طالبٍ اليوسفيُّ : أنا ابن المذهبِ : أنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : أنا عبد ٱلله بن أحمدَ : حدثني أبي : ثنا عبد الأعلىٰ ، عن بردٍ ، عن نافعٍ ، عن ابن عمرَ : أنه كان لا يُعجبه شيء من ماله إلا خرج منه لله ـ عز وجل ـ .

قال : وكان ربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً .

قال : وأعطاه ابن عامرٍ ثلاثين ألفاً ، فقال : يا نافعُ ! إني أخاف أن تفتنني دراهمُ ابن عامر ، اذهبْ فأنت حرٌّ .

قال : وكان لا يُدْمِنُ اللحمَ شهرًا إلا إذا كان مسافرًا ، أو في رمضان ، وكان يمكث الشهر لا يذوق فيه مُزْعَة لحم [٢] .

وبه إلىٰ الطبرانيِّ : ثنا محمدُ بن السَّرِيِّ : ثنا الحكمُ بن موسىٰ : ثنا يحيىٰ بن حمزةَ : عن بردِ بن سنان ، عن نافعٍ ، قال : إنْ كان ابن عمرَ ليقسمُ في المجلسِ الواحدِ ثلاثين ألفاً ، ثم يأتي عليه شهر ما يأكل فيه مُزْعَةً لحم [٣] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٥) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٥) .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٣٠٤٥) .

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا خالدُ بن حيانَ : ثنا عيسىٰ بن كثيرٍ ، عن ميمونِ بن مهرانَ ، قال : أتت ابن عمر اثنان وعشرون ألفَ دينار في مجلس ، فلم يقم حتىٰ فرقها (١) .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا أبو حامدِ بن جبلةَ : ثنا محمدُ بن إسحاقَ : ثنا أبو همامٍ : ثنا عمرُ بن عبد الواحدِ ، عن عمرَ بن محمدٍ ، عن نافعٍ ، قال : ما ماتَ ابن عمرَ حتىٰ أعتقَ ألفَ إنسانٍ ، أو زادَ (٢) .

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا هاشمُ بنُ القاسمِ : ثنا عاصمٌ ـ يعني : ابن محمدٍ ـ عن أبيه ، قال : أعطىٰ ابن جعفرٍ بنافعٍ عشرةَ آلاف ، أو ألفَ دينارٍ ، فقلتُ : يا أبا عبد الرحمـٰن ! فما تنتظر أنْ تبيع ؟ قال : فهلا ما هو خير من ذٰلك ، هو حرٌّ لوجه ٱلله ـ عز وجل ـ (٣) .

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا وكيعٌ : ثنا المغيرةُ بن زيادٍ ، عن نافعٍ ، قال : باع ابن عمر أرضاً له بمئتي ناقة ، فحمل علىٰ مئة منها في سبيل ٱلله ، واشترط علىٰ أصحابها أن لا يبيعوا حتىٰ يجاوزوا بها وادي القرىٰ (٤) .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا أحمدُ بن محمدِ بن سنانَ : ثنا أبو العباسِ السراجُ : ثنا عمرُو بن زرارةَ : ثنا إسماعيلُ ، عن أيوبَ ، عن نافعٍ ، أن

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٦) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٦) .

(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٦) .

(٤) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٦) .

معاويةَ بعثَ إلىٰ ابن عمرَ مَائةَ ألف ، فما حالَ الحولُ وعنده منها شيء [1] .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا الحسنُ بن محمدٍ : ثنا إسماعيلُ بن إسحاقَ : ثنا سليمانُ بن حربٍ : ثنا أبو هلالٍ : ثنا أيوبُ بن وائلٍ ، قالَ : قدمتُ المدينة ، فأخبرني رجلٌ جارٌ لابن عمرَ : أنه أتىٰ ابن عمرَ أربعةُ آلافٍ من قِبل معاويةَ ، وأربعةُ آلافٍ من قِبَلِ آخرَ ، وألفانِ من قبل آخر ، وقطيفةٌ فجاء إلىٰ السوق يريد عَلَفاً لراحلته بدرهمٍ نسيئةً ، فقد عرفتُ الذي جاءه ، فأتيتُ سُرِّيته فقلت : إني أريد أن أسألكِ عن شيء ، وأحبُّ أن تَصْدُقيني .

فقلتُ : أليس قد أتت أبا عبد الرحمـٰن أربعةُ آلاف من قِبل معاوية ، وأربعةُ آلاف من قِبل إنسان آخر ، وألفان من قِبل آخرَ ، وقطيفة ؟

قالت : بلىٰ .

قلت : فإني رأيتُه يطلب عَلَفاً بدرهمٍ نسيئةً .

قالت : ما بات حتىٰ فَرَّقها ، فأخذَ القطيفةَ فألقاها علىٰ ظهره ، ثم ذهبَ فوجَّهها ، ثم جاء .

فقلت : يا معشر التجار ! ما تصنعون بالدنيا ، وابن عمر أتته البارحة عشرةُ آلاف درهم ، فأصبح اليوم يطلب لراحلته عَلَفاً بدرهم نسيئة [2] ؟ !

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٦) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٦ ـ ٢٩٧) .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا سليمانُ بن أحمدَ : ثنا أبو يزيدَ القراطيسيُّ : ثنا نعيمُ بن حمادٍ : ثنا ابن المباركِ ، عن عمرَ بن محمدٍ ، عن نافعٍ ، عن ابن عمرَ : أنه اشتكىٰ ، فاشترىٰ له عنقود عنب بدرهم ، فجاء مسكينٌ ، فقال : أَعطُوه إياه ، قال : فأعطَوه إياه ، فخالف إليه إنسانٌ ، فاشتراه منه بدرهم ، ثم جاء به إليه ، فجاء المسكينُ يسأل ، فقال : أَعطوه إياه ، فأعطوه إياه ، فخالف إنسان ، فاشتراه منه بدرهم ، ثم جاء به إليه ، فجاءه المسكينُ يسأل ، فقال : أَعطوه إياه ، ثم خالف إنسان ، فاشتراه منه بدرهم ، فأراد أن يرجع ، فمنع ، وأتىٰ به فأكله ، ولو علم ابن عمر بذٰلك العنقود ، ما ذاقه [1] .

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا يزيدُ بن هارونَ : ثنا مستلمُ بن سعيدٍ الثقفيُّ ، عن حبيبِ بن عبد الرحمـٰن ، عن نافعٍ : أن ابن عمرَ اشتهىٰ عنباً وهو مريض ، فاشتريتُ له عنقوداً بدرهم ، فجئت به ، فوضعته في يده ، فجاء سائل ، فقام علىٰ الباب فسأل ، فقال ابن عمر : ادفعْه في يده ، قال : قلت : كلْ منهُ ، ذُقْه ، قال : لا ، ادفعْه إليه ، فدفعتُه إليه ، قال : فاشتريتُه منه بدرهم ، فجئت به إليه ، فوضعته في يده ، فعاد السائل ، فقال ابن عمر : ادفعْه إليه ، قلتُ : ذُقْه ، كُلْ منه ، قال : ادفعْه إليه ، فدفعتُه ، فما زال يعود السائل ويأمر بدفعه إليه حتىٰ قلتُ للسائل في الثالثة أو الرابعة : ويحكَ ! ما تستحي ؟ فاشتريتُه منه بدرهم ، فجئت به إليه ، فأكله [2] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٧) .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا إبراهيمُ بن عبد ٱلله : ثنا محمدُ بن إسحاقَ : ثنا قتيبةُ بن سعيدٍ : ثنا الليثُ بن سعدٍ ، عن خالدِ بن يزيدَ ، عن سعيدِ بن أبي هلالٍ : أن عبد ٱلله بن عمر رضي ٱلله عنه نزل الجُحْفَة وهو شاكٍ ، فقال : إني لأشتهي حيتاناً ، فالتمسوا له ، فلم يجدوا له إلا حوتاً واحداً ، فأخذَتْه امرأته صفيةُ بنتُ أبي عبيد ، فصنعته ، ثم قربته إليه ، فأتاه مسكينٌ حتىٰ وقف عليه ، فقال له [ابن] عمر : خذه ، فقال أهلُه : سبحانَ ٱلله ! قد عَنَّيْتَنا ، ومعنا زادٌ نعطيه ، فقال : إن عبد ٱلله يحبُّه [1] .

وكان لا يحبُّ شيئاً إلا خرجَ عنه لله .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا أبو محمدِ بن حيانَ : ثنا أبو يحيىٰ الرازيُّ : ثنا هنادُ بن السريِّ : ثنا قَبيصةُ بن عقبةَ : ثنا قيسُ بن سليمٍ العنبريُّ ، عن أبي بكرِ بن حفصٍ : أن عمرَ بن سعدٍ قال : اشتكىٰ ابن عمر ، فاشتهىٰ حوتاً ، فصُنع له ، فلما وُضع بين يديه ، جاء سائل ، فقال : أعطوه الحوتَ ، قالت امرأتُه : نعطيه درهماً ، فهو أنفعُ له من هٰذا ، واقْضِ أنتَ شهوتَك منه ، فقال : شهوتي ما أريد [2] .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا محمدُ بن عليٍّ : ثنا الحسينُ بن أبي معشرٍ : ثنا أبو الخطابِ : ثنا حاتمُ بن وردانَ : ثنا أيوبُ ، عن نافعٍ ، قال : اشتهىٰ ابن عمر رضي ٱلله عنه حوتاً ، فاشتريتُ له سمكة ، فشُويت ، فوُضعت بين يديه ، فجاء سائل يسأل ، فأمر بها كما هي ، ما ذاق منها

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٨) .

شيئاً ، فقالوا : نعطيه خيراً من ثمنها ، فأبىٰ [1] .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا إبراهيمُ بن عبد ٱلله : ثنا محمدُ بن إسحاقَ : ثنا قتيبةُ بن سعيدٍ : ثنا كثيرُ بن هشامٍ : ثنا جعفرُ بن برقانَ : ثنا ميمونُ بن مهرانَ : أن امرأةَ ابن عمر عوتبت فيه ، فقيل لها : أما تلطفين بهـٰذا الشيخ ؟ فقالت : فما أصنعُ به ؟ لا نصنع له طعاماً إلا دعا عليه من يأكله ، فأرسلَتْ إلىٰ قوم من المساكين كانوا يجلسون في طريقه إذا خرج من المسجد ، فأعطتهم ، وقالت لهم : لا تجلسوا بطريقه ، ثم جاء إلىٰ بيته ، فقال : أرسلوا إلىٰ فلان ، وإلىٰ فلان ، وكانت امرأته أرسلتْ إليهم بطعام ، وقالت : إن دعاكم ، فلا تأتوه ، فقال ابن عمر : أردتم أن لا أتعشىٰ الليلةَ ، فلم يتعشَّ تلك الليلة [2] .

ولو ذهبنا نذكر جميعَ حكايات كرمه وجوده ، وخيره ودينه ، لطال بنا الأمر ، وبلغ عدة مجلدات ، وكل ذٰلك يردُّ قولَ هـٰذا الغبيِّ [3] الذي قد أفسدَ علىٰ نفسه أمرَ آخرته ؛ من أنه بخيل ، وكيف افترىٰ ذٰلك وتقوَّله ، وحكاياتُ بخلهِ وبخلِ أستاذه [4] مشهورةٌ .

* **وقد ذكر ابنُ عبدِ ربِّه عبدَ الملكِ يذمه ، وأنَّه من البخلاء [. . .] .**

وذكر عنه حكاياتٍ عديدةً في ذٰلك ، منها :

أنه أكل عنده مرة أعرابي ، فتأخر بعد الناس ، فجعل يلاحظه ، فقال

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٨) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢٩٨) .

(٣) يعني : الحجَّاج .

(٤) يعني : عبد الملك بن مروان .

له : يا أعرابي ! علىٰ لقمتك شعرة ، فقال الأعرابي : وإنك لتلاحظني ملاحظةَ مَنْ يرىٰ الشعرةَ علىٰ لقمتي ! وٱلله ! لا أكلت بعدها علىٰ مائدتك قط .

إلىٰ غير ذٰلك من الحكايات الردية .

فيا لله العجب ! كيف نالته الخلافة مع ذٰلك .

*** عدنا إلىٰ وصف الأبرار الأخيار ، الذين من آذاهم أو ضرهم أو عاداهم ، أكبه ٱلله وأتعس ماله ، وأخمله وأخمل مقاله ، وأفسد حاله ، ونكس أعلامه ، وأذل رجاله .**

من عادىٰ ربه كيف يسعد ؟ ! ومن بارزه بالمحاربة كيف يحمد ؟ ! لا تغتر بكثير أعوانك ، ولا بجنودك ، وكبير سلطانك ، ولا يغرنك الشيطان بكثرة الأعوان ، ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾ [النحل : ٩٩ ـ ١٠٠] ، ﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ، ومن كان مع ٱلله ، كان ٱلله معه ، ومن زرع التقوىٰ ، حمد عند الحصاد ما زرعه ، ومن دعاه ، سمعه ، ومن استغاث به ، نفعه .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا أبو نعيمٍ : ثنا أبو أحمدَ محمدُ بن أحمدَ : ثنا الحسنُ بن محمدِ بن بهرام : ثنا يحيىٰ بن أيوبَ : ثنا عبادُ بن عبادٍ : ثنا الحجاجُ بن فرافصةَ ، عن رجلين سماهما ، عن الزهريِّ ، عن عبيدِ ٱلله بن عبد ٱلله ، عن ابن عباسٍ : أن رسولَ ٱلله ﷺ قالَ له : « يَا غُلامُ ! أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ

يَنْفَعُكَ ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بِهِنَّ ؟ احْفَظِ ٱللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ ٱللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَىٰ ٱللهِ في الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ ، إِذَا سَأَلْتَ ، فَاسْأَلِ ٱللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ ، فَاسْتَعِنْ بِٱللهِ ، جَفَّ القَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ ، وَلَوِ اجْتَمَعَ الخَلْقُ عَلَىٰ أَنْ يُعْطُوكَ شَيْئاً لَمْ يَكْتُبْهُ ٱللهُ لَكَ ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ، وَعَلَىٰ أَنْ يَمْنَعُوكَ شَيْئاً كَتَبَهُ ٱللهُ لَكَ ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ، فَاعْمَلْ للهِ بِالرِّضَا في اليَقِينِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ في الصَّبْرَ عَلَىٰ ما تَكْرَهُ خَيْراً كَثِيراً ، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً »[1] .

وقد قال ٱللهُ ـ عز وجل ـ في كتابه : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح : ٥ ـ ٦] .

قالوا : ولن يغلب عسرٌ يُسرينِ .

وبه إلىٰ الحافظِ أبي نعيمٍ : ثنا أحمدُ بن السنديِّ : ثنا الحسنُ بن علويه : ثنا إسماعيلُ بن عيسىٰ : ثنا إسحاقُ بن بشرٍ ، عن جويبرٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابن عباسٍ : أنه قال : يا صاحبَ الذنب ! لا تأمنْ من سوء عاقبته ، ولَمَا يتبع الذنبَ أعظم من الذنب إذا عملته ، فأولُ ذلك قلةُ حيائك ممن علىٰ اليمين وعلىٰ الشمال ، وأنت علىٰ الذنب أعظمُ من الذنب الذي عملته ، وضحكُك وأنت لا تدري ما ٱللهُ صانعٌ بك أعظمُ من الذنب ، وفرحُك بالذنب إذا ظفرتَ به أعظمُ من الذنب ، وجرأتُكَ علىٰ الذنبِ أعظمُ من الذنبِ إذا ظفرتَ به ، وخوفُك من الريح إذا حركَتْ سترَ بابك وأنتَ علىٰ الذنبِ لا يضطربُ فؤادُك من نظرِ ٱللهِ إليكَ أعظمُ من

(١) ورواه هناد بن السري في « الزهد » (١ / ٣٠٤) .

الذنب ، ويحكَ ! هل تدري ما كان ذنبُ أيوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فابتلاه ٱلله ـ عز وجل ـ بالبلاء في جسده ، وذهاب ماله ؟ إنما كان ذنبُ أيوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه استعان به مسكينٌ علىٰ ظلم يدرؤه عنه ، فلم يُعنه ، ولم يأمر بمعروف ، ولم ينه الظالمَ عن ظلم هـٰذا المسكين ، فابتلاه ٱلله ـ عز وجل ـ [١] .

وبه إلىٰ الحافظِ أبي نعيمٍ : ثنا سليمانُ : ثنا عليُّ بن عبد العزيزِ : ثنا أبو نعيمٍ : ثنا سفيانُ الثوريُّ ، عن ابن جُريجٍ ، عن ابن أبي مُليكةَ ، قال : قال ابن عباس : ذهبَ الناسُ ، وبقي النسناس ، قيل : وما النسناس ؟ قال : الذين يتشبهون بالناس ، وليسوا بالناس [٢] .

*** هـٰذا في زمنه ، وفي زماننا : ذهب النسناسُ ، وبقي الأنجاس ، والخناسُ الذي يوسوس في صدور الناس .**

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا عمرُ بن أحمدَ : ثنا عليُّ بن محمدٍ : ثنا محمدُ بن إسماعيلَ : ثنا أبو نعيمٍ : ثنا شريكٌ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، عن عبد ٱلله بن عباسٍ ، قال : يأتي علىٰ الناس زمانٌ يعرج فيه بعقول الناس ، حتىٰ لا تجد فيه أحداً ذا عقل [٣] .

وقد روينا في « المسند » ، في كثرة القتل ، حتىٰ يقتل الرجل أخاه ، وحتىٰ يقتل الرجلُ ابن عمه ، قالوا : يا رسول ٱلله ! وعقولُنا معنا ؟ قال : « لا ، تَذْهَبُ عُقُولُ أَكْثَرِ النَّاسِ ، فَيَصِيرُونَ أَجْسَاداً لا عُقُولَ

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٣٢٤) .
(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٣٢٨) .
(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٣٢٨) .

لَهُمْ ، يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ، وَلَيْسُوا عَلَىٰ شَيْءٍ »[1] .

فيا معشرَ مَنْ يظن أنه عاقلٌ ، ولا عقل له ! حقِّقِ الأمورَ ، يبانُ لك ما أنت فيه من خير و شر ، ولا تكن كالبهيمة ، تسمعُ ولا تفهمُ ما يراد بالكلام ، قال ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

وقال ـ عز وجل ـ : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] .

فأكثرُ أهلِ زماننا هـٰذا قد صاروا لا عقولَ لهم ، بل أكثرُهم قد صار شراً من البهائم ، لا عقلَ ولا دينَ ، وقد فسد الناسُ ، وكلُّ ذٰلك تصديقاً لأحاديثِ النبيِّ ﷺ الواردة .

وقد ذكرتُ في كتابي « أشراط الساعة » طرفاً كثيراً من ذٰلك ، فلينظره الناظر .

وأنت إذا تأملت الناسَ ، رأيت جميع محاسن[2] .

فأجمَعُوا السماط ، وصرخوا بالعياط ، قد تركوا الأذكار ، وهربت منهم الأنوار ، وأظهروا الرقص والغناء ، فأنت أنت ، وأنا أنا .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٤ / ٣٩١) عن أبي موسىٰ الأشعري رضي ٱلله عنه ، ولفظه : « إنه لتنزع عقول أهل ذٰلك الزمان ويخلف له هباء من الناس يحسب أكثرهم أنهم علىٰ شيء وليسوا علىٰ شيء » .

(٢) سقط في الأصل بمقدار لوحة كاملة .

وأما جماعةُ الأتراك ، فلا تراني ولا أراك ، نفوس طامعة ، ولكثرة الأموال جامعة ، استحلُّوا دماءَ الناس وأموالَهم وأعراضَهم ، وليس ثمة في الدنيا سوىٰ [. . . . .] ، لا يعرفون سوىٰ السُّكر ، والحرام واللواط والزنىٰ والسلاح ، وليس ثَمَّةَ صلاةٌ ولا قيام .

نفوسٌ مبهمة ، وأبدانٌ علىٰ أكلِ الحرام نَهِمَة ، وقصدُه بالمعاصي أن يقيم غيره له أكل الدجاجة والوزة ، وشربُ الرَّاح بالأقداح ، ومعاشرة الوجوه الصِّباح ، من أول الليل إلىٰ الصَّباح .

وأما جماعةُ التجار ، فكذَبَةٌ فَجَّار ، أكثرُهم تعاطىٰ بالربا والعِينَة ، ويترك بفلسٍ آخرتَه ودينَه ، ويمنع الزكاة ، ويوثق علىٰ الدرهم ، بخيلٌ بمالهِ ، شحيحٌ بحرامه وحلاله ، فلا تَفُضَّ منهم يديك ، ولا تطلبْ منهم ، فاجتنب [أن] يصير من يحبك منهم عليك .

وأما مقدِّمة البلاد ، فلا كَثَّرَ ٱللهُ منهم في العباد ، جمعوا المناجيس والخنازير ، وقطعوا الطريق ، وأخذوا الخليق ، وظلموا الفلاحين والفقراء ، ونكلوا بلاد الأستاذين والأمراء ، وضربوا المساكين ضرراً ، فكَمْ لَكْمةٍ ، وكم ضربةٍ ! كم تعريصةٍ ، وزوج القحبة ! وهـٰذا شأنهم هم وأعوانهم ، لا كَثَّرَ ٱللهُ منهم ، ولا رضي عنهم .

وأما الزُّعْر ، فقد أصاب الخلقَ منهم الذُّعْر ، كلُّ عِلْقٍ وابن قَحْبَة قد أخذ السيفَ والجحفةَ ، والقوسَ والنشابَ ، والزندَ والحربة ، وتجمَّع منهم علىٰ الخمر [. . . .] عُصبة ، فقتلوا وسرقوا ، وأخذوا أموالَ الناس سراً وجهراً ، وقهروهم أخذاً وقَسْراً ، فلا دينَ ولا إيمان ، ولا خيرَ ولا إحسان .

وأما السُّوقة ، فعصبة فَسَقَة ، لا يرعَوُون عن قبيحٍ ارتكبوه ، ولا يروعون في خير فعلوه ، بَخَسوا الميزان ، واستعملوا البهتان ، تركوا الديانة ، واستعملوا الخيانةَ ، وقلةَ الأمانة ، فإذا كان هٰؤلاء الباغون [. . .] يستجاب دعاه ، أو من يغضب لغضبه ، إلا أتاه ، فلا حول ولا قوة إلا بٱلله .

هٰذا حال الرجال ، **وأما الصبيان** ، فكما قال ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٧] ، فكلهم فَجَرة ، لا يتعلمون خيراً ، ولا يحرصون عليه ، وإنما يحرصون علىٰ الشر واللواط ، والكلام القبيح من الصغر ، فكيف [. . . .] هٰؤلاء وكيف ينسون ؟

وأما النساء ، فقد صار أكثرُهن قِحاب ، أَبخس وأنجس من الرجال [. . . . . . .] .

فيا أيها الدجال ! ما أقعدَكَ عن الخروج ؛ فقد جاء وقتُك ، وما أخَّرك عن الظهور ، فقد وُجد أنصارُك وأعوانك ، فهٰذه جنودُك قد كثرت ، وهٰذه أعوانُك قد ظهرت ، وهٰذه عساكرُك قد انتشرت ، كنا نخبر الناس أنك تختفي في البرذعة ، فالبرذعة قد فرغت ، وصرنا نقول : إنك تعمل في الحزام ، فالحزام قد تم .

وصرنا نقول : إنك تصنع اللجام ، فاللجام قد انتهىٰ .

صرنا نقول : إنك في فكرة ترتيب عسكرك ، وتهيئة آلتك من جنة أو نار ، وثريد وطعام ، وماء ومُدام ، فكأنا بك وقد أشرفتْ أعلامُك ، ونُصبت راياتُك وخيامُك ، وبرزَ إليك كلُّ يهودي ومنافق ، وكلُّ شيطان ناعق ، وكلُّ كلب وكلبة ، وكل عِلْق وقَحْبَة .

*** أقول : وإن غلب الفساد ، وعم سائرَ البلاد ، فلا بد لها من أوتاد ، يدفع ٱلله بهم البلاء عن الناس ، ويرفع بهم الشدة والبأس ، ولو خلت من الصالحين ، لخسف بنا وبهم أجمعين .**

كما أخبرنا شيخنا زيدٌ المقرئُ قال : كان قد قَدِمَ علينا هـٰذه المدرسةَ رجل غريب ، فأقام مدةً ، وكان في المدرسة ـ إذ ذاك ـ شرورٌ وقلاقل ، فأردنا ننزله ، فامتنع الناظر ، ثم بعد مدة نزله ، فلم يقبل ، ولم يأخذ شيئاً من الخبز ، ثم أقام مدة ، ثم قال لي : يا شيخ ! تدري حكايتي ؟

قلت : لا .

قال : أنا في البلاد الفلانية ـ فذكر بلاداً بعيدة ـ .

قال : حدثتني نفسي : أنه ما بقي في الدنيا أحدٌ من الصالحين .

قال : ونحن نسمع بهـٰذه المدرسة في بلادنا .

قال : فقلت في نفسي : إن كان قد بقي في الدنيا أحدٌ من الصالحين فهو في تلك المدرسة ، فقمتُ وسافرت إليها ، أَنظرُ هل أجد بها أحداً من الصالحين ؟

قال : فلما جئت ، ورأيت هـٰذه الشرورَ والقلاقل ، قلت : ما بقي في الدنيا أحدٌ من الصالحين ، فلما أنزلتموني ، قلت لنفسي : أنتِ جئتِ في طلب شيء لم تجديه ، فو ٱلله ! لا أطعمتك من هـٰذه المدرسة شيئاً ، فلم أقبل ، ولم أُطعمها منه شيئاً .

قال : فلما كانت هـٰذه الجمعة ، نزلتُ فصليت في جامع الأموي ،

فلما خرج الناس من الصلاة ، وخرجتُ معهم ، فأنا في صحن الجامع ، وإذ بشخص يقول : يا فلا[ن] !

فقلت : وكم في هـٰذا الجامع من واحد بهـٰذا الاسم غيرك !

فقال : يا فلان بنُ فلان !

فقلت : ويمكن أن يكون اسمه باسمي ، واسم أبيه باسم أبي .

فقال : يا فلان بن فلان الفلاني ـ لشهرةٍ يعرف بها ـ .

قال : فقلت : هو أنا .

قال : فجئته ، فإذا رجل واقف ، فأخذ بطوقي ، وهزني ، وقال : يا مسكين ! لو خَلَتْ من الصالحين ، لخسف بها . في الصالحية عندك منهم ستة : ثلاثة في المدرسة ، وثلاثة خارج المدرسة ، ثم أرسلني ، فأُغمي عليَّ ، وسقطتُ إلىٰ الأرض ، فلم أزل كذٰلك ، حتىٰ أفقتُ ، فلما أفقتُ ، لم أجد أحداً .

قال : ثم صَعِدْت ، فكان يقول : أما الذين في المدرسة ، فاطلعتُ منهم علىٰ اثنين ، والواحد لم أطلع عليه ، ما أدري ، لعلوِّ درجته ، أو لتقصيري ؟

وسمعتُ من عدةٍ من القدماء : أن الواحدَ من الثلاثة كان شيخنا الشيخ صفي الدين ـ رضي ٱلله عنه ـ ، وقد كان ـ في ابتداء أمرنا ـ أكثرُ من مئة واحد يعدُّ من الصالحين الأخيار ، حتىٰ من يباعد ؛ مثل : شيخِنا الشيخ صفيِّ الدين ، والشيخ زينِ الدين بن الحبال ، وأخيه شهاب

الدين ، والشيخ تقيِّ الدين بنِ قُندس ، والحاج عليِّ بن مسمارة ، والشيخِ أحمدَ الحمصيِّ ، والشيخِ أحمدَ الحمصيِّ الآخرِ ، والشيخِ أحمدَ المصريِّ ، والشيخِ إبراهيمَ اللاوي ، وبرهانِ الدينِ بنِ التقي ، والشيخِ خلفٍ ، والشيخِ عمرَ اللؤلئيِّ ، والشيخِ زيدٍ وشهابِ الدين بن زيدٍ الموصليِّ ، والشيخِ ريحان ، وشمسِ الدينِ الليبي ، والشيخ أميرِ الدين بنِ الكركي ، والشيخ محمدٍ الضحاكِ ، والحاجِّ محمدٍ الحجيج ، والشيخِ حسنٍ الخياطِ ، وشمسِ الدين الخبراصيِّ ، والشيخِ عثمانَ البلبليِّ ، والشيخِ أحمدَ الإمام ، ووالدِه الشيخِ حسنٍ ، وشمسِ الدينِ الشبليِّ ، والشيخ عليِّ بن العلاءِ ، والشيخِ السطيحِ ، والشيخِ برهانِ الدينِ الباعونيِّ ، والشيخِ إسماعيلَ شيخِ الباسطيةِ ، والشيخِ محبِّ الدينِ البغداديِّ ، والشيخِ عليِّ بن زيدٍ الموصليِّ ، والشيخِ أحمدَ الأقباعيِّ ، والعداسِ ، وخلائقَ .

ثم كان بعدَهم أخيارٌ دونهم في ذٰلك ؛ مثل : تقيِّ الدينِ الجراعيِّ ، والقاضي علاءِ الدين المَرْداويِّ ، [و]الشيخِ عمرَ العسكريِّ ، والشيخِ يوسفَ المرداويِّ ، والشيخِ خَطَّابٍ الشافعيِّ ، والشيخِ إبراهيمَ بن القدسيِّ ، والشيخِ فضلٍ النجديِّ ، والشيخِ عليٍّ النجديِّ ، وخلائقَ من هٰذا النحو .

ثم في زماننا هٰذا خَفِيَ الصالحُ ، ونرجو من ٱلله ـ عز وجل ـ أن يكون منهم الشيخُ محمدٌ الغزاويُّ ، والشيخُ محمدُ بن الحصنيِّ ، والشيخُ محمدُ بن فاتحٍ ، والشيخُ أحمدُ بن شعبانَ الغَزِّيُّ ، والشيخُ محمدٌ النجديُّ ، والشيخُ صالحٌ ، والشيخُ أحمدُ العسكريُّ .

*** وأنا أؤكد عليك ، وأقول : إياك إياك إياك أن يحصل منك أَذًىٰ أو ضررٌ لأحد ممن يُتوسم فيه الخيرُ ، فربما وقع منه عليك دعوةٌ تستجاب له فيك ، فلا تُفلح بعدها أبداً .**

وقد قلتُ في موضع من كلامي : إياكَ والإنكارَ علىٰ أحد من المشايخ ، أو ذوي الأحوال ، أو من العلماء ، أو الأخيار ، فقد شاهدتُ من ذٰلك العجبَ العجابَ في غير واقعة ، فإني قَطُّ ما أنكرتُ شيئاً ، أو وَبَّخْتُ أحداً ، إلا وابتُليت ببعض ذٰلك في نفسي ، أو أحدٍ ممن أحب .

وقد وقع أنه كان عندنا بالصالحية رجل يقال له : الشيخ حسين ، لا يزال عُرياناً مكشوفَ العورة ، وللناس فيه معتقَدٌ ؛ فقد رآه أخي شهابُ الدين ـ رحمة ٱلله عليه ـ ، وكان من الصالحين الكبار ، ومن العلماء الأخيار ، وسُمِعَتْ عند موته البشائرُ من السماء ، أنكرَ عليه ذٰلك ، وقال : هـٰذا تظهر عورته للرجال والنساء ، وطلبَ مني المساعدةَ علىٰ ذٰلك ، فقلت له : هـٰذا لا يعقل .

فقال : يُحبس في مكان حتىٰ لا يراه أحد ، وسعىٰ في ذٰلك إلىٰ القاضي الحنبلي وغيره .

فما مضىٰ عليه إلا مدة يسيرة ، حتىٰ مرض مرضَ الموت ، فكان يتعرَّىٰ في مرضه قدامَ الناس ، ولا يستتر ، فرأيتُ أن ذٰلك لكلامه ذٰلك .

وفي الأمثال : كُلُّ مَنْ عَيَّرَ ابْتُلِي .

ومن قال شيئاً ، قيل فيه مثلُه .

وكما تدين تُدان .

وبشِّر القاتلَ بالقتل ولو بعد حين .

وفي « تاريخ ابن خلكان » ، في ترجمة الإمام يوسف بن أيوب الهمذاني الزاهد صاحب الكرامات والأحوال : أنه جلس يوماً للوعظ ، واجتمع إليه الناس ، فقام مِنْ بينهم فقيه يعرف بابن السقا ؛ وآذاه ، وسأله عن مسألة ، فقال له : اجلس ؛ فإني أجد من كلامك [رائحة] الكفر ، ولعلك أن تموت علىٰ غير دين الإسلام ، ثم مضىٰ ذٰلك ، وقدم رسولُ ملكِ الروم علىٰ الخليفة ، فخرج ابن السقا مع الرسول إلىٰ القسطنطينية ، فتنصَّر ، ومات نصرانياً ، وكان ابن السقا قارئاً للقرآن ، محموداً في التلاوة .

وحكىٰ مَنْ رآه بالقسطنطينية : رأيته مريضاً ملقًىٰ علىٰ دكَّة ، وبيده مروحةٌ يذبُّ بها الذبابَ عن وجهه ، فقلت له : هل القرآنُ باقٍ علىٰ حفظك ؟ فقال : ما أَذكر منه إلا آية واحدة : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر : ٢] ، والباقي أُنسيته . نعوذ بٱلله من سخط ٱلله وخذلانه ، ونسأله حسنَ الخاتمة (١) .

قال الدَّميريُّ في « حياة الحيوان » بعد هٰذه الحكاية : فانظر يا أخي كيف هلك هٰذا الرجل ، وخذل بالانتقاد ، وترك الاعتقاد . نسأل ٱلله السلامةَ .

قال : فعليك يا أخي بالاعتقاد ، وترك الانتقاد علىٰ المشايخ العارفين ، والعلماء العاملين ، والمؤمنين الصالحين ، فإن حرابهم مسمومة .

---

(١) انظر : « وفيات الأعيان » لابن خلكان (٧ / ٧٨ ـ ٧٩) .

فقلَّ مَنْ تعرض لهم وسلم ، فسلِّمْ تسلَمْ ، ولا تنتقدْ تندمْ ، واقتدِ بإمام العارفين ، وعلامة العلماء العاملين ، ورأس الصديقين في وقته الشيخِ عبد القادرِ الكيلانيِّ ، لما عزم علىٰ زيارةِ الغوثِ بمكة ، وقال رفيقاه ما قالا ، فقال : أما أنا ، فأذهب علىٰ قدم الزيارة والتبرك ، لا علىٰ قدم الإنكار والامتحان ، فآل أمرُه إلىٰ أن قال : قدمي هـٰذا علىٰ رقبة كلِّ وليٍّ لله ، وآل أمرُ أحدِ رفيقيه إلىٰ الكفر ، وترك الإيمان ؛ كما اتفق في هـٰذه الحكاية ، وآل أمرُ الآخر إلىٰ اشتغاله بالدنيا ، وتركِه خدمة المولىٰ . نسأل ٱلله التوفيقَ والهدايةَ والإماتة علىٰ الإيمان بٱلله وبرسوله ، والاعتقاد الحسن في أوليائه وأصفيائه بمحمد وآله ، انتهىٰ كلامه .

وحكىٰ ابن خَلِّكانَ أيضاً : أن رجلاً كان يأكل هو وزوجته دجاجةً مشوية ، فوقف علىٰ الباب سائلٌ ، فرده الرجلُ خائباً ، ونال منه ، وكسر قلبه ، وكان كثير المال ، ثم إنه بعد ذٰلك افتقر ، فوقع بينه وبين زوجته ، فطلقها ، وتزوجت غيرَه ، فبينما هي ذات يوم مع الثاني ، وبين يديهما دجاجة مشوية ، جاء سائلٌ ، فسأل ، فقال لامرأته : ناوليه هـٰذه الدجاجة وما معها ، فناولته ، ونظرت إليه ، فإذا هو زوجُها الأول ، فرجعت متعجبة ، وأخبرت زوجَها الثاني أنه زوجُها الأول ، وقالت : وٱلله ! لقد كنت معه ، وكنا قد صنعنا دجاجة وشويناها ، وجلسنا نأكلها ، فجاء سائل ، فوقف علينا ، فزجره ، وكسر قلبه ، ورده خائباً ، فقال لها زوجُها الثاني : وأنا وٱلله ! ذٰلك المسكين الذي وقف عليكم ، أعطاني ٱلله وأغناني ، وأعطاني أكثر من ماله ، وأعطاني زوجته لقلة شكره [1] .

---

(١) انظر : « وفيات الأعيان » لابن خلكان (٦ / ١٠٨) .

فانظر بعين الاعتبار ، وتأدب مع ٱلله ، ومع عباد ٱلله ، وقد وقع لكثير من النساء الفواجر : أنه تزوج بها رجل من الأخيار ، فتكرهه وتبغضه ، وتناكده حتىٰ يطلقها ، وتتزوج بعده برجل من الأشرار ، فيبغضها ويناكدها ، وتذل معه ، ويذيقها الذل والهوان ، ويستوفي حق ذٰلك الصالح .

وقد رأينا كثيراً ممن قتل شخصاً ، نشأ له ولد فقتله .

ورأينا كثيراً ممن أكل مال أيتام غيره ، أكل الغيرُ ماله حين مات .

وقد روينا أن في بعض الكتب ، يقول ٱلله ـ عز وجل ـ : ابن آدم ! كما تدين تدان ، وكما تزرع تحصد .

ورأينا كثيراً ممن ربَّىٰ أولادَ غيره ، وحَرَصَ عليهم ، يَسَّرَ ٱلله له من ربىٰ أولاده ، وحرص عليهم .

ورأينا كثيراً من الناس اتخذ صبياً يلوط به ، فنشأ وكبر ، واتخذَ أولادَ ذٰلك بعده يلوط بهم .

ورأينا كثيراً من الأشرار تسلَّط علىٰ ناس من أهل الخير ، فسلط ٱلله عليه مَنْ هو أقوىٰ منه ، فآذاه بنحو ما آذىٰ ذٰلك .

وقد روينا في كتاب « الزهد » للإمام أحمد : يقول ٱلله ـ عز وجل ـ : أَنتقمُ من الظَّلَمَة بالظلمة ، وأَنتقمُ من الظلمة جميعاً [١] .

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٣٥٨) ، ولفظه : أنتقم ممن أبغض بمن أبغض ثم أصير كلاًّ إلىٰ النار .

وقد روينا في وصية الشيخ عبد القادر ـ رضي ٱلله عنه ـ : أنه قال : يكفيك من الدنيا خدمةُ وليٍّ ، أو صحبةُ عالم [1] .

* **فالأولياءُ أوتادُ الدنيا ، بهم تثبُتُ ، وبهم تستقرُّ** ؛ كما قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأُحُدٍ حين تحرَّكَ : « اسْكُنْ أُحُدُ ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ » [2] .

فبهم ثبتتْ بركتُهم ، علىٰ كلِّ مَنْ صحبهم ، أو رافقهم ، أو وُلد لهم ؛ كما قال ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف : ٨٢] فحفظ لهما ذٰلك بصلاحه ، وقيل : إنه كان الولد السابع .

أخبرنا أبو حفصٍ المقرئُ : أنا ابن عروةَ : أنا ابن أبي العباسِ المحبوبيّ : أخبرتنا ابنةُ علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا أبو جعفرِ بن المهتدي : أنا أبو طالبٍ اليوسفيُّ : أنا أبو عليٍّ بن المذهبِ : أنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : ثنا عبد ٱلله بن الإمام أحمدَ : ثنا أبي : ثنا عبد الرزاقِ : ثنا بكارٌ : سمعت وهباً يقول : إن الربَّ ـ تبارك وتعالىٰ ـ قال في بعض ما يقول لبني إسرائيل : إني إذا أُطِعْتُ ، رضيتُ ، وإذا رضيتُ ، باركتُ ، وليس لبركتي نهاية ، وإني إذا عُصيتُ ، غضبتُ ، وإذا غضبتُ ، لَعَنْتُ ، ولعنتي تبلغُ السابعَ من الولد [3] .

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا عبد الرزاقِ : ثنا بكارٌ : سمعتُ وهباً يحدِّثُ : أن بني إسرائيلَ أصابتهم عقوبةٌ وشدةٌ ، فقالوا لنبيٍّ لهم : وددنا

---

(١) انظر : « حلية الأولياء » لأبي نعيم (١٠ / ٣٥٤) .

(٢) رواه البخاري (٣٤٩٦) عن أنس رضي ٱلله عنه .

(٣) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (ص : ٥٢) .

أنا نعلمُ ما الذي يُرضي ربنا ـ عز وجل ـ ،

وجل ـ إليه : أن قومك يقولون : وَدُّوا لو

فنتبعه ؟ فأَخبرْهم : إن أرادوا رضاي ، فلير

أرضَوْهُم ، رضيتُ ، وإذا أسخطوهم ، سخط

*** وطاعتهم مولاهم لو أجلبَ عليهم**

غلبوهم ؛ لأن قوتهم بٱلله ، ولو حمله ع

وجل ـ لهم من كل هم فَرَجاً ، ومن كل ضيق

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن ع

علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي .

ابن المذهبِ : أنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : أنا عبد ٱلله بن الإمام أحمدَ : ثنا أبي : ثنا ابن آتش : ثنا منذرٌ ، عن وهبٍ ، قال : يقولُ الربُّ ـ عز وجل ـ : إذا توكَّلَ عليَّ عبدي ، لو كادَتْهُ السماوات والأرضُ ، جعلتُ له من بين ذٰلك المخرجَ [٢] .

وبه إلىٰ عبد ٱلله : حدثني عبد ٱلله بن عمرَ بن رئابٍ : ثنا ابن المباركِ ، عن معمرٍ ، عن وهبِ بن منبهٍ : إن ٱلله ـ عز وجل ـ يقول : إن عبدي إذا أطاعني ، لو أجلبَ عليه أهلُ السماء و أهلُ الأرض ، جعلتُ له مخرجاً من ذٰلك ، وإذا أطاعني عبدي ، ثم دعاني ، استجبت له ، وإذا سألني ، أعطيته [٣] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (ص : ٥٢) .

(٢) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (ص : ٥٣) .

(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤ / ٣٨) .

وبه إلىٰ عبد ٱلله : ثنا أبي : ثنا إبراهيمُ بن خالدٍ : ثنا رياحٌ : حدثني محمدُ بن عمرِو بن ملاحٍ : سمعتُ وهبَ بن منبهٍ يقول : وجدتُ في كتابٍ من كتبِ ٱلله ـ عز وجل ـ المنزَّلة : أن ٱلله ـ عز وجل ـ يقول : إني مع عبدي المؤمن حين يطيعني ، أعطيه قبل أن يسألني ، وأستجيب له قبل أن يدعوني ، وما تردَّدْتُ عن شيء تردُّدي عن قبضِ عبدي المؤمن ، إنه يكره ذٰلك ويسوءُه ، وأنا أكره أن أسوءَه ، وليس له منه بدٌّ ، وما عندي خيرٌ له ، إن عبدي إذا أطاعني ، واتبعَ أمري ، فلو أجلبَتْ عليه السماوات السبعُ بمن فيهن ، والأرضونَ السبعُ بمن فيهن ، جعلتُ له من ذٰلك المخرجَ ، وإنه إذا عصاني ، ولم يتبعْ أمري ، قطعتُ يديه من أسباب السماء ، وخسفت به الأرض من تحت قدميه ، وتركته في الهُوِيّ ، لا ينتصر من شيء ، إن سلطانَ الأرض موضوعٌ خامدٌ عندي كما يضعُ أحدُكم سلاحه عنه ، لا يقطع سيفٌ إلا بيدي ، ولا يُضرب بسوط إلا بيدي ، لا يصل إلىٰ شيء من ذٰلك إلا بإذني [(١)] .

وبه إلىٰ عبد ٱلله : ثنا أبي : ثنا أبو سعيدٍ : ثنا سليمانُ ـ يعني : ابن بلال ـ ، عن عمرِو بن أبي عمرٍو ، عن عاصمِ بن عمرَ بن قتادةَ ، عن محمودِ بن لَبيدٍ ، عن النبيِّ ﷺ : أنه قال : « إِنَّ ٱللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلاهُمْ ، فَمَنْ صَبَرَ ، فَلَهُ الصَّبْرُ ، وَمَنْ جَزِعَ ، فَلَهُ الجَزَعُ » [(٢)] .

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا عبد الرزاقِ : ثنا عمرانُ : سمعتُ وهباً يقول : يقولُ ٱلله ـ تبارك تعالىٰ ـ : اتَّقُوا غضبي ؛ فإن غضبي يدركُ إلىٰ

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (ص : ٩٦) .

(٢) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٥ / ٤٢٧) .

ثلاثةِ آباءَ ، وأَحِبُّوا رِضائي ؛ فإن رضائي يدركُ في الأمة .

*** نصحوا لله ، وأصلحوا أنفسهم له ، فبتدبيره أصلحهم ، وجعل قوته في كل جوارحهم .**

حدثني جدي : ثنا الصلاحُ بن أبي عمرَ : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا الإمامُ أبو الفَرَجِ : ثنا محمدُ بن عبد الباقي : أنا الحسنُ بن عليٍّ الجوهريُّ : ثنا محمدٌ : ثنا أحمدُ بن الحسنِ : ثنا الحكمُ بن موسىٰ : ثنا الحسنُ بن عليٍّ ، عن صدقةَ ، عن هشامٍ الكنانيِّ ، عن أنسِ بن مالكٍ ، عن النبيِّ ﷺ ، عن جبريلَ عليه السلام ، عن ربه ـ عز وجل ـ ، قال : « مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّا ، فَقَدْ بَارزَني بِالمُحارَبَةِ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ ما تَرَدَّدْتُ في قَبْضِ نَفْسِ مُؤْمِنٍ أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ، وَلا بُدَّ لَهُ مِنْهُ ، وَمِنْ عِبَادِي المُؤْمِنِينَ مَنْ يُرِيدُ بَاباً مِنَ العِبَادَةِ ، فَأَكُفُّهُ عَنْهُ ، لا يَدْ[خُـ]ـلُهُ عُجْبٌ ، فَيُفْسِدُهُ ذٰلك ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ ما افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَنَفَّلُ لِي حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ، وَمَنْ أَحْبَبْتُهُ ، كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً ، وَيَداً وَمُؤَيِّداً ، دَعَانِي فَأَجَبْتُهُ ، وَسَأَلَنِي فَأَعْطَيْتُهُ ، وَنَصَحَ لِي فَنَصَحْتُ لَهُ ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي المُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا الفَقْرُ ، وَلَوْ بَسَطْتُ لَهُ ، أَفْسَدَهُ ذٰلك ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي المُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا الصِّحَّةُ ، وَلَوْ أَسْقَمْتُهُ ، لأَفْسَدَهُ ذٰلك ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي المُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا الغِنَىٰ ، وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ ، لأَفْسَدَهُ ذٰلك ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي المُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا السَّقَمُ ، وَلَوْ أَصْحَحْتُهُ ، لأَفْسَدَهُ ذٰلك ، إِنِّي أُدَبِّرُ عِبَادِي بِعِلْمِي بِقُلُوبِهِمْ ، إِنِّي عَلِيمٌ خَبِيرٌ » (١) .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨ / ٣١٩) .

أخبرنا أبو جعفرٍ المقرئُ : ثنا الإمامُ أبو الحسنِ : أنا المحبوبيُّ : أخبرتنا ابنةُ علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي : أنا اليوسفيُّ : أنا ابن المذهبِ : أنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : ثنا عبد ٱلله بن الإمامِ أحمدَ : ثنا أبي : ثنا سيارٌ : ثنا جعفرٌ : ثنا أبو غالبٍ ، قال : بلغنا أن هٰذا الكلام في وصية عيسىٰ بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ : يا معشرَ الحواريين ! تَحَبَّبوا إلىٰ ٱلله ـ عز وجل ـ ببغضِ أهلِ المعاصي ، وتَقَرَّبوا إليه بالمقتِ لهم ، والتمسوا رضاه بسَخَطِهم . قالوا : يا نبيَّ ٱلله ! فمَنْ نجالسُ ؟ قال : جالسوا مَنْ يزيدُ في أعمالكم منطقُه ، ومن تذكركِم بٱلله رؤيتُه ، ويزهِّدكم في دنياكم عملُه [1] .

*** وأولادُهم ومَنْ بعدَهم محفوظون بحفظهم ، وأزواجُهم وكلُّ مَنْ سمتهم كذٰلك .**

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا عبد الرحمٰن ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن خيثمةَ ، قال : قال عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ : طوبىٰ للمؤمن ، ثم طوبىٰ له ، كيف يحفظُ ٱلله ـ عز و جل ـ وَلَدَه من بعده [2] .

*** حتىٰ إن ذكرَهم للقلوب كالسماد للزرع ، تنتفع القلوبُ بذكرهم .**

كما أخبرنا جدي : أنا الصلاحُ بن أبي عمرَ : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا الإمامُ أبو الفَرَجِ : أنا محمدُ بن أبي منصورٍ : أنا أحمدُ بن

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (ص : ٥٤) .

(٢) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (ص : ٥٥) .

محمدٍ : ثنا أبو الحسنِ عليُّ بن عمرَ الفقيهُ : ثنا أبو عبد ٱلله الأرجانيُّ : ثنا محمدُ بن أحمدَ : ثنا أحمدُ بن محمدٍ الفزاريُّ : ثنا عبد ٱلله بن [. . .] : سمعتُ محمداً يقول : ما رأيتُ للقلبِ أنفعَ من ذكرِ الصالحينَ .

[. . . . .] ذكرهم بالخير ، وإياك أن تذكرهم بالشر ، وهم الذين [. . . . . .] علىٰ حالهم ، [. . . . .] ، فاجتهدْ أن تكونَ مثلَهم ، أو تلحقَ بهم ، وإياكَ أن تذكرهم بالذمِّ والانتقاص ، فإنما أباحَ الشارعُ الحسدَ ليعمل مثلَه ، لا لتزولَ النعمةُ عنه ، حيث قال : « لا حَسَدَ إِلا في اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ ٱلله القُرْآنَ ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ » ، فهو يقول : لو أُوتيت مثلَ ما أُوتي هـٰذا ، لعملتُ مثلَما يعمل .

« وَرَجُلٍ آتاهُ ٱلله الحِكْمَةَ ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ » ، فهو يقول : لو أُوتيت مثلَ ما أُوتي هـٰذا ، عملتُ مثلَما يعمل [1] .

فالحسدُ الرحمانيُّ ليعمل [. . .] ، والحسدُ الشيطاني لتزولَ النعمةُ عن المحسود ، [. . . .] عنه ، فالحسدُ الشيطانيُّ يُذهب الحسناتِ .

*** ومن صفاتهم : أن قلوبَهم لينةٌ ، ونفوسَهم رحيمةٌ ، يرحمون عباد ٱلله ؛ يرحمون الصغيرَ لصغره ، والكبيرَ لكبره ، والفقيرَ لفقره ، والغنيَّ لغناه ، والعاصيَ لمعصيته ، والطائعَ لطاعته .**

وأخبرنا أبو حفصٍ المقرئُ : أنا الإمامُ أبو الحسنِ : أنا المحبوبيُّ :

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٨) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

أنبأ ابنةُ علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي : أنا اليوسفيُّ : أنا ابن المذهبِ : أنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : أنا عبد ٱلله بن الإمامِ أحمدَ : حدثني أبي : ثنا يونسُ بن محمدٍ ، ثنا الفراءُ ، عن قتادةَ ، قال : بلغنا أنه مكتوبٌ في التوراة : ابن آدمَ ! ارحمْ تُرحَمْ ، إنه مَنْ لا يرحمُ لا يُرحَمُ ، كيف ترجو أن أرحمَك وأنتَ لا ترحَم عبادي ؟ !

وفي الحديث الصحيح شواهدُ ذٰلك ، فقد قال عليه السلام : « ارْحَمُوا تُرْحَمُوا ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ »[1] .

وقال : « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرحمـٰن »[2] .

وقال : « مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ »[3] .

وقال : « لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلا مِنْ شَقِيٍّ »[4] . إلىٰ غير ذٰلك .

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا إسماعيلُ بن عبد الكريمِ : حدثني عبد الصمدِ بن معقلٍ : أنه سمعَ وهبَ بن منبهٍ يقول : وجدتُ في كتابِ داود عليه السلام : إن ٱلله ـ تبارك وتعالىٰ ـ يقول : بعزتي وجلالي ! إنَّ مَنْ أهانَ ولياً ، فقد بارزَني بالمحاربة[5] .

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٤١) ، والترمذي (١٩٢٤) عن ابن عمر رضي ٱلله عنهما .

(٢) رواه أبو داود (٤٩٤١) ، والترمذي (١٩٢٤) عن ابن عمر رضي ٱلله عنهما .

(٣) رواه البخاري (٥٦٥١) ، ومسلم (٢٣١٨) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

(٤) رواه أبو داود (٤٩٤٢) ، والترمذي (١٩٢٣) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

(٥) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٠٩) عن أنس رضي ٱلله عنه .

* **ومنهم من يعلم ٱلله طاعتَه ، فيُعطيه قبل سؤاله .**

فبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا إسماعيلُ ـ يعني : ابن عبد الكريم ـ : ثنا عبد الصمدِ بن معقلٍ : أنه سمعَ وهباً قال : قرأتُ في كتابٍ آخرَ : أن ٱلله ـ تبارك وتعالىٰ ـ يقول : كفاني لعبدي مالاً ، إذا كان عبدي في طاعتي ، أعطيته من قبل أن يسألني ، وأستجيبُ له من قبل أن يدعوَني ، فإني أعلم بحاجته التي ترفق به من نفسه .

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا إسماعيلُ : ثنا عبد الصمدِ بن معقلٍ : أنه سمع وهبَ بن منبهٍ قال : قرأتُ في كتابٍ آخرَ : أن ٱلله ـ عز وجل ـ يقول : بعزتي ! إنه من اعتصم بي ، فإن كادَتْه السماوات بمن فيهن ، والأرضُ بمن فيهن ، فإني أجعلُ له من بين ذٰلك مخرجاً ، ومن لم يعتصم بي ، فإني أخسِفُ به من تحت قدميه الأرض ، فأجعلُه في الهواء ، ثم أَكِلُه إلىٰ نفسِه [1] .

* **فمنِ اعتصمَ بٱلله ، عصمه ٱلله ، وقام بنصره ، وأذلَّ مَنْ قصده وقهره ، ومن صالَ بقوته ، وأُعجب بنفسه ، فلو سلط ٱلله عليه ذرةً ، لقهرَتْه ، وٱلله خاذلُه ومذلُّه .**

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا عبد الرزاقِ : ثنا عمرانُ : سمعتُ وهباً يقول : ما أكرمَ ٱلله تعالىٰ شيئاً قَطُّ ما أكرمَ كريمَ بني آدمَ ، إني وجدتُ في كتابِ آلِ داودَ : إن ٱلله ـ عز وجل ـ يقول : بعزتي ! إنه من أهانَ لي وليّاً ، فقد استقبلني بالمحاربة ، ما تردَّدْتُ عن شيء أريده تردُّدي عن

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٩ / ٢٩١٠) .

موتِ المؤمنِ ؛ قد علمت أنه يكره الموتَ ، ولا بدَّ له منهُ ، وأنا أكره أن أسوءه ، بعزتي ! إنه من اعتصم بي ، فإن كادَتْه السماوات بمن فيهن ، والأَرَضونَ بمن فيهن ، فإني أجعلُ له من بين ذٰلك مخرجاً ، ومن لم يعتصم بي ، فإني أقطعُ يديه من أسباب السماء ، وأخسِفُ به من تحتِ قدميه الأرض ، فأجعلُه في الهواء ، ثم أَكِلُه إلىٰ نفسِه ، كفاني لعبدي مالاً ، إذا كان عبدي في طاعتي ، أعطيتُه قبل أن يسألني ، واستجبتُ له من قبل أن يدعُوَني ؛ فإني أعلمُ بحاجته التي ترفُق به من نفسه [(١)] .

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا هشامُ بن القاسمِ : ثنا أبو سعيدٍ ـ يعني : المؤدب ـ : ثنا مَنْ سمع عطاءً الخراسانيَّ قال : لقيتُ ابن منبهٍ وهو يطوفُ بالبيت ، فقلت له : حدثْني حديثاً أحفظُه عنكَ في مقامي هـٰذا ، وأَوْجِزْ ، قال : نعم ، أوحىٰ ٱلله ـ تبارك وتعالىٰ ـ إلىٰ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ : يا داودُ ابن أيشا ! أما وعزتي وعظمتي ! لا يعتصمُ بي عبد من عبادي دونَ خلقي أعرفُ ذٰلك من نيته ، أو قال : من قلبه ، فتكيده السماوات السبعُ ومَنْ فيهن ، والأَرَضون السبعُ ومن فيهن ، إلا جعلتُ له من بينهن مخرجاً . أما وعزتي وعظمتي ! لا يعتصمُ عبد من عبادي بمخلوق دوني ، أعرف ذٰلك من نيته ، إلا قطعتُ أسبابَ السماء من يده ، وأَسَخْتُ الأرضَ من تحت قدميه ، ثم لا أبالي بأيِّ وادٍ هلك .

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا عبد الصمدِ ـ يعني : العَمِّيَّ ـ ، عن مالك : مكتوبٌ في الزبور : بنار المنافق تحترق المدينة .

---

(١) ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨ / ٣١٨) نحوه .

وبه إلىٰ الإمام أحمدَ : ثنا ابن حزمٍ ـ وهو العطارُ ـ ، قال : قال مالكُ بن دينارٍ : قرأت في الزبور : بكبرياء المنافق يحترق المسكين [١] .

وبه إلىٰ الإمام أحمدَ : ثنا عارمٌ : ثنا سعيدُ بن زيدٍ : ثنا عثمانُ الشَّحَّامُ : حدثني شيخٌ من أهلِ البصرةِ كان له فضلٌ ، وكان له سِنٌّ ، قال : بلغني أن داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل ربه ـ عز وجل ـ ، قال : يا ربِّ ! كيف لي أن أمشيَ لك في الأرض بنصح ، وأعملَ لك فيها بنصح ؟ قال : يا داود ! تحب من أحبني من أحمرَ وأبيضَ ، ولا تزالُ شفتاك رطبتين من ذكري ، واجتنبْ فراشَ الغيبةِ ، قال : يا ربِّ ! كيف لي أن يحبني في أهل الدنيا البرُّ والفاجرُ ؟ قال : يا داود ! تُصانعُ أهلَ الدنيا لدنياهم ، وتحب أهل الآخرة لآخرتهم ، وتختار إليك دينك بيني وبينك ؛ فإنك إذا فعلت ذٰلك ، لا يضرك من ضل إذا اهتديت . قال : ربِّ ! فأرني أصفياءك من خلقك من هم ؟ قال : نقيُّ الكفين ، نقي القلب ، يمشي تماماً ، ويقول صواباً .

وبه إلىٰ الإمام أحمدَ : ثنا إبراهيمُ بن خالدٍ : حدثني عبد ٱلله بن بحيرٍ ، قال : سمعتُ وهبَ بن منبهٍ يقول : قال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيْ ربِّ ! أَيُّ عبادِك أحبُّ إليك ؟ قال : من أُذْكَر برؤيته . قال : ربِّ ! أيُّ عبادك أحبُّ إليك ؟ قال : الذين يعودون المرضىٰ ، ويعزُّون الثكلىٰ ، ويشيِّعون الهلكىٰ [٢] .

---

(١) ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢ / ٣٧٦) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤ / ٤٥) .

* **وهم قوم عُرف فضلُهم ، ولم يروا لهم فضلاً علىٰ أحد .**

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا إبراهيمُ بن خلد : حدثني عبد ٱلله بن بحيرٍ ، قال : سمعتُ وهبَ بن منبهٍ يقول : إن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لبني إسرائيل : ائتوني بخيركم رجلاً ، فأتوه برجل ، قال : أنتَ خيرُ بني إسرائيل ؟ قال : كذٰلك يزعمون ، قال : اذهبْ فائتني بشرهم ، قال : فذهب ، فجاء وليس معه أحد ، فقال : جئتني بشرهم ؟ قال : أنا ما أعلم من أحد منهم ما أعلم من نفسي ، قال : أنت خيرهم .

* **فهم مع ٱلله ، وٱلله معهم .**

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا سيارٌ : ثنا جعفرٌ ، عن عمرانَ القصيرِ ، قال : قال موسىٰ بن عمرانَ : أَيْ ربِّ ! أين أبغيكَ ؟ قال : ابْغِني عند المنكسرةِ قلوبُهم ؛ إني أدنو منهم كلَّ يومٍ باعاً ، ولولا ذٰلك ، انهدموا [1] .

* **لا يخافون من شيء غير ٱلله .**

أخبرنا جدي وغيرُه : أنا الصلاحُ بن أبي عمرَ : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا الإمامُ أبو الفَرَجِ : أنا عبد الوهابِ بن المباركِ : أنا أبو الحسنِ عليُّ بن محمدٍ : أنا أحمدُ بن محمدِ بن يوسفَ : أنا ابن صفوانَ : ثنا أبو بكرٍ القرشيُّ : ثنا أحمدُ بن عمرانَ ، قال : سمعتُ أبا معاويةَ يقول : ثنا الأعمشُ ، عن شقيقٍ ، قال : خرجْنا في غَزاة لنا مخوفةٍ ، وإذا رجلٌ نائمٌ ، فأيقظناه ، فقلنا : تنامُ في مثل هٰذا

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦ / ١٧٧) .

المكان ؟ ! فرفعَ رأسَه فقالَ : إني لأستحي من ربِّ العرشِ يعلم أني أخاف شيئاً دونَه ، ثم ضرب برأسه فنام .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا الإمامُ أبو الحسنِ : أنا المحبوبيُّ : أنا ابنةُ علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي : أنا أبو طالبٍ اليوسفيُّ : أنا ابن المُذْهبِ : أنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : أنا عبد ٱلله بن الإمامِ أحمدَ : حدثني أبي : ثنا مسكينُ بن بكيرٍ : ثنا سفيانُ ، عمن أخبره : إن لقمانَ قال لابنه : أَيْ بنيَّ ! إن الدنيا بحرٌ عميق ، قد غرق فيه ناسٌ كثير ، فاجعلْ سفينتك فيها تقوىٰ ٱلله ـ عز وجل ـ ، وحَشْوَها الإيمانَ بٱلله ، وشراعَها التوكلَ علىٰ ٱلله ؛ لعلك تنجو ، ولا أراك ناجياً [١] .

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا حجاجٌ : حدثني جريرٌ ـ يعني : ابن حازم ـ : [حدثني وهيبٌ المكيُّ] ، قال : بلغني أن في التوراة ، أو في بعض الكتب : أن ٱلله ـ عز وجل ـ يقول : يا ابن آدمَ ! اذكرني إذا غضبتَ ، أَذكرْكَ إذا غضبتُ ، فلا أمحقُك مع من أمحق ، وإذا ظُلمتَ ، فارضَ بنصرتي لك ؛ فإن نصرتي لك خير لك من نُصرتك نفسَك [٢] .

أخبرنا جدي وغيرُه : أنا الصلاحُ بن أبي عمرَ : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا الإمامُ أبو الفَرَجِ : أنا عمرانُ بن أبي منصورٍ ، وابن عبد الباقي : أنا جعفرُ بن أحمدَ : ثنا أحمدُ بن عليٍّ : أنا محمدُ بن عبد ٱلله الدمانُ : أنا الحسينُ بن صفوانَ : أنا أبو بكرٍ القرشيُّ : حدثني

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (ص : ١٠٤) .

(٢) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (ص : ٥٠) .

محمدُ بن يحيىٰ : سمعت أبا عبد الرحمـٰن القرشيَّ : حُدِّثْتُ عن الحسنِ ، قال : رأيتُ بدويةً دخلتِ الطوافَ ، فقالت : يا حَسَنَ الصحبة ! جئتُك من بعيد ، أقبلْتُ أسألُكَ سترَكَ الذي لا تَخرقه الرماح ، ولا تُزيله الرياح (١) .

أخبرنا أبو حفصٍ المقرئُ : أنا الإمامُ أبو الحسنِ : أنا المحبوبيُّ : أنبأ ابنةُ علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي : أنا أبو طالبٍ اليوسفيُّ : أنا ابن المذهبِ : أنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : أنا عبد ٱلله بن الإمامِ أحمدَ : ثنا أبي : ثنا عبد الرزاقِ : ثنا معمرٌ ، عن أيوبَ ، عن أبي قلابةَ ، قال : قال أبو الدرداء : البِرُّ لا يَبْلىٰ ، والإثمُ لا يُنسىٰ ، والدَّيَّانُ لا ينام ، فكنْ كما شئتَ ، كما تَدينُ تُدانُ .

وبه إلىٰ الإمامِ أحمدَ : ثنا عبد الصمدِ بن عبد الوارثِ : حدثني المثنىٰ بن عوفٍ : ثنا أبو عبد ٱلله ـ يعني : الجسريَّ ـ : أن رجلاً انطلق إلىٰ أبي الدرداء ، فسلم عليه ، فقال : أوصني [. . . . .] ؛ فإني غازٍ ، قال له : اتق ٱلله ـ عز وجل ـ كأنك تراه حتىٰ تلقاه ، وعُدَّ نفسَك في الأموات ، ولا تَعُدَّها في الأحياء ، وإياكَ ودعوةَ المظلوم (٢) .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا أبو بكرٍ بن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أنا المظفرُ السمعانيُّ : أنا أبو عمرٍو البيكنديُّ : أنا أبو بكرٍ الجميليُّ : أنا أبو محمدٍ الحلوانيُّ : أنا أبو عليٍّ

---

(١) ورواه الرافعي في « التدوين في أخبار قزوين » (٣ / ٤١٩) .

(٢) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (ص : ١٤٢) .

النسفيُّ : أنا أبو أحمدَ المطوعيُّ : أنا أبو بكرٍ محمدُ بن الفضلِ : ثنا عبد ٱلله بن محمدٍ : ثنا أبو الفضلِ محمدُ بن داودَ : ثنا محمدُ بن عيسىٰ : ثنا سفيانُ بن عُيينةَ ، عن عمرِو بن دينارٍ ، قال : كان رجل ينادي : لا تظلموا الناس عبادَ ٱلله ، واتقوا دعوةَ المظلوم ، قال : فقلتُ له : ما قصتك ؟ قال : كنت رجلاً شرطياً ، فرأيت صياداً قد صاد سمكةً ، فساومتُه بها ، فأبىٰ أن يبيعها ، [. . .] فضربتُه ، وأخذتُ منه السمكة ، فبينا هي معلقةٌ ، إذ وَثَبَتْ فعضَّتْ علىٰ أصبعي ، فلما بلغتُ المنزلَ ، رأيتُها قرحةً منكرةً ، وكان لنا جار ينظر في القروح ، فأَرَيته إياها ، فقال : اقطعْها من المفصل ، وإلا ، دَبَّتْ في يدك ؛ فإنها أَكِلَة ، قال : فقطعتُها ، فدبَّتْ في ظهر الكَفِّ ، قال : اقْطعه ، فقطعته ، فدبَّت في ساعدي ، قال : اقطعْها ، فدبَّت في العَضُد ، فأتاني آتٍ في منامي ، فقال لي : دواؤك عندَ مَنْ ظلمتَه ، فأتيتُ الصيادَ ، فجلست بين يديه وأنا أبكي ، فقلت له : حَلِّلْني ، فقد أصابني من أجلك هـٰذا ، قال : فأخذ الرجل يبكي ، وقال : اللَّهمَّ إني جعلتُه في حِلٍّ ، قال : فرأيتُ الدودَ يتناثر من يدي ، ثم قال لابن له : احفر زاوية الباب .

قال : فحفرَ ، فأخرجَ منها جرةً فيها عشرةُ آلافِ درهمٍ ، قال : فخذْها أنفقْها علىٰ نفسك وعيالك ، قال : فأخذتُها وتوقفتُ ، فقلتُ له : هل دعوتَ عليَّ حين أخفتُك ، فأخذتُ السمكةَ منك ؟ قال : نعم ، قلت : يا ربِّ ! خلقتَ هـٰذا قوياً ، وخلقتني ضعيفاً ، فأحِلَّ به عقوبةً في الدنيا تكون نكالاً ، فهو ما رأيتَ .

وبه إلىٰ السمعانيِّ : أنا أبو عمرٍو البيكنديُّ : أنا أبو الفضلِ

الطرواخيُّ : أنا أبو الحارثِ المروزيُّ : حدثني إبراهيمُ بن عاصمٍ : ثنا الحسينُ بن يحيىٰ : ثنا المؤملُ بن إسماعيلَ ، عن عبد العزيزِ بن أبي روادٍ : أن رجلاً لقي لقمانَ ، فقال : ألستَ عبد بني فلانٍ ؟ قال : بلىٰ ، قال : فما بلغَ بك ما ترىٰ ؟ قال : قَدَرُ ٱلله ، وصدقُ الحديث ، وأداءُ الأمانة .

قال : وكان من شأنه : أنه كان له بيت مال ، فكان لا يستقرض منه إنسانٌ مئةَ درهمٍ إلىٰ عشرةِ آلاف درهم إلا أقرضه ، وكان لا يتقاضاه حتىٰ يوسر ، فأقرضَ رجلاً في قرية أخرىٰ ، فبلغه أنه أيسرَ ، ولم يَرُدَّ عليه حقه ، فقال : يا بني ! اذهب إلىٰ قرية كذا وكذا ، وقل لفلان : إن أبي يُقرئك السلامَ ، ويقول : بلغني أنك قد أيسرتَ ، فلم تردَّ علينا حقنا ، ويا بني ! انظر ألا تنزل تحت شجرة كذا وكذا ، ولا تدخل قرية كذا وكذا .

وإذا كان معك صاحبُك ، فلا تُغضبه ، اذهبْ فأثبت وديعة ٱلله تعالىٰ .

قال : فلما كان في طرف القرية ، إذا هو برجل ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد قريةَ كذا وكذا ، قال : الصحبة ؟ قال : نعم ، فانطلقا ، فلما انتهيا إلىٰ الشجرة ، قال : إن أبي قد نهاني أن أنزل تحتها ، قال : وما قال لك ؟ قال : قال لي : والصاحب فلا تعصه ، قال : أنا صاحبك ، فلا تعصني ، فعدل معه ، فكان تحت الشجرة حيةٌ ، إذا نزل المسافرُ ونامَ ، خرجت الحيةُ فقتلته .

قال : فقال لصاحبه : ضع رأسَك .

قال : فنام ، فخرجت الحيةُ ، ورصدَه صاحبُه ، فقتلَها ، وأخذ شحمَها ، فلما أصبحوا ، إذا هو صحيحٌ سويٌّ ، فانطلقا حتىٰ انتهيا إلىٰ القرية ، فقال صاحبُه : اعدلْ بنا ندخلْ هٰذه القرية ، قال : إن أبي قد نهاني أن أدخلها ، قال : فما قال لك ؟ قال : قال : والصاحب فلا تعصِه ، قال : أنا صاحبك ، فلا تعصني ، فدخلوا ، وإذا في القرية ابنةُ ملكٍ تدخل عليها كل ليلة حتىٰ [. . .] فيصبح معنا ، فلما رأوا ابن لقمان ، قال : هلم [. . .] الليلة ، من شبابنا بهٰذا الشاب الواحد ، قالوا : هلمَّ نزوجْك ابنةَ الملك ، قال : لا حاجة لي فيها ، قال صاحبه : افعل ، قال : لا حاجة لي فيها ، قال : أليس أَمَرك أبوك أن لا تعصيني ؟ ففعل ، فقال : إنك إذا دخلت عليها ، فإنها تواتيك ، فعانِقْها وقَبِّلْها ، وجامعها ، فإذا ما فرغتَ ، فاخرجْ ، فأنا لك بالباب .

فلما دخل إليها ، وأتت إليه ، عانقها وقبلها ، ثم جامعها ، فلما انتهىٰ ، خرج إلىٰ الباب ، فإذا صاحبه علىٰ الباب ، معه مجمرٌ فيها [. . .] وشحم تلك الحية التي قتلها ، قال : اذهب فادهن بهٰذا الشحم يأتي في قبلها حية ، فإذا خرجت الحيةُ من قُبلها ، فاقتلها ، ثم شأنك بها .

قال : ففعل ، فخرجت الحيةُ من قُبلها ، فقتلها ، ثم صنع بها ما بدا له ، فلما أصبحا ، إذا هو صحيحٌ سويٌّ .

قال : فانطلقوا إلىٰ قرية غريمِ أبيه ، فقال : إن أبي يُقرئك السلام ، ويقول : بلغني أنك قد أيسرتَ ، فلم تردَّ علينا حقَّنا ، قال : تبيت عندي الليلة ، فإذا أصبحتَ ، أعطيتُك ، فقال صاحبُه : افعل .

قال : وكانت له غرفة لها بابان : بابٌ من قِبل البر ، وباب من قِبل البحر ، قال : فوضع سريراً من قِبل البر ، وسريراً من قِبل البحر ، فأنامَ ابن لقمانَ على السرير الذي من قِبل البحر ، وأنامَ ابنه على السرير الذي من قِبل البر ، فجاء صاحبُه ، فأخذ ابن لقمانَ ، فأقامه على سرير ابنه ، وأقام ابنه على سريرِ ابن لقمان ، فجاء الرجل بالليل ، فأخذ السريرَ ، فألقاه في البحر ، فلما أصبح إذا [....] ، وابن لقمانَ صحيح ، فأعطاه حقَّه ، فرجع ، فلما كان في الموضع الذي افترقا ، قال : أَقرئ أباك مني السلام ، قال : من أنتَ ؛ فإني وجدتُك خيرَ صاحب ؟ [.........] قال أبوك : اذهب وديعة الله ، بعثني الله تعالى إليك لأحفظَك .

وبه إلى البيكنديِّ : أنا أبو بكرٍ الجميليُّ : أنا أبو محمدٍ الحلوانيُّ : أنا أبو عليٍّ النسفيُّ : ثنا الحاكمُ أبو أحمدَ : ثنا نبهانُ بن إسحاقَ : ثنا الربيعُ : ثنا عبد الله بن وهبٍ : ثنا زيدٌ ، عن أبيه ، قال : بلغنا أن عيسى عليه السلام كان يوماً في أصحابه ، إذ مر به رجلٌ ، فقال : يرجع هذا ميتاً ، فرجع حياً ، على [ظهره] حزمةُ حطب ، فقالوا : يا نبي الله ! ما من شيء حدثتناه قط إلا كان كما حدثتناه ، فقال للرجل : ما أخذت من العمل ؟ قال : لا شيء ، إلا أنه كان معي قرصان تصدقت بأحدهما على مسكين ، فقال : ضع حزمتك ، فقال : اكشفها ، فإذا فيها أسودُ مقطوعُ الرأس ، فقال : لولا القرصُ الذي تصدقتَ به ، لقتلكَ هذا الأسودُ ، ولكن الصدقةَ تدفع ميتةَ السوء .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا أبو محمدِ بن القيمِ : أنا

أبو عبد ٱلله بن الكمال ، وأبو بكرِ بن طرخانَ ، قالا : أنا أبو المظفرِ السمعانيُّ . قال ابن المحبِّ : وأنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أنا أبو المظفرِ السمعانيُّ : أنا أبو عبد ٱلله السعديُّ : أنا أبو إبراهيمَ النسفيُّ : أنا الإمامُ الوالدُ : ثنا الإمامُ أبو نصرٍ المزكي : ثنا الحاكمُ أبو نصرٍ : حدثني أبو العباسِ المراغيُّ : حدثني أبو حمزةَ الخراسانيُّ ، قال : حججتُ سنةً من السنين ، فكنت أنا ورفيق لي ، فوقعتُ في بئر خمسة عشر ذراعاً ، فنازعتني نفسي أن أستغيث ، فقلت : لا ، وٱلله ! لا أستغيثُ فما استممتُ هـٰذا الخاطرَ حتىٰ مرَّ برأس البئر رجلان ، فقال أحدُهما للآخر : تعالَ حتىٰ نطمرَ رأسَ البئر ؛ فإنه علىٰ الطريق ، فأتوا بقصب وبارية ، فهممتُ أن أصيحَ ، فقلت : إلىٰ من هو أقربُ إليَّ منه ؟ فسكتُّ حتىٰ طَمُّوا البئرَ ، وجلستُ إلىٰ الليل ، فإذا أنا بشيء يبحث حتىٰ كشف عن فم البئر ، وإذا بشيء قد دَلَّىٰ رجلَه في البئر ، وقائلٍ يقولُ : تعلَّقْ به ، فتعلقت فإذا هو سَبُعٌ ، وإذا هاتفٌ يهتف يقول : يا أبا حمزة ! هـٰذا أحسنُ ، نجيناك من التلف بالتلف من البئر بالسبع [1] .

أخبرنا الفخرُ المرشديُّ : أنا ابن الجزريِّ : أنا الصلاحُ بن أبي عمرَ ح .

وأنا جدي إذناً : أنا الصلاحُ بن أبي عمرَ : أنا ابن البخاريِّ : أنا أبو المنادي : أنا أبو غالبٍ الماورديُّ : ثنا أبو عليٍّ التستَريُّ : أنا القاضي

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠ / ١٧٧) .

أبو عمرَ الهاشميُّ : ثنا أبو العباسِ محمدُ بن أحمدَ الأثرمُ : ثنا أبو زيدٍ المقرئُ : ثنا جعفرُ بن الفزرِ العابدُ ، قال : كنت عند سفيانَ ابن عيينةَ ، فالتفتَ إلىٰ شيخٍ فقال : حَدِّثِ القومَ بحديث الحية ، فقال : حدثني عبد الجبار : أنَّ خميرَ بن عبد ٱلله خرج إلىٰ مُتَصَيَّده ، فتمثلَتْ بين يديه حيةٌ ، فقالت : أجرني ، أجاركَ ٱلله في ظله يومَ لا ظلَّ إلا ظله . قال : ومما أُجيركِ ؟ قالت : من عدوٍّ قد رهقني يريد أن يقطعني إرباً إرباً . قال : ومن أنت ؟ قالت : من أهل لا إلـٰه إلا ٱلله . قال : وأين أخبئك ؟ قالت : في جوفك إن كنتَ تريدُ المعروفَ . قال : ففتح فاه ، وقال : هاكِ ، فدخلتْ جوفه . فإذا رجلٌ معه صمصامةٌ ، فقال : يا خمير ! أين الحية ؟ قال : ما أرىٰ شيئاً . قال : سبحان ٱلله ! قال : نعم ، سبحان ٱلله ! ما أرىٰ شيئاً . فذهب الرجل ، فأطلعت الحيةُ رأسَها ، وقالت : يا خمير ! أتحس الرجل ؟ قال لها : قد ذهب . قالت : فاختر مني أحد خصلتين : أن أنكتك نكتة فأقتلك ، أو أفرث كبدك فتلقيه من أسفل قطعاً . قال : وٱلله ! ما كافأتني ؟ قالت : حين تضع المعروف عند من لا يعرفه ، وقد عرفتَ عداوةَ ما بيني وبين أبيك قديماً ، وليس معي مال فأعطيك ، ولا دابةٌ فأحملك . قال : فأمهليني آتي سفحَ هـٰذا الجبل ، فأمهدَ لنفسي ، فبينا هو يمشي ، إذا بفتىً حسنِ الوجه ، طيبِ الريح ، حسنِ الثياب ، فقال له : يا شيخ ! مالي أراك مستسلماً للموت ، آيساً من الحياة ؟ .

قال : من عدوٍّ في جوفي يريد هلاكي . قال : فاستخرجَ شيئاً من كمه ، فدفعه إليَّ ، وقال : كُلْها ، ففعل ، فأصابه مغص شديد ، ثم ناوله

أخرىٰ فأكلها ، فرمىٰ بالحية من أسفله قطعاً . فقال : من أنت يرحمك ٱلله ، فما أحدٌ أعظم علي مِنَّةً منك ؟ قال : أنا المعروف ، إن أهل السماء لما رأوا غدرَ الحيةِ بك ، اضطربوا ، كُلٌّ يسأل ربَّه أن يُغيثك ، قال ٱلله تعالىٰ : يا معروف ! أدرك عبدي ، فإيايَ أرادَ بما صنع (١) .

وبه إلىٰ ابن البخاريِّ : ثنا إسماعيلُ بن عثمانَ : ثنا أبو الأسعدِ هبةُ الرحمـٰن : أنا جدي عبد الكريمِ : أنا أبو الحسينِ بن بشرانَ : ثنا أبو عمرِو بن السماكِ : ثنا محمدُ بن عبد ربِّهِ : ثنا بشرُ بن عبد الملكِ : ثنا موسىٰ بن الحجاجِ ، قال : قالَ مالكُ بن دينارٍ : ثنا الحسنُ ، عن أنسِ بن مالكٍ ، قال : كان رجلٌ علىٰ عهدِ رسولِ ٱلله ﷺ يَتَّجِر من بلاد الشام إلىٰ المدينة ، ومن المدينة إلىٰ بلاد الشام ، ولا يصحبُ القومَ ، قال : توكلاً منه علىٰ ٱلله ـ عز وجل ـ .

قال : فبينا هو جاء من الشام يريد المدينة ، إذ عرض له لص علىٰ فرس ، فصاح بالتاجر [. . .] .

قال : فوقف له التاجرُ ، وقال لهُ : شأنك بمالي ، وخَلِّ سبيلي .

قال : فقال له اللصُّ : المالُ مالي ، وإنما أريدُ نفسَك .

فقال التاجر : ما ترجو بنفسي ؟ شأنك بالمال ، وخَلِّ سبيلي .

قال : فرد عليه اللص مثلَ المقالة الأولىٰ .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤) .

فقال له التاجر : أَنظرني حتىٰ أتوضأ ، وأصليَ ، وأدعوَ ربي ـ عز وجل ـ .

قال : افعلْ ما بدا لك .

قال : فقام التاجر فتوضأ ، وصلىٰ أربع ركعات ، ثم رفع يديه إلىٰ السماء ، فكان من دعائه أن قال : اللَّهمَّ يا وَدودُ ، يا وَدودُ ، يا ذا العرش المجيد ، يا مبدئُ يا معيدُ ، يا فعال لما يريد ، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركانَ عرشك ، وأسألك بقدرتك التي قدرتَ بها علىٰ خلقك ، وبرحمتك التي وسعَتْ كل شيء ، لا إلـٰه إلا أنت .

يا مغيثُ أغثني ، يا مغيثُ أغثني ، يا مغيثُ أغثني ـ ثلاث مرات ـ .

فلما فرغ من دعائه ، إذ بفارس علىٰ فرسٍ أشهبَ ، عليه ثيابٌ خضر ، بيده حربةٌ من نور .

فلما نظر اللصُّ إلىٰ الفارس ، ترك التاجر ، ومر نحو الفارس ، فلما دنا منه ، شدَّ الفارسُ علىٰ اللص ، فطعنه طعنةً أرداه عن فرسه ، ثم جاء إلىٰ التاجر ، فقال له قم فاقتلْه ، فقال له التاجر : ممن أتيت ، فما قتلتُ أحداً قطُّ ، ولا تطيبُ نفسي بقتله ، فرجعَ الفارس إلىٰ اللص وقتله ، ثم جاء إلىٰ التاجر ، وقال : اعلمْ أني مَلَكٌ من السماء الثالثة ، حينَ دعوت الأولىٰ سمعنا لأبواب السماء قعقعةً ، فقلنا : أمرٌ حدثَ ، ثم دعوتَ الثانية ، ففتحت أبواب السماء ، ولها شرر كشرر [. . . .] ، ثم دعوت الثالثة ، فهبط جبريل من قبل السماء وهو ينادي : مَنْ لهـٰذا المكروب ؟ فدعوتُ ربي أن يوليني قتلَه .

فاعلم يا عبد ٱلله : أنه من دعا بدعائك هٰذا في كل كربة وكل شدة وكل نازلة ، فَرَّجَ ٱلله عنه ، وأغاثه .

قال : وخرج التاجر سالماً غانماً حتىٰ دخل المدينة ، وجاء إلىٰ النبي ﷺ ، وأخبره القصة ، وأخبره بالدعاء ، فقال له النبي ﷺ : لَقَدْ سأل ٱلله بأسمائه الحُسْنَىٰ الَّتِي إِذَا دُعِيَ بِهَا أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهَا أَعْطَىٰ » .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا أبو محمدٍ عبد الرحمٰن بن عبد الواحدِ ، وجَدِّي أبو العباسِ ، قالا : أنا عبد ٱلله الخشوعيُّ : أنا أبي : أنا أبو محمدِ بن الأكفانيِّ : أنا أبو محمدٍ الكنانيُّ : أنا أبو نصرٍ المريُّ : أنا ابن زَبرٍ : أنا أبي : ثنا عبد ٱلله بن مسلمٍ ، عن داودَ بن أبي العباسِ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : بعثَ بي المنصورُ إلىٰ ابن أبي ذئبٍ ، أسألُ عن مسألة ، فقال : ما هي ؟ فذكرتها له .

فقال : لا يراني ٱلله ـ عز وجل ـ أفتي جباراً مثلَه في مسألة فيها ضررٌ علىٰ المسلمين .

قال : فرجعتُ إلىٰ المنصور مغضباً ، فعرف في وجهي ذٰلك .

فقال : لقد جئتَ بغير الوجه الذي ذهبتَ به .

فقلت : تبعثُ بي إلىٰ مجنون ! ثم أخبرته .

فقال المنصور : الذي لقيتُ أنا منه العامَ في الطواف أشدُّ من هٰذا ، كنت بالأسواق إلىٰ أن أراه ، فبينا أنا أطوف ، إذ قال لي المسيبُ : ألستَ كنتَ تسألُ عن ابن أبي ذئبٍ ؟ فقلت : بلىٰ ، قال : هو ذا

هو [. . . . . .] ، فأتيته فقلتُ : السلامُ عليكم ورحمة ٱلله ، فناولته يدي ، [. . . .] بعينيه في وجهي ، فقال : من أنت ؟ فلقد أخذتَ بيدي أخذَ جبارٍ .

قلت : أوما تعرفني ؟

قال : لا .

قلت : أنا أبو جعفر المنصور .

قال : فجذب يدَه من يدي ، وقال : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة : ٢٢] الآية ، قال : قلت : يا أمير المؤمنين ! فما صنعتَ به ؟ قال : ما عسيت أن أفعل برجلٍ ٱللهُ في قلبه عظيم .

وبه إلىٰ ابن زَبْرٍ : أنا أبي ، قال : ذكر عبد الجبارِ بن سعيدٍ ، عن أبيه ، عن محمدِ بن إبراهيمَ ، قال : حضرتُ أبا جعفرٍ المنصورَ بالمدينة ، وعندَه ابن أبي ذئب ، فقال له أبو جعفرٍ : يا بن أبي ذئب ! أخبرني بحالات الناس .

فقال : يا أمير المؤمنين ! هلك الناس ، وضاعت أمورُهم ، فلو اتقيتَ ٱلله فيهم ، وقسمت بينهم فيهم فيئهم .

فقال : ويلَكَ يا بن أبي ذئب ! لولا ما بعثنا بذٰلك الفيء من البعوث ، وسدَدْنا به من الثغور ، لأُتيت في منزلك ، وأُخذت بعنقك ، وذُبحت ذبحَ الجمل .

فقال ابن أبي ذئب : يا أمير المؤمنين ! قد بعثَ البعوثَ ، وسدَّ الثغورَ ، وقسمَ فيهم فيئَهم غيرُك .

قال : ويلَكَ ! ومن ذاك ؟

قال : عُمَرُ بن الخطاب .

قال : فأطرقَ أبو جعفرٍ إطراقةً ، ثم رفعَ رأسه ، فقال : إن عمرَ بن الخطاب ـ رضي ٱلله عنه ـ عمل بزمان ، وعملنا لغيره .

فقال : يا أمير المؤمنين ! إن الحق لا ينقله الزمان عن مواضعه ، ولا يغيره عن وجهه .

قال : أحسبُك يا بن أبي ذئب إماماً علىٰ السلطان .

قال : لا تقل ذٰلك يا أمير المؤمنين ، فوالذي يمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض إلا بإذنه ! لَصَلاحُك أحبُّ إليَّ من صلاحِ نفسي ، وذٰلك أن صلاحي لنفسي لا يعدوها ، وصلاحك لجميع المسلمين .

قال : فأطرق أبو جعفرٍ ، وابن المسيَّبِ ، والحرسُ قيامٌ علىٰ رأسه بأيديهم السيوفُ المسللة ، ثم رفع رأسه وقال : من أراد أن ينظر إلىٰ خير أهل الأرض اليومَ ، فلينظر إلىٰ هـٰذا الشيخ ، ولوىٰ إلىٰ ابن أبي ذئب ، قال : فقلتُ في نفسي ، أشهد أن ٱلله وليُّ الذين آمنوا ، وهو منجي المتقين .

وبه إلىٰ ابن زبرٍ ، أنا أبي : أخبرني عبد ٱلله بن مسلمٍ ، عن أحمدَ بن يحيىٰ ، عن محمدِ بن إدريسَ الشافعيِّ ، قال : قدم أبو جعفرٍ المنصورُ المدينةَ حاجّاً ، فأتته الوفودُ من كل بلدٍ يشكون إليه الأمراء .

فأتاه أهل اليمن يشكون معنَ بن زائدةَ ، وأتاه بنو أبي عمرٍو الغفاري من أهل المدينة يشكون أميرهم الحسنَ بن زيدٍ .

فقال وفدُ اليمن لأبي جعفرٍ المنصورِ ـ وقد أحضرَ ابن أبي ذئب والعلماءَ ـ : يا أمير المؤمنين ! إن معنَ بن زائدةَ قد تعدَّىٰ علينا ، [. . . . .] وقد رضينا بابن أبي ذئبٍ .

فقال له أبو جعفرٍ المنصورُ : ما تقول في معنِ بن زائدة ؟

قال : قولي فيه وعلمي : أنه عدوُّ ٱلله ـ عز وجل ـ ، يقتلُ المسلمين بغير حق ، والمعاهَدين ، وحكمَ بغير ما أُنزِل ، ويُفسد العبادَ والبلاد .

قال : ثم تقدم الغِفاريون يشكون الحسنَ بن زيدٍ ، وسيرتَه فيهم ، فقالوا : قد رضينا بابن أبي ذئب ، فأطبقَ عليه ابن أبي ذئب بسوء .

فقال الحسنُ بن زيدٍ : يا أمير المؤمنين ! قد ذكرني بما قد ذكر ، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يسأله عن حال أمير المؤمنين عنده .

فقال أبو جعفر : ما تقول فيَّ يا بن أبي ذئب ؟

قال : أَعْفِني .

قال : عزمتُ عليك .

قال : أَعفني .

قال : لستُ أفعل .

قال : فبكىٰ ابن أبي ذئب ، ثم قال : تسألُني عن نفسِك ؟ أنتَ أعلمُ بنفسك مني ، وما عسىٰ أن أقول فيك ، مما فيك ، وأنت وٱلله الرجلُ

الذي اتزرت المسلمين أمرهم ، ظلمتَهم ، واعتديتَ عليهم ، وسفكتَ الدماءَ الحرام ، وأخذتَ الأموالَ من غير حِلِّها ، ووضعتَها في غير حَقِّها ، وأهلكت المسلمينَ ، والفقراء واليتامىٰ والمساكين .

قال محمدُ بن إبراهيم : وبين يَدَي أبي جعفر عمودٌ ، فجمع الناسُ عليهم ثيابهم مخافةَ أن تتلطخ عليهم من دمه ودماغه ، فلم يهجه بشيء ، وانصرف الناس .

فقال عمُّ أبي جعفر : يا أمير المؤمنين ! إن هـٰذا مجلسٌ قد حضره أهلُ الآفاق ، وينصرفون إلىٰ البلاد ، فيخبرون بما كان إلىٰ أمير المؤمنين من الجرأة ، فلو قتلت هـٰذا الكلب لئلا يجترئَ عليك غيره من الناس .

فقال أبو جعفر : ويحكَ ! هـٰذا رجل قد بلغتْ منه صعوبةُ العبادة ، وقد سمع الحديثَ : « إِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ قَالَهَا عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ ، فَقُتِلَ عَلَيْهَا »[1] ، فَطَمِعَ أني أقتلُه ، فيصير إلىٰ الجنة ، وأُريحه مما هو فيه من صعوبة العبادة ، ولا وٱلله ! ما أهيجه حتىٰ يموتَ أو أموتَ .

أخبرنا جدِّي : أنا ابن الصلاحِ : أنا ابن أبي عمرَ : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا ابن الجوزيِّ : ثنا ابن ناصر ح .

وأنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أنا ابن ناصرٍ : أنا المباركُ بن عبد الجبارِ : أنا أبو القاسمِ الأزجيُّ : أنا أبو الحسينِ بن جهضمٍ : حدثني أبو الحسنِ

(١) رواه أبو داود (٤٣٤٤) ، عن أبي سعيد رضي ٱلله عنه .

السيروانيُّ ، قال : قال أبو القاسمِ سمنونُ : دخلت عبادانَ ، فسألتُ عن شيخٍ أسالم قلبه ، وآنس به ، فقيل لي : ما بقي عندنا أحدٌ ، إلا وقد رأيتَه ، وما بقي لنا غيرُ شيخٍ في البحر ، قد نقرَ لنفسه ساجةً ، وهو يتعبد فيها منذ ثلاثين سنة ، وربما ألقتْه الريح هٰهنا في كل سنة مرةً أو مرتين ، فكأَن نفسي تشوقت إليه ، فلما كان في بعض الأيام ، قيل لي : إن الرجل قد وصل .

قال سمنون : فخرجتُ أنظر إليه ، فإذا رجلٌ شيخٌ جالسٌ في ساجةٍ منقورة ، حسنُ السمت ، فسلمتُ عليه ، فردَّ عليَّ السلامَ ، فقلت له : إني سائلكَ عن مسألة .

فقال : دَعْني من هٰذا ، فإني أريد أن أسألك عن مسألة .

قال سمنون : فقلت له : سَلْ ، فقال : إنَّ ذَكَري يجري كمَنْخِرَيِ الثورِ ، فما أعمل ؟ فقلت له : ما عليكَ أكثرُ من أن تنترَ ثلاثاً ، وما عدا ذٰلك فليس عليك .

قال سمنون : فقلت له : حدثني بأشدِّ ما رأيتَ في هٰذا البحر من الوحشة .

فقال : ما يمكن ، ولٰكن هَبَّتْ في بعض الليالي ريحٌ عظيمة ، وأظلمَ البحرُ وجنَّ ، حتىٰ ما رأيتُ مثلَه قَطُّ إن شاء ٱلله ، فداخَلَني من ذٰلك وحشةٌ عظيمة ، فطلبت شيئاً يزيل عني تلك الوحشةَ ، فإذا أنا بتنينٍ عظيمٍ فاتحٍ فاه ، وألقتني الساجةُ نحوه ، فدخلتُ في فيه ، وجلستُ علىٰ نابٍ من أنيابه ، وصليت ركعتين ، فزال عني ما كنت أجدُ من الوحشة .

وبـه إلـىٰ ابـن جهضـمٍ : أنـا أبـو بكـرِ بـن الجلنـدي : سمعـت أبا عبد ٱلله بن الجلاءِ يقول : كنا في غرفة سَرِيٍّ ببغدادَ ، فلما ذهب من الليل بعضُه ، قام فلبس قميصاً نظيفاً ، وسراويل ، ولبس نعلاً ورديا ً، وخرج ، فقلت له : يا عم ! إلىٰ أين تمر في هـٰذا الوقت ؟ فقال : أعود فتحاً ـ يعني : الموصليَّ ـ ، فلما مشىٰ في الطريق ، لقيه صاحبُ الليل ، فأخذه وحبسه ، فلما كان من الغد ، عُرِض مع من عُرِض من المحبسين ، وأمر الجلاد بضربهم ، فقدِّموا واحداً بعد آخر ، فقدَّموا سَرِيّاً ، وأمر الجلاد بضربه ، فلما رفع الجلاد يده ليضربه ، وقفت يدُ الجلاد لم تتحرك ، فقال صاحب العمل للجلاد : اضربْ ويلَكَ ! .

قال : بحذائي شيخٌ واقفٌ يومئ إليَّ أن لا أضربَه ، فتقف يدي لا تتحركُ ، فقال صاحب الشرط : انظروا مَنْ هـٰذا الرجل . قال : فلما رآهم قد أقبلوا إليه ، ولَّىٰ ، ولقيه رجلٌ ، فسلم عليه ، فقال للرجل : من هـٰذا الذي سلمتَ عليه ؟ قال : وإيش سؤالك عن هـٰذا ؟ فقلت : أسألك من هو ؟ فقال : هو فتحٌ الموصليُّ ، فأخبر صاحب الشرطة ، فقال : أطلقوه ، هـٰذا من أصحاب فتح ، وسألوا عنه .

قال : فتبعناه حتىٰ سلَّم عليه رجل ، فسألنا عنه ، فقيل : هـٰذا سَرِيٌّ السَّقَطيُّ .

أخبرنا أبو العباسِ بن هلالٍ ، قال لي : عن ابن المحبِّ ،عن النابلسيِّ ، عن الواسطيِّ ، عن الشيخِ موفقِ الدين . وأنا جماعةٌ من شيوخنا ، عن ابن المحبِّ ، عن المزيِّ وابنته ، عن ابن أبي عمرَ ، وابن البخاريِّ ، عن الشيخِ موفقِ الدينِ : أنا السِّلَفيُّ : أنا الحسينُ بن

الطيوريِّ : أنا أبو القاسم عبد العزيزِ بن أحمدَ : ثنا الحسنُ بن عليٍّ بن جهضمٍ : ثنا عليُّ بن هارونَ : ثنا محمدُ بن مخلدٍ : حدثني الفتحُ بن شخرفٍ ، قال : تعلق رجلٌ بامرأةٍ ببابِ دمشقَ ، [. . . . .] بيده سكينٌ ، لا يدنو منه أحدٌ إلا عصره ، وكان الرجلُ شديدَ البدن ، وبينما الناس كذٰلك ، والمرأة تصيحُ في يده ، مرَّ بشْرُ بن الحارثِ ، فدنا منه ، وحكَّ كتفَه بكتفِ الرجلِ ، فوقع الرجلُ إلىٰ الأرض ، ومضىٰ بشرٌ ، فدنَوْا من الرجل وهو يرشَحُ عرقاً ، ومضتِ المرأةُ لحالها ، فسألوه : ما حالك ؟ فقال : ما أدري ، ولٰكن حاكني شيخ ، فقال : إن ٱلله ناظرٌ إليك وإلىٰ ما تعمل ، فضعف لقوله قدمي ، وهِبْتُه هيبةً شديدةً ، فلا أدري مَنْ ذٰلك الرجلُ .

فقالوا له : ذٰلك بِشْرُ بن الحارثِ ، فقال : واسوءتاه ! فكيف ينظرُ إليَّ بعدَ اليوم ؟ وَحُمَّ الرجلُ من يومه ، ومات يوم السابع .

وقد أخبرنا جدِّي وغيرُه : أنه كان بالصالحية رجلٌ من الأخيار يقال له : الرزين ، وكان يوصف بالشطارة ، وأنه مر مرة وعشر مماليكَ قد أمسكوا امرأةً وهي تصيح ، فقال لهم : أَطلقوها ، فزمجروا عليه ، ولم يمعنوا به ، فقال لهم : أطلقوها ، [. . . . .] فحمل عليه أحدُهم ، وليس معه سلاحٌ ولا غيره ، وفي رجله بروةُ قبقاب ، فأخذ بزرة منه ، وضربه ، فرماه ، فحمل عليه الثاني ، فضربهم بالحجارة حتىٰ بطحَ العشرةَ ، وحلت المرأة ، وأطلقها ، وهشمهم ، وأتلفهم ، فنزلوا إلىٰ أستاذهم ، وكان نائبَ دمشقَ ، فشكَوْا عليه إليه ، فأرسل إليه عشرين مملوكاً ، فخرج عليهم ، فقتلهم وهشمهم ، وذهبوا إلىٰ [. . . .]

حال ، فرجعوا إلىٰ أستاذهم يشكون عليه ، فلما أن دخلوا عليه ، وإذ به قد دخل ، فقالوا : هٰذا ، فنظر إليه ، وقال : هٰذا وحده ؟ قالوا : نعم ، قال : لم يكن معه أحد ؟ قالوا : لا ، قال : عليَّ بخِلْعَةٍ ، فألبسَه ، وقال : أنا محتاجٌ إلىٰ مثلِك في عسكري .

وأخبرنا عنه : أنه مرة قام صوت علىٰ حرامية بالليل ، فخرج إليهم ، فجعل يجري خلف الواحد منهم ، فيمسكه ويأتي به إلىٰ حلقة الباب ، فيدخل يده فيها ، ويكبس عليها بيده ، فيطبقها علىٰ يده ، ثم يذهب إلىٰ الآخر كذٰلك ، حتىٰ أمسكَ منهم عدةً ، وفعلَ بهم ذٰلك ، فأصبحوا في حِلَقِ الأبواب مقيدين .

وأخبرنا عنه : أنه كان قد جاء إلىٰ قُبَّةِ سَيَّارٍ عبدٌ ، وجعل يقطع الطريقَ علىٰ الناس ، فأُخبر به هٰذا الرجلُ ، فلبس فرجيته وقبقابه ، وصعد إليه يتمشىٰ في الجبل ، فلما رآه وقصده ، فجعل يمشي نحوه ، وهو يمشي نحوه غيرَ مكترث به ، فلما دنا منه ، نظر إليه ، وقال : بٱلله ما أنت سيدي الرزين ؟ فقال : بلىٰ وٱلله ! أنا سيدُك الرزين ، فلما قال له ذٰلك ، رمىٰ سيفه وجحفته ، وأكبَّ علىٰ رجله فقبلها ، وقال : أنا تائبٌ علىٰ يدك ، فقال له : اذهبْ في حال سبيلك ، وتركه ونزل ، فما رئي بعد ذٰلك .

وكان آخَرُ يقال له : الزين ، وكان قد تزوج جدتي قبل جدي ، فكانت تخبرنا عنه بالعجب ، وأنه كان لا يزال يقوم علىٰ الخمَّارين والسكرية ، وأنهم كانوا مجمعون ، ويأتونه ، وأنه كان يضع القصب ، وينزل في البئر ، ويصعد عليها علىٰ السطح ، ويفعل الأحوال العجيبة .

أخبرنا الحافظُ أبو العباسِ إذناً ، وأنا جماعةٌ عنه : أنا أبو المعالي الأرمويُّ : أخبرتنا عائشةُ بنتُ عليٍّ : أنا أحمدُ بن عليٍّ : أنا البوصيريُّ : أنا الأرتاحيُّ : أنا ابن الفراءِ : أنا ابن الضرابِ : أنا أبي : أنا أبو بكرٍ الدينوريُّ : سمعتُ ابن قتيبةَ يقولُ : سمعت دِعْبِلاً يقول : أُدخلتُ على المعتصم ، فقال لي : يا عدوَّ ٱلله ! أنت الذي تقول في بني العباس : إنهم في الكتب أنهم سبعة ؟ وأمرَ بضربِ عنقي ، وما كان في المجلس إلا من كان عدوّاً لي ، وأشدُّهم عليَّ ابن شكلةَ ، فقام قائماً ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أنا الذي قلتُ هـٰذا ، ونميته إلىٰ دعبل .

فقال له : وما أردتَ بهـٰذا ؟ قال : لما تعلم ما بيني وبينه من العداوة ؛ فأردت أن أشيط بدمه .

قال : فقال : أطلقوه . فلما كان بعد مدة قال لابن شكلة : سألتُك بٱلله أنتَ الذي قلته ؟ فقلت : لا وٱلله يا أمير المؤمنين ، وما نظرة أنظر أبغض إليَّ من دعبل .

فقال له : فما الذي أردتَ بهـٰذا ؟ قال : علمتُ أن ما له في المجلس عدو أعدىٰ مني ؛ فنظر إليَّ بعين العداوة ، ونظرتُ إليه بعين الرحمة .

فقال : جزاك ٱلله خيراً ، أو نحو ذٰلك .

وبه إلىٰ الدينوري : ثنا أبو حصينٍ ، قال : مر داودُ القصابُ بامرأة عند قبر وهي تبكي ، فَرَقَّ لها ، فقال لها : من هـٰذا الميتُ منك ؟ قالت : زوجي . قال : وما كان يعمل ؟ قالت : كان يحفر القبور . قال : أبعدَه ٱلله ، أما علمَ أن من حفرَ لأخيه المسلم حفرةً وقعَ فيها ؟

أخبرنا جدِّي : أنا الصلاحُ بن أبي عمرَ ، أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا ابن الجوزيِّ : أنا ابن ناصرٍ : أنا أبو عليٍّ الحسنُ بن أحمدَ : ثنا محمدُ بن أحمدَ بن أبي الفوارسِ : ثنا الحاكمُ أبو أحمدَ : ثنا محمدُ بن إسحاقَ : ثنا محمدُ بن وهبٍ : أخبرني أحمدُ بن سنانَ : أخبرني سيارٌ ، قال : قرأ رجل علىٰ شيبان الراعي : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ ـ ٨] .

قال : فذهبَ علىٰ وجهه ، فلم يُرَ سنةً ، قال : فلما كان بعدَ الحول ، لقيه رجلٌ فقال : من أين ؟ فقال : من ذٰلك الحساب الدقيق ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ ـ ٨] .

أخبرنا أبو العباسِ الحريريُّ : أنا المشايخُ الثلاثةُ : أنا المزيُّ ، وأنا ابن المحبِّ ، قالا : أنا ابن أبي عمرَ ، وابن البخاريِّ : أنا شيخُ الإسلامِ موفقُ الدينِ : أنا السِّلَفِيُّ : أنا ابن الطيوريِّ : أنا عبد العزيزِ بن عليٍّ : أنا ابن الحسنِ بن جهضمٍ : ثنا حبيبٌ : ثنا الفضلُ بن أحمدَ : ثنا محمدُ بن مرزوقٍ : حدثني أبي : حدثتني أمةُ الملكِ بنتُ هشامِ بن حسانَ ، قالت : خرجَ عطاءٌ الأزرق إلىٰ الجبان يصلي بالليل ، فعرض له لصٌّ ، فقال : اللَّهمَّ اكْفِنيه ، قال : فجفَّت يداه ورجلاه ، قال : فجعل يبكي ويقول : وٱللهِ ! لا أعود أبداً ، قال : فدعا ٱلله له ، فأطلق ، فاتبعه اللص ، فقال له : أسألك بٱلله من أنت ؟ قال : أنا عطاءٌ ، فلما أصبحَ ، سأل الناسَ : هل تعرفون رجلاً صالحاً يخرج بالليل إلىٰ الجبان يصلي ؟ قالوا : نعم ، عطاء السُّلَمي .

قال : فذهب إلىٰ عطاء السلمي إلىٰ الخربة ، فدخل عليه ، وقال : إني جئتك تائباً من قصتي كذا وكذا ، فادعُ ٱلله لي ، قال : فرفع عطاءٌ السلميُّ رأسَه إلىٰ السماء ، وجعل يبكي ويقول : ويحك ! ليس أنا ، ذاك عطاء الأزرق [. . .] عن نفسه .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا الصلاحُ بن أبي عمرَ : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا الإمامُ أبو الفَرَجِ العكبريُّ : أنا أبو بكرِ بن أبي طاهرٍ : ثنا محمدُ بن عليٍّ : ثنا محمدُ بن عبد ٱلله : أنا ابن بشرانَ : أنا أبو بكرٍ القرشيُّ : ثنا محمدُ بن إدريسَ : ثنا أحمدُ بن أبي الحواريِّ : ثنا زيدُ بن عبيدٍ ، عن خليدٍ ، عن الحسنِ ، قال : أحرقت خِصاصُ البصرة ، وبقي في وسطها خُصٌّ لم يحترق ، وأميرُ البصرة يومئذ أبو موسىٰ الأشعري ، فخبر بذٰلك ، فبعث إلىٰ صاحب الخص ، فأُتي به ، فإذا شيخٌ ، فقال : يا شيخ ! ما بالُ خُصِّك لم يحترقْ ؟ قال : إني أقسمتُ علىٰ ربي ألا يحرقه ، قال أبو موسىٰ : أما إني سمعتُ رسولَ ٱلله ﷺ يقول : « يَكُونُ في أُمَّتِي رِجَالٌ طُلْسٌ رُؤُوسُهُمْ ، دُنْسٌ ثِيَابُهُمْ ، لَوْ أَقْسَمُوا عَلَىٰ ٱلله لأَبَرَّهُمْ » .

أخبرنا أبو العباس الحريريُّ : أنا المشايخُ الثلاثةُ : أنا المِزِّيُّ : أنا ابن أبي عمرَ ، أنا الإمامُ أبو الفَرَجِ : أنا عبد الرحمـٰن : أنا أحمدُ بن عليٍّ : حدثني عبد الغفارِ بن عبد الواحدِ : حدثني أبو الحسنِ بن حميدٍ ، قال : سمعتُ أبا ذَرٍّ الهرويَّ يقول : كنت عند أبي الفتحِ القواس ، وقد أخرج جزءاً من كتبه ، فوجد فيه قرض الفأر ، فدعا ٱلله ـ عز وجل ـ علىٰ الفأرة التي قرضته ، فسقطت من سقف البيت

فأرة ، ولم تزل تضطرب حتىٰ ماتت [1] .

فاحذرْ بأن تؤذي الصالحين أن تصير إلىٰ حال الفأرة .

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفَرَجِ : أنا أبو منصورٍ : أنا أحمدُ بن عليٍّ : أنا أبو نعيمٍ : سمعتُ محمدَ بن الحسينِ يقول : سمعتُ الحسنَ بن الرازيِّ يقول : سمعتُ أبا عليٍّ الروذبارِيَّ يقول : كان سببُ دخولي مصرَ حكايةَ بنانَ ، وذٰلك أنه أمر ابن طولونَ بالمعروف ، فأمر أن يُلقىٰ بين يَدَيِ السَّبُعِ ، فجعل السبعُ يشمه ولا يضرُّه ، فلما أُخرج من بين يدي السبع ، قيل له : ما الذي كان في قلبك حيث شمك السبعُ ؟ قال : كنت أتفكر في سؤر السباع ولُعابها [2] .

وبه إلىٰ الإمام أبي الفَرَجِ : أنا عبد الرحمـٰن بن محمدٍ : أنا أحمدُ بن عليٍّ : أنا عبد العزيزِ بن عليٍّ : سمعتُ عليَّ بن جهضمٍ يقول : حدثني عمرُ النجارُ ، قال : دخل أبو الحسين النوريُّ إلىٰ الماء يغتسل ، فجاء لصٌّ فأخذ ثيابه ، فخرج أبو الحسين من الماء ، فلم يجد ثيابه ، فرجع إلىٰ الماء ، فلم يلبث إلا قليلاً حتىٰ جاء اللصُّ معه ثيابُه ، فوضعها مكانها ، وقد جفت يدُه اليمنىٰ ، فخرج أبو الحسين من الماء ، ولبس ثيابه ، وقال : يا سيدي ! قد ردَّ عليَّ ثيابي ، فردَّ عليه يدَه ، فرد ٱلله عليه يدَه ، ثم مضىٰ [3] .

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤ / ٣٢٥) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠ / ٣٢٤) .

(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠ / ٢٥١) .

وقد كان مرة جاء إلىٰ دمشق حرامي من مصر ، [. . . . . . .] وهو يسرقهم ، ولا يقدر عليه ، فنزل علىٰ الشيخ عبد الرحمٰن أبو شعر ، شيخِ الحنابلة في وقته في شهر رمضان في العشر الأخير ، فأخذ [. . .] وذهب ، فلم يمض عليه غيرُ ثلاث ليالٍ حتىٰ أمسك من غير [. . .] .

فنزل علىٰ امرأةٍ ليس لها رجل ، ولا عندها أحدٌ ، فقال لها : أين المال ؟ قالت : في هـٰذا المخدع ، فدخله ، فغلقت الباب عليه ، وسكَّرته ، وصاحت ، فجاء الناس فأمسكوه بغير كلفة ، فانظر كيف أُمسك بأيسر كُلفة ولا ضربة ، فكان الناس يعدُّون ذٰلك من بركة الشيخ وفضله ، ويقولون : لحوم العلماء مسمومة ، وإنه من تجرأ عليهم ، لم يمهله ٱلله ـ عز وجل ـ .

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفَرَجِ : أنا أبو منصورٍ القزازُ : أنا أحمدُ بن عليٍّ : أنا أحمدُ بن عبد ٱلله : أنا جعفرُ بن محمدٍ : ثنا أبو العباسِ بن مسروقٍ ، وأبو محمدٍ الحريريُّ ، وأبو أحمدَ المغازليُّ ، وغيرُهم ، عن إبراهيمَ الآجريِّ : أنه جاءه يهوديٌّ يتقاضاه شيئاً من ثمن قصب ، فكلمه ، فقال له : أرني شيئاً أعرف به شرفَ الإسلام وفضلَه علىٰ ديني حتىٰ أُسلم ، قال له : وتفعلُ ؟ قال : نعم ، فقال له : هات رداءك ، قال : فأخذه فجعله رداءً لنفسه ، ولفَّ رداءه عليه ، ورمىٰ به في النار ، نارِ تنورِ الآجرِّ ، ودخل في أثره ، فأخذ الرداء ، وخرج من النار ، ففتح رداءَ نفسه وهو صحيح ، وأخرجَ رداءَ اليهودي من داخله حراقاً أسود من وسط جوف رداء نفسه ، فأسلم اليهوديُّ في الحال [1] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠ / ٢٢٣) .

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفَرَجِ : أنا أبو بكرٍ العامريُّ : أنا عليُّ بن أبي صادقٍ : أنا أبو عبد ٱلله بن باكويه : حدثني عيسىٰ بن يوسفَ : ثنا أحمدُ بن محمدٍ الزنجانيُّ ، قال : سمعتُ أبا عليٍّ البصريَّ ، وأبا نصرٍ الروميَّ ، قالا : سمعنا أبا الحارثِ الأولاسيَّ يقول : أقبلتُ من جبل اللكامِ مع أبي إسحاقَ العلويِّ ، وكان أبو إسحاقَ لا يأكلُ إلا في كلِّ ثلاثةٍ سَفَّاتِ خرنوبٍ ، فلقينا امرأةً ، وقد سَخَّر جنديٌّ حماراً لها ، فاستغاثت بنا ، فكلَّمه العلويَّ ، فلم يردَّهُ عليها ، فدعا عليه ، فخرَّ الجنديُّ والمرأةُ والحمارُ ، ثم أفاقت المرأة ، ثم أفاق الحمار ، ومات الجندي .

فقلت : لا أصحبُك ؛ فإنك مستجابُ الدعوة ، وأخشىٰ أن يبدوَ مني سوءُ أدب ، فتدعوَ عليَّ فقال : لستَ تأمنُ ؟ قلت : لا ، قال : فأقللْ إذاً من الدنيا ما استطعتَ .

ولقد رأينا كثيراً من المؤذية لم يمهلهم ٱلله ـ عز وجل ـ حتىٰ يبلغوا مناهم ، وقد رأينا كل من بغىٰ وتعدىٰ علىٰ الناس لم يمهل إلا يسيراً حتىٰ أُخذ ، والمؤذي قصيرُ العمر ، وإنما يستطولُ الناسُ أعمارَهم ؛ لسآمة النفوس من أذاهم ، وتَلْقاهم يُصيبهم من الأذىٰ أكثرُ مما يؤذون الناس ، وما قطُّ بغىٰ قومٌ إلا قَرَضهم ٱلله قرضاً سريعاً .

وقد رأينا غيرَ طائفة يبغون ، فيمحقهم ٱلله كلَّهم سريعاً ، ويصيرون في حال الضرورة ، وكان رجل في زمننا ، يقال له : أبو كلب ، كان غالبُ الناس يخاف منه ، ويتقي شرَّه ، حتىٰ الحكامُ لم تكن تقدر عليه ، وتعجز عنه ، وقد لقيتُه قبل قتله بمدة ، فقلت له : كيف أنت ؟

فقال : بشرٍّ وٱلله يا شيخ ، ليس نومنا نوم ، ولا نهارنا نهار ، ونحن

في حال الضرورة ، لا نقدر ننام في بيوتنا ليلة واحدة ، ولا نأكل كل لقمة .

فقلت : لا إلـٰه إلا ٱلله ، انظروا إلىٰ هـٰؤلاء كيف هم مع ما هم فيه من البغي !

فما مضت مدة يسيرة حتىٰ سكر ، وجاء إلىٰ باب بعض الحكام سكران ، فأُمسك فقُتل .

*** وهم قوم لم تخف أنفسُهم إلا من ٱلله .**

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدين : أنا ابن ناصرٍ : أنا المباركُ بن عبد الجبارِ : أنا محمدُ بن عليٍّ : أنا محمدُ بن عبد ٱلله : ثنا الحسينُ بن صفوانَ : أنا أبو بكرٍ القرشيُّ : ثنا محمدُ بن يحيىٰ : أنا جعفرٍ الرازيُّ ، عن أبي حفصٍ السائحِ : أنا أبو وهبٍ وغيرُه : أنَّ عامرَ بن عبد قيسٍ هبط وادياً يقال له : وادي السباع ، فخُوِّفَ منه ، فقال : عَظُمَتْ هيبةُ ٱلله في صدري ، حتىٰ ما أهابُ شيئاً غيرَه ، واكتنفَتْه السباعُ ، فجاء سَبُعٌ منها ، فوثبَ عليه من خلفه ، فوضعَ يديه علىٰ مَنْكِبيه وهو يتلو هـٰذه الآية : ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود : ١٠٣] فلما رأىٰ السبعُ أنه لا يكترثُ ، ذهب ، فقيل له : ما هالَكَ ما رأيت ؟ قال : إني لأستحي من ٱلله ـ عز وجل ـ أن أهابَ شيئاً غيرَه [1] .

أخبرنا جدِّي وغيرُه : أنا ابن أبي عمرَ : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢ / ٨٩) .

ابن الجوزيِّ : أنا سعدُ ٱلله بن عليٍّ ، ومحمدُ بن عثمانَ الأياميُّ : أنا الطريثيثيُّ : أنا ابن الطيوريِّ : أنا عبد ٱلله بن مسلمٍ : أنا الحسنُ بن إسماعيلَ : أنا عمرُ بن سويدٍ : ثنا يوسفُ بن عطيةَ : ثنا المعلىٰ بن زيادٍ ، عن عامرِ بن عبد قيسٍ : أنه مرَّ بقافلةٍ قد حبسَهُم الأسدُ من بين أيديهم علىٰ طريقهم ، فلما جاء ، نزل عن دابته ، فقالوا له : إنا نخافُ عليك من الأسدِ ، فقال : إنما هو كلبٌ من كلاب ٱلله ـ عز وجل ـ ، إن شاء أن يسلِّطه ، سلَّطه ، وإن شاء أن يكفَّه ، كَفَّه ، فمشىٰ إليه حتىٰ أخذ بيديه أُذني الأسدِ ، فنحّاه عن الطريق ، وجازت القافلةُ ، فقيل له : أما خِفْتَه ؟ فقال : إني لأستحي من ٱلله ـ عز وجل ـ أن يَرىٰ من قلبي أني أخافُ من غيره .

ومَرَّ مرةً علىٰ أَجَمَة ، فقيل له : إنا نخافُ عليك منها الأسدَ ، فقال : إني لأستحي من ٱلله ـ عز وجل ـ أن أخاف غيره .

وبه إلىٰ ابن الجوزيِّ : أنا أحمدُ بن أبي منصورٍ : أنا المؤتمنُ بن أحمدَ : أنا أحمدُ بن محمدٍ : أنا أبو عبد الرحمـٰن السلميُّ : أنا أبو الحسنِ الجرجانيُّ : أنا أبو عوانةَ : ثنا ابن أبي الدنيا : ثنا هارونُ بن عبد ٱلله : ثنا إبراهيمُ بن مهديٍّ : ثنا عمرانُ بن مسلمٍ : ثنا أبو مسكينٍ ، قال : قال عامرُ بن عبد قيس : مَنْ خافَ ٱلله ، أخافَ ٱلله منه كلَّ شيء ، ومن لم يخفِ ٱلله ، أخافَه ٱلله من كلِّ شيء [1] .

أخبرنا أبو حفصٍ المقرئُ : أنا أبو الحسنِ الإمامُ : أنا المحبوبيُّ :

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣ / ١٩١) .

أخبرتنا ستُّ الأهلِ بنتُ علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي : أنا أبو طالبٍ اليوسفيُّ : أنا ابن المُذْهبِ : ثنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : أنا عبد ٱلله بن الإمامِ أحمدَ : حدثني أبي : ثنا أحمدُ بن الحجاجِ : أنا عبد ٱلله بن المباركِ : أنا المستلمُ بن سعيدٍ : ثنا حمادُ بن جعفرٍ : أن أباه أخبره ، قال : خرجنا في غَزاة إلىٰ كابل ، وفي الجيش صلَةُ بن أَشْيَمَ ، فبركَ الناسُ عند العتمة ، فقلت : لأرمقنَّ عملَه ، فأنظرَ ما يذكرُ الناسُ من عبادته ، فصلَّىٰ العتمةَ ، ثم اضطجعَ ، فالتمسَ غفلةَ الناس ، حتىٰ إذا قلت : هدأتِ العيونُ ، وثبَ ، فدخل غيضة قريباً منه ، فدخلت في أثره ، فتوضأ ، ثم قام يصلي .

قال : وجاء أسد حتىٰ دنا منه ، قال : فصعدتُ في شجرة ، قال : فتراه التفت إليه أو [. . .] حتىٰ سجد ، فقلت : الآن يفترسه ، فجلس ثم سلم ، فقال : أيها السبع ! اطلبِ الرزقَ من مكان آخر ، فولَّىٰ ، وإن له لزئيراً يصدع الجبال ، فما زال كذٰلك ، فلما كان عند الصبح ، جلس فحمِدَ ٱلله ـ عز وجل ـ بمحامدَ لم أسمعْ بمثلها إلا ما شاء ٱلله ، ثم قال : اللهم إني أسألك أن تُجيرني من النار ، أَوَ مثلي يجترئ أن يسألك الجنة ، ثم رجع فأصبح كأنه بات علىٰ الحشايا ، وأصبحتُ وبي من الفترة شيءٌ ٱلله تعالىٰ به عليمٌ [1] .

قال : فلما دنونا من أرض العدو ، قال الأمير : لا يشذَّنَّ أحدٌ من العسكر ، قال : فذهبتْ بغلتُه بثقلها ، فأخذ يصلِّي ، فقالوا : إن الناس

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢ / ٢٤٠) .

قد ذهبوا ، فمضىٰ ، ثم قال : دعوني أصلي ركعتين ، فقالوا : الناسُ قد ذهبوا ، فمضىٰ ، ثم قال : دعوني أصلي ركعتين ، فقالوا : الناس قد ذهبوا ، قال : إنهما خفيفتان ، قال : فدعا ، ثم قال : اللهمَّ إني أقسمُ عليك أن تردَّ عليَّ بغلتي وثقلَها ، قال : فجاءت حتىٰ قامتْ بين يديه ، قال : فلما لقينا العدوَّ ، حمل هو وهشامُ بن عامرٍ علىٰ العدو طعناً وضرباً وقتلاً ، فكسر ذٰلك العدوَّ ، فقالوا : رجلانِ من العربِ صنعا بنا هٰذا ، فكيف لو قاتلونا بأجمعهم ؟ فأعطوا المسلمين حاجتهم .

وبه إلىٰ عبد ٱلله : حدثني خوثرةُ بن أشرسَ : ثنا حمادُ بن سلمةَ ، عن حبيبِ بن الشهيدِ : أن مسلمَ بن يسارٍ كان قائماً يصلي ، فوقع حريق إلىٰ جنبه ، فما شعر به حتىٰ أُطفئت النار (١) .

أخبرنا جدِّي : أنا الصلاحُ : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا ابن الجوزيِّ : أنا محمدٌ : أنا حمدٌ : أنا أحمدُ بن عبد ٱلله : ثنا أحمدُ بن جعفرٍ : ثنا [أحمدُ بنُ] عليٍّ الأبارُ : ثنا أبو عمارٍ : ثنا الفضلُ بن موسىٰ ، عن الحسينِ ـ يعني : ابن واقد ـ ، عن مطرٍ ، عن قتادةَ ، قال : مَنْ يَتَّقِ ٱلله يكنْ معه ، ومن يكنِ ٱلله ـ عز وجل ـ معه ، فمعه الفئةُ التي لا تُغلَب ، والحارسُ الذي لا ينام ، والهادي الذي لا يضل (٢) .

وبه إلىٰ ابن الجوزيِّ : أنا أبو بكرِ بن أبي طاهرٍ : أنا محمدُ بن عبد ٱلله : أنا ابن صفوانَ : أنا أبو بكرٍ القرشيُّ : ثنا محمدُ بن إدريسَ :

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢ / ٢٩٠) .
(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢ / ٣٤٠) .

ثنا أحمدُ بن أبي الحواريِّ : ثنا وهبُ بن زيدِ بن عبيدٍ ، عن خليدٍ ، عن الحسنِ ، قال : احترقتْ أخصاصُ البصرة ، وبقي في وسطها خصٌّ لم يحترقْ ، وأمير البصرة يومئذ أبو موسىٰ الأشعري ، فخبر بذٰلك ، فبعث إلىٰ صاحب الخص ، فأُتي به ، فإذا شيخُ فقال : يا شيخ ! ما بالُ خُصِّك لم يحترقْ ؟ قال : إني أقسمتُ علىٰ ربي أن لا يحرقه ، فقال أبو موسىٰ : أما إني سمعتُ رسولَ ٱللهِ ﷺ يقول : « يَكُونُ فِي أُمَّتِي رِجَالٌ طُلْسٌ رُؤُوسُهُمْ ، دُنْسٌ ثِيَابُهُمْ ، لَوْ أَقْسَمُوا عَلَىٰ ٱللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لأَبَرَّهُمْ » .

وقد روينا في « الزهد » للإمامِ أحمدَ : أن ٱللهَ ـ عز وجل ـ قال لموسىٰ لما بعثه إلىٰ فرعون : واعلم أنه لم يتزين لي العبادُ بزينة هي أبلغُ من الزهد في الدنيا ؛ فإنها زينةُ المتقين ، عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، أولـٰئك أوليائي حقاً ، فإذا لقيتَهم ، فاخفضْ لهم جناحَك ، وذَلِّلْ لهم قلبَك ولسانَك ، واعلمْ أنه من أهان لي وَلياً ، أو أخافَه ، فقد بارزَني بالمحاربة ، وبادَأَني ، وعَرَّضَ بنفسه ، ودعاني إليها ، وأنا أسرعُ شيءٍ إلىٰ نُصرةِ أوليائي ، أفيظنُّ الذي يُحاربني أن يقومَ لي ؟ أو يظنُّ الذي يُعاديني أن يُعجزني ؟ أو يظنُّ الذي يُبارزني أن يَسبقني ، أو يَفوتني ؟ وكيف وأنا الثائرُ لهم في الدنيا والآخرة ؛ لا أَكِلُ نُصرتَهم إلىٰ غيري ؟ [1]

وكان فرعونُ قد تحصَّنَ من موسىٰ ، وجعل علىٰ أبوابه الحَجَبَة ، ومعهم الأُسْدُ لأجل موسىٰ ، فلما رأته الأسدُ صاحتْ صياحَ الثعالبِ ، وجعلتْ تلوذُ به ، وتحرسُه ، وتحوطه .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (ص : ٦٥) .

ومن أطاعَ ٱلله ، أطاعته الأسدُ ، وكذٰلك لما لقي مولىٰ النبيِّ ﷺ ، وأخبره أنه مولىٰ رسولِ ٱلله ﷺ ، ذلَّ له ، وخضعَ ، وحملَه حتىٰ بلَّغَه موضعَ قصده .

وكذٰلك شيبانُ الراعي ذلَّ له ، وقال : لولا مكانُ الشهرة ، ما وضعت زادي إلا علىٰ ظهره حتىٰ آتي بيتَ ٱلله [1] .

وكذٰلك إبراهيمُ بن أدهمَ لما نامَ ، جاء ثعلبُ ، ومعه عِرْقُ رَيْحَان ، وجعل يذبُّ عنه .

فٱلله ـ عز وجل ـ يحرسُهم بالمتالف .

* * *

*** ولما كتب إلينا جماعةُ الرواد إلىٰ أهل الصالحية التخويف ، طُلب مني أن أكتبَ إليهم جوابَه ، فكتبتُ ما هـٰذه صورته :**

بسم ٱلله الرحمـٰن الرحيم ، وهو حسبي .

لا إلـٰهَ إلا ٱلله ، محمدٌ رسول ٱلله .

من العبدِ الفقيرِ يوسفَ بن عبد الهادي إلىٰ كلِّ واقفٍ عليهِ .

أما بعدُ :

فإن الصالحيةَ محلُّ الصالحين ، ودارُ المتقين ، ولم يقصِدْها أحدٌ

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧ / ٦٩) .

قطُّ بسوء وأفلَح ، وتمرلنك ـ مع كفره وبغيه ـ أحرقَ جميعَ البلاد ، ولم يتعرَّضْ إليها .

والمطلوبُ من أهلها الدعاءُ لكم ، أو عليكم ، فإنكم في أول الأمر حين أسلمتم [. . . .] دَعَوا لكم .

وإن كان قد نزل فيها عسرةٌ أو نحوها ، لا يقدر أحدٌ من أهل الصالحية على ردهم ، ولا [. . .] .

من الصالحية إن عمرت أو خربت ، فلا برزوا لديه [. . .] ، الصالحُ بالطالح ، والأرضُ لله يُورِثها مَنْ يشاء من عباده ، والعاقبةُ للمتقين .

وقد قال ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

ومن أراد النصرَ والظفرَ في الدنيا والآخرة ، فما [. . .] ومراعاة مرضاته ، والحذر كل الحذر مما يوجب غضبَ ٱلله ومقتَه ؛ من ظلم أحد ، أو حرقِ قلبِ أحد ، أو كسرِ قلبِ أحد ؛ فقد قال النبيُّ ﷺ لمعاذٍ لما بعثَه إلىٰ اليمن : « اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلله حِجَابٌ » (١) .

فإياكم إياكم من ظلم أحد ، أو كسر قلب فقير ، أو حرق

---

(١) رواه البخاري (١٤٢٥) ، ومسلم (١٩) .

مكان ، أو البغي علىٰ أحد لم يقع في حقكم بشيء ؛ فإنه ليس ثَمَّ شيءٌ أسرعَ عقاباً من البغي والجور .

فالحذار الحذار من أذىٰ المسلمين ، أو البغي عليهم .

وقد أنشدنا بعضُ شيوخنا :

إِذَا رَأَيْتَ ذَوِي بَغْيٍ فَقُلْ لَهُمُ
سَتَنْدَمُونَ وَحَاذِرْ أَنْ تُسَاكِنَهُمْ
فَمِثْلُهُمْ فِي الوَرَىٰ كَانُوا جَبَابِرَةً
فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلا مَسَاكِنَهُمْ

فمن أراد الملكَ والنصرَ والظفرَ ، فعليه بتقوىٰ ٱلله ـ عز وجل ـ ؛ فقد قال ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق : ٢ ـ ٣] .

قال ابن عباس : ﴿مَخْرَجًا﴾ : من كل شدة وقع فيها .

وقال ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق : ٤] .

وقال عمر ـ رضي ٱلله عنه ـ : لا تطلبِ العزةَ إلا بٱلله .

ومن اتقىٰ ٱلله ، وراقبه ، لم يعذبِ الناسَ بعذابٍ عامٍّ من حريقٍ وغيره .

فكم يذهبُ في ذٰلك من مظلوم ، وكم يوجِب من دعوة لا تُرَدُّ ، وإذا أتاكم واحدٌ أو عشرةٌ من محلة ، فآذيتم جميعَ أهل المحلة ، أو حرقتموها ، كم يصيب ذٰلك من مظلوم ؛ من صغير وكبير ، وذكر وأنثىٰ

ممن يغضب ٱلله لغضبه ، ولا تُرَدُّ دعوتُه ، فيكون ذٰلك سببَ المقت والطرد والكسر والحرمان .

وروي أن بعض الملوك أخربَ كوخاً لفقيرة ، فلما شاهدَتْ ذٰلك ، رفعت طَرْفَها إلىٰ السماء ، وقالت : يا ربِّ ! أنا لم أكنْ ، فأنتَ أين كنتَ ؟ فأمرَ ٱلله ـ عز وجل ـ جبريلَ أن يخسفَ به وبملكه .

ومن لم يراقب ٱلله ، لم يراقبه ٱلله ، وقد نهىٰ النبيُّ ﷺ عن حرق الكفار ، فكيف بحريق المسلمين ؟ !

ومن لم يستحْيِ من ٱلله أن يُغضبه ، لم يستحيِ ٱلله منه أن يعذِّبَه .

وفي « الصحيحين » وغيرهما : عن النبي ﷺ ، قال : « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » (١) .

وقال النبيُّ ﷺ : « المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » (٢) .

وقال : « لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَىٰ ٱلله مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ » (٣) .

وقال : « شَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ ٱلله مَنْ انحطَّ في هَوَىٰ أَخِيهِ وَهُوَ ظَالِمٌ ، فَأَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ » (٤) .

---

(١) رواه البخاري (١٣) ، ومسلم (٤٥) عن أنس رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه البخاري (١٠) عن ابن عمر رضي ٱلله عنهما ، ومسلم (٤١) عن جابر رضي ٱلله عنهما .

(٣) رواه النسائي (٣٤٤٩) ، والترمذي (١٣٩٥) عن ابن عمر رضي ٱلله عنهما .

(٤) رواه الدارمي في « السنن » (٦٤٧) .

وقال : « لا يَرْحَمُ ٱللهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ »[١] .

وقال : « ارْحَمُوا تُرْحَمُوا ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ »[٢] .

وقال : « لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلا مِنْ كُلِّ شَقِيٍّ »[٣] .

وقال النبيُّ ﷺ : « لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً »[٤] .

وكل [. . .] من أشراط الساعة وعلاماتها ، وقد أخبر النبيُّ ﷺ بذٰلك ، فقال ﷺ : « أَمَامَكُمْ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً ، ويُمْسِي كَافِراً ، وَيُمْسِي مُؤْمِناً ، وَيُصْبِحُ كَافِراً ، يَبِيعُ دِينَه بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ »[٥] .

قال أنسُ ـ رضي ٱلله عنه ـ : وٱلله ! رأيناهم أجساداً لا عقولَ لهم ، يبيع أحدُهم دينَه بدرهمٍ .

قلت : قد وٱلله ! رأينا في زماننا هـٰذا مَنْ يبيع دينَه بغيرِ شيء .

وقال ﷺ : « تكُونُ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي ، والمَاشِي فِيَها خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً ، فَلْيَعُذْ بِهِ » .

---

(١) رواه البخاري (٦٩٤١) ، ومسلم (٢٣١٩) عن جرير بن عبد ٱلله رضي ٱلله عنه .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) رواه أبو داود (٤٩٤٢) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

(٤) رواه أبو داود (٥٠٠٤) عن عبد الرحمـٰن بن أبي ليلىٰ عن أصحاب النبي ﷺ .

(٥) رواه الترمذي (٢١٩٥) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

فقال حذيفةُ ـ رضي ٱلله عنه ـ : أرأيتَ إن أدركَني ذٰلك كيف أصنع ؟

قال : « ادْخُلْ بَيْتَكَ ، وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ » .

قال : أفرأيتَ لو دخلَ عليَّ بيتي ؟

قال : « ادْخُلْ مَخْدَعَكَ » .

قال : أرأيتَ إن دخلَ عليَّ مخدعي ؟

قال : « غَطِّ عَيْنَيْكَ ، وَكُنْ كَابن آدَمَ المَقْتُولِ [. . .] وَلا تَقْتُلْ مُسْلِماً » .

وفي رواية : أرأيتَ إن دخلَ عليَّ أحدٌ يقتلني ؟ قال : « قُلْ لَهُ : بُؤْ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ، فَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ، وَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ الجَنَّةِ » .

فوٱلله ! لزوالُ الدنيا كلِّها [. . . .] وجملة الفقراء ، بل ويموت خير له من أن يُذهب آخرتَه ، أو يقتل مسلماً .

فٱلله ٱلله يا عبادَ ٱلله ! فقد أظلَّتكُم الساعةُ وقيامُها ، وخروجُ الدجال ؛ فإن هٰذا الذي أنتم فيه من جملة علاماته وظهوره ؛ فإني أظن [أنه] خارجٌ فيكم لا محالةَ ، وهٰذه أيامُه وعلاماته .

وقد قال النبيُّ ﷺ : « إِذَا وَقَعَ السَّيْفُ في أُمَّتِي ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَجٌ إِلا الدَّجَّالُ » .

وقد رُوي عن أُهبان بن صَيفيٍّ ، وكان من فرسان الإسلام : أنه جاء إليه عليُّ بن أبي طالبٍ يريد منه أن يركبَ معه يقاتلُ معه ، فقال له : إن خليلي وابن عمِّك عَهِدَ إليَّ إذا اختلفَ الناسُ : أن اتخذَ سيفاً من خشب ،

فقد اتخذتُه ، فإن شئتَ ، خرجتُ معكَ به ، قال : فتركه [1] .

وقال النبيُّ ﷺ : « أَمَامَكُمْ فِتَنٌ ، فَاكْسِرُوا فِيهَا قِسِيَّكُمْ ، وَقَطِّعُوا فِيهَا أَوْتَارَكُمْ ، وَالْزَمُوا فِيهَا أَجْوَافَ بُيُوتِكُمْ ، وَكُونُوا كَابنِ آدَمَ المَقْتُولِ » [2] .

ويقول كما قال النبيُّ ﷺ : حين قال له الناس : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

وصلىٰ ٱلله علىٰ سيدنا محمد ، وآله وصحبه وسلم .

* * *

*** وكان بعضُ السلف يخاف من أن يعير أحداً ، أو يوبخه في المعاصي .**

كما أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن البالسيِّ : أنا المِزِّيُّ : أنا ابن أبي عمرَ : أنا الإمامُ أبو الفَرَجِ : أنا محمدُ بن أبي منصورٍ : أنا أحمدُ بن عليٍّ : أنا أبو عبد الرحمـٰن السلميُّ ، سمعتُ محمدَ بن أحمدَ الفراءَ يقول : سمعتُ عبد ٱلله بن الحجامِ يقول : [قال حمدونٌ :] إذا رأيتَ سَكْراناً ، فتمايَلْ ؛ لئلا تنعىٰ عليه ، فَتُبْتَلىٰ بمثلِ ذٰلك .

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٠٣) .

(٢) رواه أبو داود (٤٢٥٩) والترمذي (٢٢٠٤) عن أبي موسىٰ الأشعري رضي ٱلله عنه .

وكان يقول : لا تَفُتِّشْ علىٰ أحدٍ ما تحبُّ أن يكون مستوراً عليك .

وربما كان مَنْ آذيتَه من أولياء ٱلله يعرفُ الاسمَ الأعظمَ ، فيدعو عليك ، فتقعُ عليك تعاسةُ الدنيا والآخرة .

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفَرَجِ : أنا أبو بكرِ بن حبيبٍ : أنا أبو سعيدِ بن أبي صادقٍ : أنا ابن باكويهِ : أنا نصرٌ الطوسيُّ : ثنا عليُّ بن محمدٍ : ثنا أبو سعيدٍ أحمدُ بن سعيدٍ : حدثني سعيدُ بن جعفرٍ ، وهارونُ الأرمنيُّ ، وعثمانُ التمارُ ، قالوا : ثنا عثمانُ بن عمارةَ : حدثني إبراهيمُ بن أدهمَ ، قال : لقيتُ أسلمَ بن زيدٍ الجهنيَّ ، فقلت له : إني صحبتُ رجلاً من الكوفة إلىٰ مكة ، فرأيته إذا مشىٰ ، يصلي ركعتين ، ثم يتكلم بكلام خفي بينه وبين نفسه ، فإذا جفنةٌ من ثريد عن يمينه ، وكوزٌ من ماء ، وكان يأكل ويطعمني ، فبكىٰ ، وقال : يا بني ! ذاك أخي داودُ مسكنُه من وراء بَلْخٍ بقرية يقال لها : المازرة الطيبة ، وإنها تفاخر البقاعَ بكينونة داودَ فيها ، يا غلام ! ما قال لك ، وما علَّمك ؟ قلت : علَّمني اسم ٱلله الأعظم . قال : ما هو ؟ قلت : إنه يتعاظم عَلَيَّ أن أنطقَ به ؛ فإنني سألتُ به مرةً ، فإذا برجل آخذ بِحُجْزَتي ، فقال : سَلْ تُعْطَهْ ، فراعني ذٰلك ، وفزعتُ فزعاً شديداً ، فقال : لا روعَ عليك ، أنا أخوك الخضر ، إن أخي داودَ علَّمَكَ اسمَ ٱلله الأعظمَ ، فإياك أن تدعوَ به علىٰ رجل بينك وبينه نزع ، فتهلكه هلاكَ الدنيا والآخرة ، ولـٰكن ادعُ ٱلله أن يُثبِّتَ به قلبَك ، ويشجعَ به جَنبك ، ويقويَ به ضعفَك ، ويؤنس به وحشتَك ، ويؤمن به روعتك [1] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠ / ٤٤ ـ ٤٥) .

وبه إلىٰ ابن الجوزيِّ : أنا المحمدانِ : أنا حمدٌ : أنا أحمدُ بن عبد ٱلله : ثنا عبد ٱلله بن محمدٍ : ثنا عمرُ بن الحسنِ : ثنا محمدُ بن أبي عمرانَ : سمعت حاتمَ الأصمَّ يقول : كنا مع شقيقٍ البَلْخي ونحن مُصَافُّو التركِ في يومٍ لا أرىٰ فيه إلا رؤوساً تُنْدَرُ ، وسيوفاً تُقطع ، فقال لي شقيقٌ ونحن بين الصفين : كيف ترىٰ نفسَكَ في هـٰذا اليوم ؟ تراها مثلَها في الليلة التي زُفَّت إليك امرأتُك ؟ فقلت : لا وٱلله ! قال : لـٰكني وٱلله أرىٰ نفسي في هـٰذا اليوم مثلَها في الليلة التي زُفَّت فيها امرأتي .

قال : ثم نام بين الصفين ودَرقَتُه تحت رأسه ، حتىٰ سمعتُ غطيطَه [١] .

وبه إلىٰ أحمدَ بن عبد ٱلله : ثنا أحمدُ بن إسحاقَ : أنا أبو بكرٍ أحمدُ بن أبي عاصمٍ يقول : سمعتُ أبا ترابٍ يقول : سمعت حاتماً الأصمَّ يقول : قال لي شقيقٌ : اصحبِ الناسَ كما تصحبُ النارَ ؛ خذْ منفعتَها ، واحذرْ أن تُحرقك [٢] .

وبه إلىٰ أحمدَ بن عبد ٱلله : ثنا عبد الرحمـٰن بن محمدٍ : ثنا أحمدُ بن عيسىٰ : ثنا سعيدُ بن العباسِ : ثنا أبي : ثنا حاتمٌ الأصمُّ ، قال : سمعت شقيقاً يقول : مَثَلُ المؤمنِ كمثلِ رجلٍ غرسَ نخلةً ، وهو يخافُ أن يحملَ شوكاً ، ومثلُ المنافقِ كمثلِ رجلٍ زرعَ شوكاً ، وهو يطمعُ

---

(١) رواه ابن الجوزي في « المنتظم » (٨ / ١٧٠) ، ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨ / ٦٤) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨ / ٧٧) .

أن يجنيَ ثمراً ، هيهاتَ هيهاتَ ! كلُّ مَنْ عمل حسناً ، فإن ٱلله لا يجزيه إلا حسناً ، ولا تنزل الأبرارُ منازلَ الفجار [1] .

وبه إلىٰ ابن الجوزيِّ : أنا عمرُ بن طغر : أنا جعفرُ بن أحمدَ : ثنا عبد العزيزِ بن عليٍّ : ثنا عليُّ بن عبد ٱلله ، عن عليِّ بن الموفقِ ، قال : سمعتُ حاتماً يقول : لقينا التركَ ، وكان بيننا جولةٌ ، فرماني تركي بوهق ، فقلبني عن فرسي ، ونزل عن دابته ، فقعد علىٰ صدري ، وأخذ بلحيتي ، وأخرج من خفه سكيناً ليذبحني ، فَوَحَقِّ سيدي ! ما كان قلبي عنده ، ولا عند سكينه ، إنما كان عند سيدي ، أنظرُ ماذا ينزل به القضاء منه [2] .

فقلت : سيدي ! قضيتَ عليَّ أن يذبحني هـٰذا ، فعلىٰ الرأس والعين ، وها أنا لك ومليكك ، فبينا أنا أخاطب سيدي ، وهو قاعد علىٰ صدري ليذبحني ، إذا سهم قد نحره ، فسقط ، فأخذت السكين من يده ، وذبحته ، فما هو إلا أن تكون قلوبُكم عند السيد حتىٰ تروا منه ما لم تروا من الآباء والأمهات .

*** فكَمْ في غوغاءِ عبادِ ٱلله ـ عز وجل ـ ، من أسودَ وأحمرَ ، لو توجَّه إلىٰ ٱلله في أمر ، أجابهُ إليه .**

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أنا ابن ناصرٍ : أنا الحسنُ بن أحمدَ : أنا

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨ / ٧١) .

(٢) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨ / ٢٤٤) .

هلالُ بن محمدٍ : أنا عليُّ بن محمدٍ : ثنا محمدُ بن عيسىٰ : حدثني محمدُ بن عبد الرحمـٰن ، عمَّنْ حدثه : أنهم كانوا بالبصرة ، في سنة قحط وغلاء ، واحتبس القطر ، فخرجوا يستسقون ، وخرجت اليهود والنصارىٰ ، فاعتزلت اليهود ومعهم التوراة ، والنصارىٰ ومعهم الإنجيل ، والمسلمون ومعهم القرآن ، كلهم يدعون ، وانصرفوا ولم يُسْقَوْا .

فبينا أنا أمشي في طريق المزن ، نظرت إذا بين يديَّ فتىٰ عليه أطمارٌ رثةٌ ، ثقيلة البؤس ، فهو يمشي وأنا خلفه حتىٰ خرج إلىٰ الجَبَّان ، فدخل بعضَ تلك المساجد التي بالقرب من المقابر ، ودخلتُ خلفه ، تحولُ بيني وبينه أركانُ المسجد ، فصلىٰ ركعتين ، ثم رفع يديه يدعو ، وقال في دعائه : يا ربِّ ! استغاث بك عبادُك ، فلم تَسقهم ، يا ربِّ ! الآنَ شَمِتَ بنا اليهودُ والنصارىٰ ، أقسمتُ عليه يا ربِّ إلا سقيتنا الساعةَ ، ولم تَرُدَّني .

قال : فما برح يدعو حتىٰ جاءت السحابة ، ومُطرنا ، فخرجَ ، وخرجتُ في أثره لأعرف موضعه .

فلما عرفتُه ، انصرفتُ ، وهيأتُ دراهمَ في صُرَّة ، ثم جئت فاستأذنت عليه ، فدخلت ، وإذا ليس في البيت إلا قطعةُ حصيرٍ ومطهرةٌ فيها ماء ، وإذا هو قاعد يعمل الخوصَ ، فسلَّمت ، فرحَّب بي وبَشَّ ، فتحدثتُ معه ساعةً ، ثم أخرجتُ الصرةَ ، فقلت : رحمك ٱلله ! انتفعْ بهـٰذه ، فتبسم وقال : جزاك ٱلله خيراً ، أنا غنيٌّ عنها . فألححتُ عليه ، فجعل يدعو ويأبىٰ أن يأخذها . فلما أكثرت عليه ، تنكر لي وقال : حسبُك الآنَ ، ليس بي إليها حاجة .

قال : فأقبلت عليه فقلتُ : رحمك ٱلله ! إن لي عليك حقاً ، قال : وما هو رحمك ٱلله ؟ قلت : كنت أسمعُ دعاءك حين خرجت إلىٰ الجبان .

قال : فاصفرَّ وجهُه حتىٰ أنكرتُه ، وساءه ما قلتُ له . ثم خرجت من عنده .

فلما كان بعد ذٰلك بأيام ، أتيتُه ، فلما دخلتُ الدار ، إذا هم يصيحون بقيِّمِ الدار : هو ذا ، هو ذا قد جاء . فجاء إلي ، فتعلق بي ، وقال : يا عدوَّ نفسه ! ما صنعتَ بذاك الفتىٰ الذي جئته يوم كذا وكذا ؟ أي شيء سمعته ؟

فقلت : لا تعجَلْ حتىٰ أُخبرك بالحديث ، فقال : إنك لما خرجتَ من عنده ، قام في الحال ، فأخذ حصيرَه ومطهرتَه ، وودَّعَنا ، وخرج ولم يعدْ إلينا إلىٰ الساعة .

فكم في الخلائق من واحدٍ هٰكذا !

*** وربما قضىٰ ٱلله حاجةَ أحدِهم قبل أن يسأله إياها .**

كما أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ وغيرُه : أنا والدي ، والمزيُّ ، وغيرُهما : أنا ابن أبي عمرَ ، وابن البخاريِّ ، وغيرُهما : أنا ابن الجوزيِّ : أنا عبد ٱلله بن عليٍّ ، ومحمدُ بن أبي منصورٍ : أنا طرادُ بن محمدٍ : أنا أبو الحسينِ بن بشرانَ : أنا ابن صفوانَ : أنا أبو بكرِ بن عبيدٍ : حدثني محمدُ بن الحسينِ : ثنا داودُ بن المحبرِ ، عن صالحِ المريِّ ، قال : كان عطاءٌ السلميُّ لا يكاد يدعو ، إنما يدعو بعضُ أصحابه ، ويؤمِّن هو .

قال : فحُبس بعضُ أصحابه ، فقيل له : ألك حاجةٌ ؟ قال : دعوةٌ من عطاءٍ أن يفرِّجَ ٱلله عني .

قال صالح : فأتيته فقلتُ : يا أبا محمد ! أما تحب أن يفرجَ ٱلله عنك ؟ قال : بلىٰ وٱلله ! إني لأحبُّ ذٰلك ، قلت : فإن جليسك فلاناً قد حُبس ، فادعُ ٱلله أن يفرج عنه . فرفع يديه وبكىٰ وقال : إلـٰهي ! قد تعلم حاجتنا قبل أن نسألكها ، فاقضها لنا .

قال صالح : فوٱلله ! ما برحنا من البيت حتىٰ دخل الرجل علينا .

فانظر بعينك ؛ فإن ٱلله ـ عز وجل ـ يعطيهم قبل أن يسألوه ، فإياك منهم أن يخطر ببالهم الدعاءُ عليك ، فتهلك .

فيا معشرَ مَنْ لا يعقل ! تبصَّروا ، وكُفُّوا عن أذىٰ الناس وترويعهم .

أخبرنا جدِّي : أنا الصلاحُ بن أبي عمرَ : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا ابن الجوزيِّ : قرأت علىٰ أبي الفضلِ بن أبي منصورٍ ، عن أبي القاسمِ بن الفسويِّ ، عن عبد ٱلله بن بَطَّةَ : أنا أبو بكرٍ الآجريُّ : أنا محمدُ بن البرديِّ : أنا أبو بكرٍ المروذِيُّ : سمعت أبا جعفرٍ البزازَ يقول : سمعت بِشْراً يقول : ثنا حمادُ بن زيدٍ ، عن ابن عونٍ : أنه كانت له حوانيتُ يُكريها . فكان لا يُكريها من المسلمين . فقيل له في ذٰلك ، فقال : إن لها إذا جاء رأس الحول روعةً ، وإني أكره أن أروع المسلم .

وبه إلىٰ ابن الجوزيِّ : أنا محمدُ بن ناصرٍ : أنا المباركُ بن عبد الجبارِ : أنا أبو بكرٍ محمدُ بن عليٍّ الخياطُ : أنا محمدُ بن أبي الفوارسِ : أنا أحمدُ بن جعفرٍ : أنا أحمدُ بن محمدٍ : أنا أبو بكرٍ

المروذِيُّ ، قال : سمعتُ أبا عبد ٱلله أحمدَ بن حنبلٍ ، وذكر ابن عونٍ ، فقال : كان لا يُكري دورَه من المسلمين . قلت : لأي علة ؟ قال : لئلا يروِّعَهم .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدين : أنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : أنا أبو الأزهرِ ضمرةُ بن حمزةَ المقدسيُّ في كتابه ، وحدثني عنه محمدُ بن إبراهيمَ : حدثني أبي : ثنا عبيدُ ٱلله بن عبيدٍ : ثنا أبي : ثنا عبد ٱلله بن إدريسَ ، عن مالكِ بن دينارٍ ، قال : احتبسَ علينا المطرُ ، فخرجنا يوماً بعد يوم نستسقي ، فلم نر أثرَ الإجابة ، فخرجت أنا وعطاءٌ السلميُّ ، وثابتٌ البنانيُّ ، ومحمدُ بن واسعٍ ، وحبيبٌ الفارسيُّ ، وصالحٌ المريُّ في آخرين ، حتىٰ صرنا إلىٰ المصلىٰ بالبصرة ، فاستسقينا ، فلم نر أثر الإجابة ، وانصرف الناس ، وبقيت أنا وثابتٌ في المصلىٰ ، فلما أظلم الليل ، إذا بأسودَ دقيقِ الساقين ، عظيمِ البطنِ ، عليه مئزران من صوف ، فجاء إلىٰ ماء فتمسح ، ثم صلىٰ ركعتين خفيفتين ، ثم رفع طرفه إلىٰ السماء فقال : يا سيدي ! إلىٰ كَمْ تردد عبادَكَ فيما لا ينقصُك ؟ ! أَنَفِدَ ما عندَك ، أم نفدَت خزائن قدرتك ؟ أقسمتُ عليك بحبك لي إلا ما سقيتنا غيثك الساعةَ . فما أتمَّ الكلامَ حتىٰ تغيمت السماءُ وأخذتنا كأفواه القرب ، فما خرجنا حتىٰ خُضْنا الماء ، فتعجبنا من الأسود ، فتعرضتُ له ، فقلتُ : أما تستحي مما قلتَ ؟ قال : وما قلتُ ؟ قال كقولك : بحبك لي ، وما يدريك أنه يحبك ؟ قال : تنحَّ عن همتي يا من اشتغل عنه بنفسه ، أين كنت أنا حين خصني بتوحيده وبمعرفته ؟

أتراه بدأني بذٰلك إلا لمحتبه لي ؟ ثم بادر يسعىٰ ، فقلت : ارفق بنا ، قال : أنا مملوك عليَّ فرضٌ من طاعة مالكي الصغير ، فدخل دار نخاس ، فلما أصبحنا ، أتيت النخاسَ ، فقلت له : عندك غلام تبيعنيه للخدمة ؟ قال : نعم ، عندي مئة غلام فجعل يُخرج إليَّ واحداً بعد الآخر ، وأنا أقول : غير هـٰذا ، إلىٰ أن قال : ما بقي عندي أحد ، فلما خرجنا ، إذ أنا به نائم في حجرة خربة ، فقلت : بعني هـٰذا ، فقال : هـٰذا غلام مشؤوم ، لا همةَ له إلا البكاء ، فقلت : لذاك أريده ، فدعاه وقال : خذه بما شئت بعد أن تبرئني من عيوبه ، فأخذته بعشرين ديناراً ، فلما خرجنا ، قال : يا مولاي ! لم اشتريتني ؟ فقلت له : لأخدمك ، قال : ولم ؟ قلت : ألستَ صاحبنا البارحةَ في المصلَّىٰ ؟ قال : وقد اطلعتَ علىٰ ذٰلك ؟ فجعل يمشي حتىٰ دخل مسجداً ، فصلىٰ ركعتين ثم قال : إلـٰهي وسيدي ! سِرٌّ كان بيني وبينك أظهرتَه للمخلوقين ، أقسمتُ عليك إلا قبضتَ روحي ، فإذا هو ميت ، فبقبره يُستسقىٰ به ، وتُطلب الحوائج [1] .

*** ومنهم قومٌ لم يتعرضوا علىٰ الربِّ في تصريفه في الزمان ، ولم يريدوا غيرَ الذي أراد ، ولم يتعرضوا .**

وقد أخبرنا جدِّي : أنا الصلاحُ بن أبي عمرَ : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا ابن الجوزيِّ : أنا إسماعيلُ بن أحمدَ : ثنا محمدُ بن هبةِ ٱلله : أنا محمدُ بن الحسينِ : أنا عبد ٱلله بن جعفرٍ : ثنا يعقوبُ بن

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠ / ١٧٣ ـ ١٧٤) .

شعيبٍ : ثنا سليمانُ بن حربٍ ، قال : قال حمادُ بن زيدٍ : سمعت أيوبَ يقول : إذا لم يكنْ ما تريدُ ، فأَرِدْ ما يكونُ [1] .

وحُقَّ لكلِّ أحدٍ منا أن يصبر على الزمان ، فإنه لا يأتي زمانٌ ولا يوم ولا ساعة إلا والذي بعدَه شرٌّ منه .

أخبرنا أبو حفصٍ المقرئُ : أنا الإمامُ أبو الحسنِ : أنا المحبوبيُّ : أنا ابنةُ علوانَ : أنا أبو محمدٍ المقدسيُّ : أنا ابن المهتدي : أنا أبو طالبٍ اليوسفيُّ : أنا ابن المذهبِ : أنا أبو بكرٍ القطيعيُّ : أنا عبد الله بن أحمدَ : أنا أبي : ثنا أبو معاويةَ : ثنا مالكٌ ، عن الحسنِ : أنه كان يقول : ما لي لا أرىٰ زماناً إلا بكيتُ منه ، فإذا ذهبَ ، بكيت عليه .

وأنشدونا في معنىٰ ذٰلك :

رُبَّ دَهْـــــــرٍ بَكَيْـــــــتُ مِنْـــــــهُ
فَلَمَّـــا صِـــرْتَ بِغَيْـــرِهِ بَكَيْـــتُ عَلَيْـــهِ

* **وهم قوم جادوا بأنفسهم لله ـ عز وجل ـ .**

أخبرنا جدِّي : أنا الصلاحُ بن أبي عمرَ : أنا الفخرُ بن البخاريِّ : أنا الإمامُ أبو الفَرَجِ : أنا أبو بكر بن حبيبٍ البغداديُّ : أنا عليُّ بن أبي صادقٍ : أنا ابن باكويهِ : ثنا نصرُ بن أبي نصرٍ : ثنا عليُّ بن محمدٍ : حدثني سعيدُ بن جعفرٍ ، وهارونُ الأرمنيُّ ، وعثمانُ التمارُ ، قالوا : ثنا عثمانُ بن عمارةَ : حدثني إبراهيمُ بن أدهمَ ، قال : لقيتُ رجلاً بالإسكندرية يقال له : أسلمُ بن زيدٍ الجهنيُّ ، فقال : من أنت يا غلام ؟

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣ / ١٢) .

قلت : شابٌّ من أهل خراسان .

قال : ما حملَك علىٰ الخروجِ من الدنيا ؟

قلت : زهداً فيها ، ورجاء ثواب ٱلله ـ عز وجل ـ .

فقال : إن العبد لا يتمُّ رجاؤه لثواب ٱلله ـ عز وجل ـ حتىٰ يحملَ نفسَه علىٰ الصبر .

فقال له رجل ممن كان معه : وأيُّ شيء الصبرُ ؟

قال : إن أدنىٰ منازل الصبر : أن يروضَ العبدُ نفسَه علىٰ احتمال مكارِهِ الأنفس .

قال : قلت : ثم مه ؟

قال : إذا كان محتملاً للمكاره ، أورث ٱلله ـ عز وجل ـ قلبه نوراً .

قلت : فماذا النور ؟

قال : سراجٌ يكون في قلبه يفرق بين الحق والباطل والمتشابه .

ثم قال : يا غلام ! إياك إذا صحبتَ الأخيارَ وجاريتَ الأبرارَ أن تُغضبهم عليك ؛ لأن ٱلله تعالىٰ يغضب لغضبهم ، ويرضىٰ لرضاهم ، وذٰلك أن الحكماء هم العلماء ، وهم الراضون عن ٱلله ـ عز وجل ـ إذا سخط الناس ، يا غلام ! احفظْ عني واعقلْ ، واحتملْ ولا تعجَلْ ، إياك والبخلَ .

قلت : وما البخلُ ؟

قال : أما البخلُ عند أهل الدنيا ، فهو أن يكون الرجل ضنيناً بماله ، وأما عند أهل الآخرة ، فهو الذي يضنُّ بنفسه عن ٱلله ، ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله ، أورث ٱلله قلبَه الهدىٰ والتقىٰ ، وأُعطي السكينةَ والوقارَ ، والحلمَ الراجحَ ، والعقلَ الكامل .

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفَرَجِ : أنا المحمدان : ابن ناصر ، وابن عبد الباقي ، قالا : أنا حمدٌ : أنا أحمدُ بن عبد ٱلله : ثنا عثمانُ بن محمدٍ : قرئَ علىٰ أبي الحسينِ السريريِّ : سمعتُ يوسفَ بن الحسينِ يقول : سمعت ذا النون يقول : بصحبة الصالحين تطيبُ الحياة ، والخيرُ مجموعٌ في القرين الصالح ، إن نسيتَ ذَكَّرَكَ ، وإن ذكرتَ أعانَكَ [1] .

قال : وسمعتُه يقول : مَنْ لم يعرفْ قدرَ النعم ، سُلِبَها من حيثُ لا يعلم [2] .

وبه إلىٰ أحمدَ بن عبد ٱلله : ثنا محمدُ بن إبراهيمَ : ثنا أبو حامدٍ النيسابوريُّ : ثنا عبد القدوسِ بن عبد الرحمـٰن : سمعتُ ذا النونِ يقول : إلـٰهي ! لو أصبتُ موئلاً في الشدائد غيرَك ، أو ملجأً في النوازل سواك ، لحقَّ لي أن لا أعرضَ إليه بوجهي عنك ، ولا أختاره عليك ؛ لقديم إحسانك إليَّ وحديثه ، وظاهرِ مِنَّتِكَ عليَّ وباطنها ، ولو تقطعتُ في البلاء إرباً إرباً ، وانصبَّتْ عليَّ الشدائدُ صَبّاً صَبّاً ، لا أجد مشتكىً لبثِّي غيرَك ، ولا مُفَرِّجاً لما بي عني سواك ، فيا وارث الأرض ومَنْ عليها ، ويا

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩ / ٣٥٩) .
(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠ / ١٢٤) .

باعثَ جميعِ مَنْ فيها ! ورث آملي فيك مني أملي ، وبلِّغ همتي فيك منتهىٰ وسائلي [1] .

وبه إلىٰ أحمدَ بن عبد ٱلله : ثنا أحمدُ بن مصقلةَ : ثنا سعيدُ بن عثمانَ ، قال : سمعتُ ذا النونِ يقول : من ذبحَ حنجرةَ الطمعِ بسيف اليأس ، وردمَ خندقَ الحرصِ ؛ ظفرَ بكيمياء الخدمة ، ومن استقىٰ بحبل الزهد علىٰ دَلْو العُزوف ؛ استقىٰ من جُبِّ الحكمة ، ومن سلكَ أوديةَ الكَمَد ، جنىٰ حياة الأبد ، ومن حصدَ عشبَ الذنوب بمنجل الورع ، أضاءت له روضة الاستقامة ، ومن قطع لسانه بشفرة الصمت ، وجد عذوبةَ الراحة ، ومن تَدَرَّعَ دَرعَ الصدق ، قويَ علىٰ مجاهدة عسكرِ الباطل ، ومن فرح بِمِدْحَة الجاهل ، ألبسه الشيطانُ ثوبَ الحماقة .

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفَرَجِ : أنا محمدُ بن أبي منصورٍ : أنا الحسينُ بن عبد الجبارِ : أنا أبو سعيدٍ مسعودُ بن ناصرٍ : أنا أبو حازمٍ العبدويُّ : أنا ابن جهضمٍ : أنا محمدُ بن جعفرٍ : ثنا يحيىٰ بن الحسنِ ، عن معروفٍ الكرخيِّ ، قال : رأيتُ في البادية شاباً حسنَ الوجه ، له ذؤابتان حسنتان ، وعلىٰ رأسه رداء قصب ، وعليه قميصُ كتان ، وفي رجليه نعلُ طاق .

قال معروف : فتعجبتُ منه في مثل ذٰلك المكان ومن زِيِّه .

فقلت : السلامُ عليك ورحمةُ ٱلله وبركاته .

فقال : وعليكَ السلامُ ورحمةُ ٱلله يا عَمّ .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩ / ٣٥١) .

فقلت : الفتىٰ من أين ؟

قال : من مدينة دمشقَ .

قلت : ومتىٰ خرجتَ ؟

قال : ضحوةَ النهار .

قال معروف : فتعجبتُ ، وكان بينه وبين الموضع الذي رأيتُه فيه مراحلُ كثيرة ، فقلت له : وأين المقصد ؟

قال : مكة .

فعلمتُ أنه محمول ، فودعته ، ومضىٰ ولم أره حتىٰ مضت ثلاثُ سنين ، فلما كان ذات يوم أنا جالس في منزلي أتفكر في أمره ، وما كان منه ، إذا بإنسان يدق الباب ، فخرجت إليه ، فإذا أنا بصاحبي ، فسلمت عليه ، وقلت : مرحباً وأهلاً ، وأدخلته المنزل ، فرأيته منقطعاً والهاً تالفاً ، عليه زر مانقة ، حافياً حاسراً .

فقلت : هيه ، أيُّ شيء الخبرُ ؟

فقال : يا أستاذ ! لاطَفَني حتىٰ أدخَلَني الشبكةَ ، فرماني ، فمرة يلاطفني ، ومرة يهددني ، ويجيعني مرة ، ويكرمني أخرىٰ ، فليته وقفني علىٰ بعض أسرار أوليائه ، ثم فعل بي ما يشاء .

قال معروف : فأبكاني كلامه .

فقلت له : فحدِّثني [عن] بعض ما جرىٰ عليك منذ فارقتني .

فقال : هيهاتَ أن أُبديه ، وهو يريد أن يُخفيه ، ولـٰكن أُبدي لكَ

بعضَ ما فعل بي في طريقي إليك ، مولاي وسيدي ، ثم استفرغه البكاء .

فقلت : وما فعل بك ؟

قال : جَوَّعني ثلاثين يوماً ، ثم جئتُ إلىٰ قرية فيها مِقْثاةٌ قد نبذ منها الدود وطرح ، فقعدت آكل منه ، فبصر بي صاحبُ المقثاة ، فأقبل إلي يضرب ظهري وبطني ، ويقول : يا لص ! ما خرب مقثأتي غيرُك ، منذ كم أرصدُك حتىٰ وقعتُ عليكَ ، فبينا هو يضربني إذ أقبل فارسٌ إليه مسرعاً ، وقلب السوطَ في رأسه ، وقال : تعمدُ إلىٰ ولي من أولياء ٱلله ، فتقول له : يا لص ؟ ! فأخذ صاحبُ المقثاة بيدي ، فذهب بي إلىٰ منزله ، فما أبقىٰ من الكرامة شيئاً إلا عمله معي ، واستحلني ، وجعل مقثاته لله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ولأصحاب معروف .

فقلت له : صفْ لي معروفاً ، فوصفَكَ لي ، فعرفتُك بما كنت شاهدتُه من صفتك .

قال معروفٌ : فما استتمَّ كلامَه حتىٰ دقَّ صاحبُ المقثاةِ البابَ ، ودخل إليَّ ، وكان موسِراً ، فخرج من جميع ماله ، وأنفقه علىٰ الفقراء ، وصحبَ الشابَّ سنةً ، وخرجا إلىٰ الحج ، فماتا في الربذة .

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفرجِ : أنا عبد الملكِ بن أبي القاسمِ : أنا أبو عبد ٱلله محمدُ بن عليٍّ : أنا أبو الفضلِ الفاميُّ : أنا محمدُ بن أحمدَ المروانيُّ : حدثني محمدُ بن المنذرِ : ثنا عيسىٰ بن أبي موسىٰ : أنا أبو عبيدِ ٱلله الإمامُ: سمعت أبا عبد ٱلله النباجيَّ يقول: إذا كان عندك ما أعطىٰ ٱلله نوحاً وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمداً عليهم السلام ولا تراه شيئاً ، وإنما تريد ما أعطىٰ ٱلله نمرودَ وفرعونَ وهامانَ ، متىٰ تفلح ؟

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفَرَجِ ، قال : أبو الخيرِ التينانيُّ الأقطعُ كان مقطوعَ اليد ، وكان سببُ ذٰلك : أنه كان في جبال أنطاكية يطلب المباح ، وينام بين الجبال ، وكان عاهدَ ٱللهَ أن لا يأكل من ثمر الجبال إلا ما طرحَتْه الريح ، فبقي أياماً لا تطرح الريح له شيئاً ، فرأىٰ يوماً شجرة كُمَّثْرىٰ ، فاشتهىٰ منها ، فلم يفعل ، فأمالتها الريحُ إليه ، فأخذ واحدة بيده ، واتفق أن لصوصاً قطعوا هنالك الطريق ، وجلسوا يقتسمون ، فوقع عليهم السلطانُ فأخذهم ، وأُخذ معهم ، فقُطعت أيديهم وأرجلهم ، وقُطعت يدُه ، فلما هموا بقطع رجله ، عرفه رجلٌ ، فقال للأمير : أهلكتَ نفسَك ، هٰذا أبو الخير ، فبكىٰ الأمير ، و سأله أن يجعله في حِلٍّ ، ففعل ، وعوتب ، فقيل له : هلا عرفتنا نفسَك ؟ فقال : أنا أعرف ذنبي ؛ إشارةً منه أنه عاهدَ ٱللهَ أن لا يأخذَ إلا ما ألقته الريح ، فأخذ بها غيرَ ما ألقته الريح ، فقُطعت .

وبه إلىٰ أبي الفرج : أنا المحمدان : ابن عبد الملكِ ، وابن ناصرٍ ، قالا : أنا أحمدُ بن خيرون : أنا أبو الحسينِ الصوفيُّ : أنا عليُّ بن المثنىٰ : سمعت أبا الخيرِ التيناتيَّ الأقطعَ يقول : ما بلغَ أحدٌ إلىٰ حالةٍ شريفةٍ إلا بملازمةِ الموافقةِ ، ومعانقةِ الأدب ، وأداء الفرائض ، وصحبة الصالحين ، وخدمة الفقراء الصادقين [1] .

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفرجِ : أنا عمرُ بن طغر : أنا جعفرُ بن أحمدَ : أنا عبد العزيزِ بن عليٍّ : أنا ابن جهضمٍ : حدثني محمدُ بن داودَ :

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠ / ٣٧٨) .

سمعتُ ابن الجلاءِ يقول : سمعتُ أبا سليمانَ المقرئَ قال : كنت أحملُ الحطبَ ، وأتقوَّتُ منه ، وكان طريقي فيه التوقِّي والتحري ، قال : فرأيت جماعةً من البصريين في النوم ، منهم : الحسنُ ، ومالكُ بن دينارٍ ، وفرقدٌ السبخيُّ ، فسألتُهم عن علة حالي ، فقلتُ : أئمة المسلمين دلُّوني على الحلال الذي ليس لله ـ عز وجل ـ فيه تَبِعَةٌ ، ولا للخَلْق فيه مِنَّة ، فأخذوا بيدي ، وأخرجوني من طرسوسَ إلى مرجٍ فيه خُبَّازَىٰ ، فقالوا لي : هٰذا الحلالُ الذي ليس لله ـ عز وجل ـ فيه تبعة ، ولا للمخلوق فيه منة .

قال : فمكثتُ آكلُ منه نصفَ سنة ، ثلاثة أشهر في دار السبيل ، آكلُه نيِئاً ومطبوخاً ، فصار لي حديث . فقلت : هٰذه فتنة .

فخرجتُ من دار السبيل ، فكنت آكلُه ثلاثةَ أشهر أُخر . فأوجدني ٱلله ـ عز وجل ـ قلباً طيباً حتىٰ قلتُ : إن كان أهلُ الجنة بهٰذا القلب الذي لي ، فهمْ وٱلله في شيء طيب ، وما كنت آنسُ بكلام الناس ، فخرجتُ يوماً من باب قلمية إلىٰ صهريج يعرف بالمدنف ، فجلست عنده ، فإذا أنا بفتىٰ قد أقبل من ناحية لامش يريد طرسوس ، وقد بقي معي قطيعات من ثمن الحطب الذي كنت أجيء به من الجبل ، فقلت : أنا قد قنعت بهٰذا الخبازىٰ ، أعطي هٰذه القطعَ هٰذا الفقيرَ ، إذا دخل طرسوسَ اشترىٰ بها شيئاً وأكلَه ، فلما دنا مني ، أدخلت يدي إلىٰ جيبي حتىٰ أُخرج الخرقةَ ، فإذا أنا بالفقير قد علمَ ما أُريد ، وحرك شفتيه ، وإذا كلُّ ما حولي من الأرض ذَهَبٌ يَتَّقِدُ حتىٰ كاد يخطفُ بصري ، ولبستني منه هيبةٌ ، فجازَ ولم أسلِّم عليه من هيبته .

زاد أبو الفرج بن أبان : فقلت له : فهل رأيتَه بعد ذٰلك ؟

قال : نعم ، خرجتُ يوماً خارجَ طرسوس ، إذا به جالسٌ تحت برجٍ من الأبرجة ، وبين يديه ركوةٌ فيها ماء ، فسلمت عليه ، ثم استدعيت منه موعظة ، فمدَّ رجلَه فقلب بها الماء ، ثم قال : كثرةُ الكلامِ تنشِّف الحسناتِ كما نشفت الأرضُ هـٰذا الماء . ثم قال : حسبك .

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفرجِ : أنا محمدُ بن أبي القاسمِ : أنا حمدُ بن أحمدَ : أنا أحمدُ بن عبد ٱلله : ثنا إسحاقُ بن أحمدَ : ثنا إبراهيمُ بن يوسفَ : ثنا أحمدُ بن أبي الحواريِّ : ثنا أحمدُ بن عاصمٍ ، قال : إذا صارتِ المعاملةُ إلىٰ القلب ، استراحتِ الجوارحُ [1] .

قال : وسمعته يقول : ما أَغْبِط أحداً إلا مَنْ عرفَ مولاه ، فأشتهي أن لا أموتَ حتىٰ أعرفَه معرفة العارفين ، الذين يستحبونه ، لا معرفة التصديق [2] .

وبه إلىٰ أحمدَ بن عبد ٱلله : سمعتُ أبي يقول : قال أحمدُ بن عاصمٍ : أنفعُ اليقينِ ما عَظُم في عينيك ما به أيقنت ، وأنفعُ الخوفِ ما حجزك عن المعاصي ، وأطالَ منك الحزنَ علىٰ ما فات ، وألزمَكَ الفكرَ في بقية عمرِك ، وخاتمةِ أمرك ، وأنفعُ الصدقِ أن تُقرَّ لله بعيوبِ نفسك ، وأنفعُ الحياء أن تستحييَ أن تسأله ما تحبُّ ، وتأتيَ ما يكره ، وأنفعُ الصبر ما قَوَّاكَ علىٰ خلافِ هواكَ ، وأفضلُ الجهاد مجاهدتُكَ نفسَك

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩ / ٢٨١) .
(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩ / ٢٨٢) .

لتردَّها إلىٰ قبولِ الحق ، وأوجبُ الأعداءِ مجاهدةً أقربُهم منك دُنُوّاً ، وأخفاهم عنك شخصاً ، وأعظمُ لك عداوةً ، وهو إبليس .

قلت : فما ترىٰ في الأنس بالناس ؟

قال : إن وجدتَ عاقلاً مأموناً ، فَأْنَسْ به ، واهربْ عن سائرهم كهربك من السباع .

قلت : فما أفضلُ ما أتقرَّبُ به إلىٰ ٱلله ـ عز وجل ـ ؟

قال : تركُ معاصيه الباطنة .

قلت : فما بالُ الباطنةِ أولىٰ من الظاهرة ؟

قال : لأنك إذا اجتنبت الباطنة ، بطلت الظاهرة والباطنة .

قلت : فما أضرُّ الطاعات لي ؟

قال : ما نسيتَ بها مساوئَك ، وجعلتَها نصبَ عينيك إدلالاً بها وأمناً .

قال : وسمعتُه يقول : استكثرْ من ٱلله ـ عز وجل ـ لنفسك قليلَ الرزق ؛ تخلصاً إلىٰ الشكر ، واستقلِلْ من نفسك لله كثيرَ الطاعة ؛ إزراءً علىٰ النفس ، وتعرضاً للعفو ، واستجلِبْ شدةَ التيقُّظ بشدة الخوف ، وادفعْ عظيمَ الحرصِ بإيثارِ القناعة ، واقطعْ أسبابَ الطمعِ بصحةِ اليأس ؛ وسُدَّ سبلَ العُجْب بمعرفة النفس ، واطلبْ راحةَ البدنِ بإجمام القلب ، وتخلَّصْ إلىٰ إجمام القلب بقلةِ الخلطاء ، وتعرَّضْ لرقةِ القلبِ بدوام مجالسةِ أهل الذكر ، وبادرْ بانتهاز البغيةِ عندَ إمكانِ الفرصة .

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفَرَجِ : أنا أبو بكرٍ العامريُّ : أنا عليُّ بن

أبي صادقٍ : أنا أبو عبد ٱلله بن باكويهِ : أخبرني أبو يعقوبَ الخراطُ : أنا أبو محمدٍ القرظيُّ : أخبرني عثمانُ بن عليٍّ : أخبرني نبهانُ المغلسُ : أخبرني حذيفةُ بن قتادةَ المرعشيُّ ، قال : كنت في المركب ، فكُسر بنا ، فوقعتُ أنا وامرأة علىٰ لوح من ألواح المركب ، فمكثنا سبعة أيام .

فقالت المرأة : أنا عطشىٰ ، فسألتُ ٱلله تعالىٰ أن يَسقينا ، فنزلت علينا من السماء سلسلةٌ فيها كوزٌ معلَّق فيه ماء . فشربتُ ، فرفعتُ رأسي أنظر إلىٰ السلسلة ، فرأيت رجلاً جالساً في الهواء متربعاً .

فقلت : ممن أنت ؟

قال : من الإنس .

قلت : فما الذي بلغك هـٰذه المنزلة ؟

قال : آثرتُ مرادَ ٱلله علىٰ هواي ، فأجلسني كما تراني .

أخبرنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا القاضي سليمانُ : أنا الحافظُ ضياءُ الدينِ : أنا جماعةٌ من شيوخنا : أنا ابن المحبِّ : أنا أبو عليٍّ الحدادُ : أنا الحافظُ أبو نعيمٍ : أنا أبو محمدِ بن حيانَ : ثنا إبراهيمُ بن محمدٍ : ثنا أحمدُ بن فضيلٍ ، قال : غزا أبو معاويةَ الأسود ، فحاصر المسلمون حصناً فيه عِلْجٌ لا يرمي بحجرٍ ولا نُشَّابٍ إلا أصاب به ، فشكَوْا ذٰلك إلىٰ أبي معاوية ، فقرأ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، ثم قال : استروني منه ، فلما وقف ، قالوا : أين تريدون بإذن ٱلله ؟ قال : المذاكير .

فقال : أَيْ رَبِّ ! سمعتَ ما سألوني ، فأعطني ما سألوني ،

باسم ٱلله ، ثم رمىٰ ، فمر السهمُ حتىٰ إذا قرب من الحائط ، ارتفعَ حتىٰ أتىٰ العلجَ ، فأخذ مذاكيرَه ، فوقع ، فقال : شأنكم به [١] .

وبه إلىٰ الإمام أبي الفَرَجِ : أنا أبو بكرٍ العامريُّ : أنا عليُّ بن أبي صادقٍ ، وعبدُ الغفارِ بن محمدٍ ، قالا : أنا أبو عبد ٱلله بن باكويهِ : ثنا عليُّ بن الحسنِ الأرجانيُّ : ثنا جعفرُ بن محمدٍ : سمعتُ أبي يقول : سمعتُ أبا معاويةَ الأسودَ ـ وهو علىٰ سور طرسوس من جوف الليل ـ يبكي ، ويقول : أَلا مَنْ كانت الدنيا أكبرَ هَمِّه ، طالَ في القيامة غداً غَمُّه ، ومن خافَ ما بين يديه ، ضاق في الدنيا ذَرْعُه ، ومن خافَ الوعيد ، لها من الدنيا عَمَّا يريد .

يا مسكين ! إن كنت تريد لنفسك الجزيلَ ، فأقللْ نومَك بالليل إلا القليل ، اقبلْ من الأخ الناصح ، إذا أتاكَ بأمر واضح ، لا تهتمَنَّ برزق مَنْ تخلف ، فليست أرزاقهم تكلف ، وَطِّنْ نفسَك للمقال ، إذا وقفت بين يدي ربِّ العزة للسؤال ، قَدِّمْ صالحَ الأعمال ، ودَعْ عنك كثرةَ الأشغال ، بادرْ ثم بادرْ ، قبل أن تصلَ المقابر ، قبل أن تصل الروح التراقي ، وينقطعَ عنك مَنْ تحبُّ أن تُلاقي ، كأني بها وقد بلغتِ الحلقوم ، وأنت في سكرات الموت مغموم ، وقد انقطعتْ حاجتك ، وأنت تراهم حولَكَ ، وبقيتَ مرتهناً بعملك .

الصبرُ مِلاكُ الأمر ، وفيه أعظمُ الأجر ، واجعلْ ذكر ٱلله من جلِّ شأنك ، واملكْ فيما سوىٰ ذٰلك لسانك .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨ / ٢٧١) .

ثم بكىٰ أبو معاوية بكاء شديداً .

ثم قال : أوه من يوم يتغير فيه لوني ، ويختلج فيه لساني ، ويجفُّ فيه ريقي ، ويقلُّ فيه زادي [1] .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا عبد ٱلله بن محمدٍ : حدثني محمدُ بن أحمدَ : ثنا عبد ٱلله بن خبيقٍ : ثنا يوسفُ بن أسباط ، قال : قال لي حذيفةُ المرعشيُّ : ما أُصيب أحد بمصيبةٍ أعظمَ من قساوةِ قلبه [2] .

وبه إلىٰ أبي نعيمٍ : ثنا محمدُ بن الحسينِ الزبيريُّ : ثنا محمدُ بن المسيبِ : ثنا عبد ٱلله بن خبيقٍ : قال لي حذيفةُ المرعشيُّ : إنما هي أربعةُ أشياء : عيناك ، ولسانك ، وهواك ، وقلبك ، فانظر عينيك ، لا تنظر بهما إلىٰ ما لا يحل لك ، وانظر لسانَك ، لا تقل به شيئاً يعلم ٱلله خلافَه من قلبك ، وانظر قلبك ، لا يكنْ فيه غِلٌّ ولا دَغَلٌ علىٰ أحد من المسلمين ، وانظر هواك ، لا تهْوَ شيئاً ، فما دام لم تكن فيك هـٰذه الأربعُ خصال ، فاحْثُ الرمادَ علىٰ رأسك [3] .

وقال ابن خبيقٍ : حدثني موسىٰ بن المعلَّىٰ ، قال : قال حذيفةُ : يا موسىٰ ! ثلاثُ خصال إن كنَّ فيك ، لم ينزل من السماء خير إلا كانَ لك فيه نصيب : يكون عملُك لله ، وتحبُّ للناس ما تحب لنفسك ، وهـٰذه الكسرةُ تَحَرَّ فيها ما قدرتَ [4] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨ / ٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨ / ٢٦٩) .

(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠ / ١٦٨) .

(٤) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨ / ٢٧٠) .

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفَرَجِ : أنا عبد الوهابِ بن أحمدَ : أنا حمزةُ بن محمدٍ : أنا أبو القَاسمِ عبيدُ ٱلله الخرقيُّ : ثنا أبو بكرٍ النقاشُ : ثنا أبو سعيدٍ الدمشقيُّ : ثنا أحمدُ بن عاصمٍ : حدثني عثمانُ الوجافيُّ ، قال : خرجتُ من بيت المقدس أريد بعضَ القرىٰ في حاجة ، فلقيتني عجوز عليها جبةُ صوفٍ ، وخمارُ صوف ، فسلمتُ عليها ، فردَّتْ عليَّ السلامَ ، ثم قالت : يا فتىٰ من أين أقبلت ؟

قلت : من هـٰذه القرية .

قالت : وأين تريد ؟

قلت : بعض القرىٰ في حاجة .

قالت : كم بينك وبين أهلك ومنزلك ؟

قلت : ثمانية عشر ميلاً .

قالت : ثمانية عشر ميلاً في حاجة ؟ إن هـٰذه لحاجة مهمة .

قلت : أجل .

قالت : فما اسمك ؟

قلت : عثمان .

فقالت : يا عثمان ! ألا سألتَ صاحبَ القرية أن يوجِّه إليك بحاجتك ولا تتعنىٰ ؟

قال : ولم أعلمِ الذي أرادت ، فقلتُ : يا عجوز ! ليس بيني وبين صاحب القرية معرفةٌ .

قالت : يا عثمان ! ما الذي أوحش بينك وبين معرفته ، وقطعَ بينكَ وبين الاتصال به ؟

قال : فأفقتُ ، فعرفتُ الذي أرادَتْ ، فبكيت .

فقالت : من أي شيء تبكي ؟ من شيء كنتَ فعلتَه ونسيتَه ، أو من شيء أُنسيته وذكرتَه ؟

قال : قلت : لا ، بل من شيء أُنسيتُه وذكرتُه .

قالت : يا عثمان ! احمدِ ٱلله الذي لم يتركْكَ في حيرتِك ، أتحبُّ ٱلله ـ عز وجل ـ ؟

قلت : نعم .

قالت : فاصدُقني .

قلت : إي وٱلله ! إني لأحبُّ ٱلله ـ عز وجل ـ .

قالت : فما الذي أفادَكَ من طرائف حكمته إذ أوصلك إلىٰ محبته ؟

قال : فبقيتُ لا أدري ما أقول ؟

قالت : يا عثمان ! لعلك ممن يحبُّ أن يكتمَ المحبةَ ؟

فال : فبقيت بين يديها ولا أدري ما أقول .

قال : يأبىٰ ٱلله أن يدنس طرائفَ حكمته ، وخفيَّ معرفته ، ومكنونَ محبته ممارسة قلوب البطالين .

قلتُ : رحمكِ ٱلله ! لو دعوتِ ٱلله ـ عز وجل ـ أن يشغلني بمحبته .

فنفضت يديها في وجهي .

فأعدتُ القولَ أقتضي الدعاء .

فقالت : يا عبد ٱلله ! امضِ لحاجتك ، فقد علم المحبوبُ ما ناجاه الضمير من أجلك .

ثم وَلَّت وقالت : لولا خوفُ السلب ، لبحتُ بالعجب .

ثم قالت : أوه من شوقٍ لا يبرأ إلا بك ، ومن حنينٍ لا يسكن إلا إليك ، فأين لوجهي الحياء منك ؟ وأين لعقلي الرجوع إليك ؟

قال عثمان : فوٱلله ! ما ذكرتُ ذٰلك ، إلا بكيتُ ، وغُشي عليَّ .

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفَرَجِ : أنا عبد الوهابِ الأنماطيُّ : أنا المباركُ بن عبد الخالق : أنا محمدُ بن عليٍّ : أنا أحمدُ بن محمدٍ : ثنا الحسينُ بن صفوانَ : أنا أبو بكرِ بن سفيانَ : حدثني محمدُ بن الحسينِ : حدثني عمارُ بن عثمانَ : حدثني بشرُ بن بشارٍ ، وكان من العابدين ، قال : لقيتُ عباداً ثلاثةً ببيت المقدس ، فقلت لأحدهم : أوصني .

فقال : أَلْقِ نفسَك مع القَدَرِ حيثُ ألقاك ، فهو أحرىٰ أن يفرغ قلبك ، ويقلَّ همك ، وإياكَ أن تسخطَ ذٰلك ، فيحل بك السخط ، وأنت عنه في غفلة لا تشعر به .

فقلت للآخر : أوصني .

فقال : ما أنا بمستوصٍ .

قلت : علىٰ ذاك عسىٰ ٱلله أن ينفع بوصيتك .

قال : أما إذ أبيت إلا الوصية ، فاحفظ عني : التمس رضوانه في ترك مناهيه ، فهو أوصلُ إلىٰ الزلفىٰ لديه .

قال : فقلت للآخر : أوصني ، فبكىٰ ، واستخرجها سفحاً للدموع ، ثم قال : أي أخي ! لا تبتغ في أمرك تدبيراً غير تدبيره ، فتهلِكَ فيمن هلك ، وتضلَّ فيمن ضلَّ .

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفَرَج : أنا أبو بكرٍ العامريُّ : أنا عليُّ بن أبي صادقٍ : أنا أبو عبد ٱلله بن باكويهِ : سمعتُ محمدَ بن الفرحانِ يقول : سمعتُ الجنيدَ يقول : سمعتُ أبا جعفرٍ الخصافَ يقول : حدثني جابرٌ الرحبيُّ ، قال : أكثرَ عليَّ أهلُ الرحبةِ يُنكرون عليَّ ما يُعطي ٱلله ـ عز وجل ـ أولياءه ، فخرجتُ إلىٰ خارج ، فركبت السبعَ ، ودخلتُ إلىٰ الرحبةِ وأنا أقول : أين الذين يؤذون أولياء ٱلله ، فينكرون عليهم ؟ فَكَفُّوا عني .

وبه إلىٰ الإمامِ أبي الفَرَجِ : أنا عمرُ بن طغر : أنا أحمدُ : أنا عبد العزيزِ بن عليٍّ : أنا عليُّ بن عبيدِ ٱلله بن جهضمٍ : أنا الخلديُّ : حدثني أبو العباسِ ، عن محمدٍ غلامِ أبي عبيدٍ ، قال : وَدَّعْتُ أبا عبيد حين أردت الحج .

فقال لي : معك شيء ؟

قلت : لا ، ليس معي غيرُ هـٰذه الركوة .

فقال : إذا أردت شيئاً ، أو جعتَ ، أو عطشتَ ، فصلِّ ركعتين ، واجعلها علىٰ يمينك ، فإذا سلَّمتَ ، رأيتَ كلَّ ما تحب .

قال : فجئتُ إلىٰ بعض المنازل ، وليس فيه ماء ، والناسُ يصيحون : العطش .

فقلت في نفسي : قد قال أبو عبيد ما قال وهو صادق . فأخذتُ الركوةَ ، فرميت بها في مصنع ، وصليت ركعتين ، فما سلمت إلا والرياحُ تذهب بها وتجيء علىٰ رأس الماء . فنزلتُ ، فأخذت الركوةَ ، ثم صحتُ بالناس ، فجاؤوا واستَقَوْا حتىٰ رَوُوا .

اللَّهمَّ ببركة الصالحين اكفِنا شرَّ الأشرار ، وكيدَ الفجار ، وما يختلفُ به الليل والنهار .

سمعتُ أبي يقول : كان الشيخُ عبد الرحمـٰن أبو شعرٍ يتمثَّل كثيراً :

أَلا رُبَّ ذِي ظُلْمٍ كَمَنْتُ لِظُلْمِهِ
فَأَوْقَعَهُ المِقْدَارُ أَيَّ وُقُوعِ
وَمَا كَانَ لِي [إلا] سِلاحُ تَرَكُّعٍ
وَأَدْعِيَةٌ لا تُتَّقَىٰ بِدُرُوعِ
وَهَيْهَاتَ أَنْ يَنْجُو الظَّلُومُ وَخَلْفَهُ
سِهَامُ دُعَاءٍ مِنْ قِسِيٍّ رُكُوعِ
مُرَيَّشَةٌ بِالهُدْبِ مِنْ جَفْنِ سَاهِرٍ
مُنَصَّلَةٌ أَطْرَافُهَا بِنَجِيعِ

وأنشدنا بعضُ إخواننا في معنىٰ ذٰلك :

أَتَهْزَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ
تَأَمَّلْ فِيكَ مَا صَنَعَ الدُّعَاءُ

سِهَـــامُ اللَّيْـــلِ لا تُخْطِـــي وَلٰكِـــن
لَهَـــا أَمَـــدٌ وَلِـــلأَمَـــدِ انْتِهَـــاءُ

وكان الحافظُ العماد يقول : ما رأيتُ أسرعَ إجابة من هٰذا الدعاء : يا ٱلله ، يا أَلله ، يا أَلله ، أَنتَ ٱلله ، أَنتَ ٱللهُ ، أَنتَ ٱللهُ ، إي وٱللهِ ، إي وٱللهِ ، إي وٱلله ، بلىٰ وٱلله ، بلىٰ وٱللهِ ، بلىٰ وٱللهِ ، ٱللهُ ، ٱللهُ ، ٱللهُ ، وحقِّ ٱللهِ ، وحقِّ ٱللهِ ، وحقِّ ٱللهِ ، ٱللهُ ، ٱللهُ ، ٱللهُ ، لا إلـٰهَ إلا ٱللهُ ، لا إلـٰهَ إلا ٱللهُ ، محمدٌ رسولُ ٱللهِ .

وممَّا يُذكر أنه يُستجاب : أن يقولَ : اللهمَّ يا ودودُ ، يا ودودُ ، يا ودودُ ، يا ذا العرشِ المجيدُ ، يا فعالٌ لما يريد ، نسألك باسمك الذي ملأ أركانَ عرشِك ، وبقدرتِك التي قَدِرْتَ بها علىٰ خلقك ، وبرحمتك التي وَسِعَتْ كلَّ شيء ، يا مغيثُ أغثنا ، يا مغيثُ أغثنا ، يا مغيث أغثنا .

وممَّا نُسِبَ إلىٰ الإمام أحمدَ أنَّه مُستجاب ، يا حيُّ قبلَ كلِّ حي ، ويا حيُّ بعدَ كل حي ، ويا حيُّ حينَ لا حي ، يا حي محيي الموتىٰ ، لا إلـٰه إلا أنت ، سبحانك إنِّي كنتُ من الظالمين .

وفي الحديث : « دعوةُ أخي ذي النُّون : لا إلـٰهَ إلا أنتَ ، سبحانك إنِّي كنتُ من الظالمين ، لا يدعو بها مكروبٌ إلا فَرَّجَ ٱلله كربَه » .

وفي الحديث : « دعاءُ الكرب ، لا يدعو به مهمومٌ ولا مكروبٌ إلا فَرَّجَ ٱلله كربَه : لا إلـٰهَ إلا ٱلله العظيمُ الحليمُ ، لا إلـٰهَ إلا ٱلله الحليمُ الكريمُ ، لا إلـٰهَ إلا ٱلله رَبُّ العرشِ العظيمِ ، لا إلـٰهَ إلا ٱلله رَبُّ السماوات وربُّ الأرضِ ربُّ العرشِ الكريم » .

وقال بعضُ العارفين : من قال : يا ألله يا ألله يا ألله ، سبعَ مرات ، ثم قال بعدها : لا إلـٰه إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين ، استجاب ٱلله له .

وقال النبي ﷺ حين قال له الناس : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

وقال إبراهيمُ عندَ نار النمرود : حسبُنا ٱلله ونعمُ الوكيل .

والدعاءُ محبوسٌ عن السماء حتىٰ يصلَّىٰ علىٰ النبيِّ ﷺ .

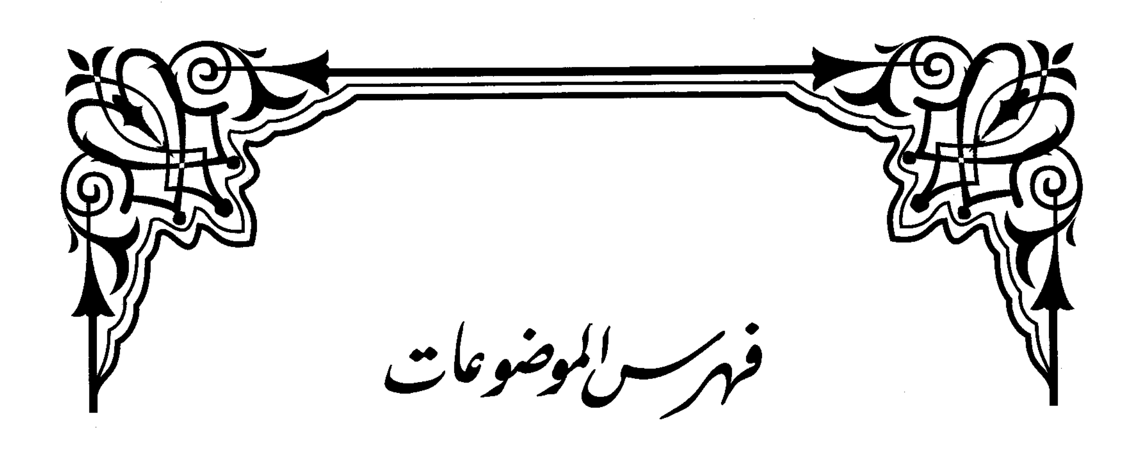
اللهمَّ فَرِّجْ عن المهمومين ، ونَفِّسْ عن المكروبين ، اللهمَّ مَنْ كادَنا فكِدْه ، ومن بغىٰ علينا فخُذْه واخْذُلْه ، اللهمَّ أصلحْ أمرَ أمةِ محمدٍ ، اللهمَّ دَبِّرْنا بحسنِ تدبيرِك ، والطُفْ بنا في قضائك وتقديرِك ، ولا تهلكنا بذنوبنا ، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا مَنْ لا يرحمـٰنا ، ولا تُهلكنا وأنت رجاؤنا ، افعلْ بنا ما أنتَ أهلُه ، ولا تفعلْ بنا ما نحنُ أهلُه ، واشغَلْ عنا كُلَّ ظالمٍ بنفسِه يا أرحمَ الراحمين ، يا أرحمَ الراحمين ، يا أرحمَ الراحمين .

وحسبُنا ٱلله ونِعْمَ الوكيلُ ، وصلَّىٰ ٱلله علىٰ سيدِنا محمدٍ وآلِه وصحبِه وسلَّمَ .

وفرغ منه واضعُه يوسفُ بن حسنِ بن عبد الهادي ، ليلةَ الجمعة ، آخرَ شهرِ ربيعٍ الأولِ ، سنة ثلاثٍ وتسع مئة ، بمنزِله بالسهم الأعلىٰ ، من صالحية دمشق المحروسة .

والحمدُ لله وحده

وصلَّىٰ ٱلله علىٰ سيدنا محمد ، وآلِه وصحبِه وسلَّم



فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

❐ ❐ ❐